الخلط بين المستويات في المطابقة وأثر ذلك في الدرس النحوي

الدكتور / فوزي الشايب(*)

الجملة نسيج لغوي مستقل، وهي كبرى الوحدات اللغوية، وعنصر الكلام الأساسي؛ فبالجمل نتبادل الأحاديث فيما بيننا، وبالجمل نكتسب لغتنا. وبالجمل نتكلم، وبها نفكر أيضا(1) والروح التي تقوم بها الجملة هي الإسناد، والإسناد في حقيقة أمره: نسبة تفيد، قال السكاكي(2): «والإسناد هو تركيب كلمتين أو ما جرى مجراهما على وجه يفيد السامع».

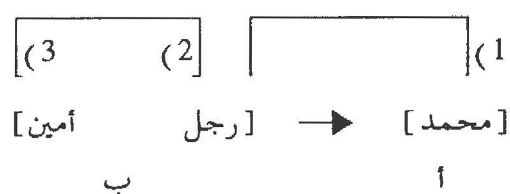
وطرفا الإسناد كما هو معروف: مسند إليه ومسند. والإسناد: هو العلاقة النحوية الرابطة بينهما، والإسناد بطرفيه يمثل البنية النحوية للجملة التي تتكون من وظيفتين نحويتين هما: المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية، والفعل والفاعل في الجملة الفعلية، وهاتان الوظيفتان النحويتان تقوم بهما وحدات صرفية، أي كلمات. وهذه الكلمات والارتباطات الصرفية القائمة بينها تمثل البنية الصرفية، وعليه فالجملة إذا كيان لغوي مزدوج البنية، ولذا فإنه من الضروري أن نميز في التحليل اللغوي بين البنية النحوية للجملة وبين بنيتها الصرفية، فلو أخذنا على سبيل المثال جملة مثل: «محمدٌ رجلٌ أمينٌ» وحللناها لوجدنا أنها تتكون من جزأين هما: المسند إليه، أي المبتدأ (محمد)، والمسند أي الخبر (رجل أمين) وهذان الجزآن ما هما إلا وظيفتان نحويتان تؤديهما البنية الصرفية التي تجسدها الوحدات الصرفية: [محمد] و[رجل] و[أمين]، أي أن هاتين الوظيفتين النحويتين تؤديهما، وتقوم بهما ثلاث وحدات صرفية، وبهذا يتضح لنا أن البنية النحوية للجملة تختلف عن بنيتها الصرفية ليس في النوع فقط، بل في الارتباطات القائمة بين أجزاء كل واحدة منهما، وفي الكم أيضا، فالبنية النحوية في الجملة السابقة كما بينا تتكون من وحدتين أو جزأين، في حين تتكون البنية الصرفية لنفس الجملة من ثلاث وحدات.

وترتبط الوحدات الصرفية فيما بينها بعلاقات صرفية تفرضها خصائص مركبات أقسام الكلام، ولا

(*) قسم اللغة العربية - جامعة اليرموك - الأردن

علاقة لها من قريب أو بعيد بمركبات أجزاء الجملة: مسند إليه/مسند.

وأبرز هذه العلاقات أو الارتباطات الصرفية القائمة بين وحدات البنية الصرفية للجملة هي: المطابقة (في العدد والجنس والإعراب). والمطابقة في حقيقة أمرها ما هي إلا مماثلة الكلمة التابعة نحويا للكلمة المسيطرة نحويا[3]، من ناحية صرفية. وعليه، فإن الوحدة الصرفية [رجل] في جملتنا: (محمد رجل أمين) وهي الوحدة التابعة نحويا، جاءت مفردة، ومذكرة، ومرفوعة على سبيل المماثلة الصرفية للوحدة المسيطرة نحويا وهي [محمد]، كما أن الوحدة الصرفية [أمين] وهي الوحدة التابعة نحويا، جاءت كذلك مفردة، مذكرة مرفوعة من أجل تحقيق المماثلة الصرفية للكلمة المسيطرة نحويا [رجل] ويمكن تمثيل ذلك بالرسم الآتي:



(وتشير الارقام [1، 2، 3] إلى الوحدات الصرفية التي تتكون منها الجملة أما الحرفان (أ، ب) فيشيران إلى الوحدات النحوية التي تتكون منها الجملة).

ومما ينبغي تأكيده هنا أنه لا علاقة للمطابقة، أي المماثلة الصرفية بالوظائف النحوية: مبتدأ/خبر، أو مسند إليه ومسند. وبهذا يتبين لنا أن الارتباطات الصرفية بين الكلمات والارتباطات النحوية بين أجزاء الجملة نوعان مختلفان من الارتباطات، ومن ثم فإن الكلام على وجوب مطابقة الخبر للمبتدأ غير صحيح وغير مقبول من حيث المبدأ[4].

وقد درجت القواعد التقليدية على الخلط، وعدم التمييز بين البنية النحوية للجملة، وبين بنيتها الصرفية، ونجم عن ذلك أنها أخذت تنظر إلى الارتباطات الصرفية على أنها ارتباطات نحوية، أي نظرت إليهما على أنهما شيء واحد، ومن هنا كانت القاعدة النحوية التقليدية بوجوب مطابقة المبتدأ للخبر. قال ابن كمال باشا[5]: «وحكم الخبر أن يطابق المبتدأ إفرادا وتثنية وجمعا وتذكيرا وتأنيثا...» وقد أدى هذا الخلط بين العلاقات النحوية والعلاقات الصرفية إلى نتائج وأحكام وتعليلات غير مقنعة وغير مقبولة.

ولعل أبرز نتائج هذا الخلط هو إثبات نوع غريب من المبتدأ. هو ما اصطلح على تسميته بـ: الوصف الرافع لمكتفى به نحو:

أناجحٌ الطالبان؟

حيث ذهب النحاة إلى إعراب الوصف «ناجح» «مبتدأ»، و«الطالبان» فاعلا سد مسد الخبر، ولم يعربوا الوصف المتقدم خبرا، والمرفوع بعده مبتدأ مؤخرا بسبب عدم المطابقة في العدد بين هذين الركنين، قال ابن الناظم[6]: «فإن قلت: فلم لم يجعل الوصف في مثل هذا المثال خبرا مقدما وما بعده مبتدأ؟ قلت: لعدم المطابقة». وعليه، فالمطابقة، وهي علاقة صرفية اتخذت دليلا على عدم الخبرية، وهي وظيفة نحوية، وهذا يعني تحكيم البنية الصرفية للجملة في بنيتها النحوية، وتوقف الوظيفة النحوية على العلاقات الصرفية وهذا خلط واضح بين مستويين مختلفين.

وفي الحقيقة إن إعراب الوصف: في مثل جملتنا

السابقة مبتدأ، وما بعده فاعلا سد مسد الخبر يجعلنا أمام جملة عجيبة، وتركيب غريب؛ فالوصف بوصفه مبتدأ ينبغي أن يكون اسما، وأن يكون مسنداً إليه. والمرفوع بعده أي الفاعل، مسند إليه هو الآخر. وعليه، فنحن أمام جملة تتكون من رأسين إن جاز هذا التعبير، لاجذع لها ولا أطراف. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى جاء المبتدأ نكرة، والذي سد مسد الخبر معرفة. ومن ناحية ثالثة، فالوصف بحكم إعرابه مبتدأ ينبغي أن يكون مخبرا عنه، أي مسنداً إليه، ولكن الوصف في الحقيقة هو محط الفائدة، ومحط الفائدة هو الخبر، فالوصف على هذا مبتدأ وخبر في نفس الوقت؛ مبتدأ في اللفظ والإعراب، وخبر في المعنى فلا هو مبتدأ خالص، ولا هو خبر خالص. ثم إن الوصف عمل في المرفوع بعده عمل الفعل في الفاعل، فهو فعل في العمل. واسم في الوظيفة. وحتى يكون هذا الإعراب منسجما مع القواعد النحوية اضطر النحويون إلى اعتبار الوصف ذا طبيعة مزدوجة: فهو اسم من جهة اللفظ، وفعل من جهة المعنى والعمل. قال ابن يعيش[7]: «واعلم أن قولهم: أقائم الزيدان؟ إنما أفاد نظراً إلى المعنى، إذ المعنى: أيقوم الزيدان؟ فتم الكلام؛ لأنه فعل وفاعل وقائم هنا اسم من جهة اللفظ، وفعل من جهة المعنى فلما كان الكلام تاما من جهة المعنى أرادوا إصلاح اللفظ فقالوا: «أقائم» مبتدأ، و«الزيدان» مرتفع به، وقد سدّ مسدّ الخبر».

وإعراب المرفوع بعد الوصف «فاعلا» جعل المبتدأ لا خبر له، ومن هنا كان المبتدأ عندهم على نوعين: مبتدأ له خبر، ومبتدأ لا يحتاج إلى خبر. وهو الوصف الرافع لمكتفى به. وإنما لم يكن له خبر؛ لأنه في حد ذاته الخبر. والخبر إنما يخبر به لا عنه فهو مبتدأ مخبر به كالإخبار بالفعل[8]. مبتدأ مسند إلى ما بعده، إسناد الفعل إلى الفاعل[9]. وقد وضح ابن مالك سبب استغناء هذا الوصف عن الخبر فقال[10]: «إن سبب استغنائه عن الخبر شدة شبهه بالفعل: لأن قولك: أضارب الزيدان؟ بمنزلة: أيضرب الزيدان؟ فكما لا يفتقر: «أيضرب الزيدان»، إلى مزيد في تمام الجملة، كذلك لا يفتقر ما هو بمنزلته، لأن المطلوب من الخبر إنما هو تمام الفائدة، وذلك حاصل بالوصف المذكور ومرفوعه».

ولأن الوصف ليس فعلا خالصا، وإنما هو فعل في المعنى فقد اشترط جمهور النحاة البصريين اعتماده على ما يعزز فيه جانب الفعلية، وذلك بالاعتماد على نفي أو استفهام «لأن الصفة لا تصير مع فاعله جملة كالفعل إلا مع دخول معنى يناسب الفعل عليها كمعنى النفي أو الاستفهام...»[11]، وهذا الشرط استحساني عند سيبويه وليس واجبا، فيجوز عنده إعمال الوصف دون اعتماد، ولكنه جائز عنده على قبح، وذلك لتضمنه معنى الفعل. قال ابن مالك[12]: «ومن زعم أن سيبويه لم يجز جعله مبتدأ إذا لم يلِ استفهاما أو نفيا فقد قوّله ما لم يقل». وأما الأخفش والكوفيون فلا يشترطون في إعمال الوصف الاعتماد، فهو جائز دون اعتماد عندهم في السعة والاختيار، حجتهم في ذلك السماع، وذلك قوله:

خبير بنو لهب فلاتك ملغيا
مقالة لهبي إذا الطير مرّت

وقوله:

فخير نحن عند الناس منكم
إذا الداعي المثوب قال يا لا[13]

وقد تأول المشترطون البيت الأول على أن الوصف خبر مقدم والمرفوع بعده مبتدأ مؤخر، واغتفر فيه عدم المطابقة لأن صيغة «فعيل» تفيد على حد قولهم معنى الجمع[14]. ومن ثم فلا تلزم فيه المطابقة[15].

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: إذا كان الوصف إنما عمل فرفع ما بعده على الفاعلية بسبب مشابهته الفعل وتنزيله منزلته، فكيف نفسر رفعه للضمير المنفصل في قوله[16]:

خليليّ ما واف بعهدي أنتما

إذا لم تكونا لي على من أقاطع

وفي قوله: [17]

أمنجز أنتم وعدا وثقت به

أم اقتفيتم جميعا نهج عرقوب

كيف يجوز للوصف وهو فرع على الفعل في العمل[18] أن يرفع الضمير المنفصل على الفاعلية مع أنه لا يجوز ذلك في الفعل؟ إذا كنا لانجيز: ما وفي أنتما، ولا: أأنجز أنتم؟ فكيف نجيز ذلك في الفرع؟ والفروع على حد قولهم منحطة أبدا عن درجات الأصول[19]. ونظرا إلى أنه لا يجوز في الضمير الانفصال إذا تأتى الاتصال فإن الكوفيين والزمخشري وابن الحاجب[20] اشترطوا في المرفوع الساد مسد الخبر أن يكون اسما ظاهراً لا ضميراً، معللين ذلك بقولهم[21] «لأن الوصف إذا رفع الساد مسد الخبر جرى مجرى الفعل والفعل لا ينفصل منه الضمير». ولكن غيرهم احتج لجواز ذلك بهذين الشاهدين. ويبدو أن ابن هشام قد أدرك قوة حجتهم إلا أنه لم يجد بدا من إعراب الضمير فاعلاً سد مسد الخبر نظراً إلى أنه لا يخبر عن المثنى بالمفرد[22]، وإذا كان هذا لا يجوز في المثنى، فهو من الجواز بالنسبة للجمع من وجهة نظرهم أبعد. فعدم المطابقة وهي علاقة صرفية جعلتهم يتجاوزون عن عمل الوصف عملا لا يجوز في أصله وهو الفعل.

ومما تجدر الإشارة إليه أنهم في الوقت الذي نصوا فيه على أن الوصف إنما عمل فرفع فاعلاً من باب شبهه بالفعل، وتنزيله منزلته، فإنهم لم ينزلوه منزلته من حيث المطابقة، إذ المعروف أن الفعل إذا تقدم على الفاعل كان موحدا على كل حال (اللهم إلا في لغة «أكلوني البراغيث») هكذا:

نجح زيدٌ.

نجح الزيدان.

نجح الزيدون.

فإذا كان هذا هو حال الفعل مع فاعله، فَلِمَ يستنكر ذلك في فرعه؟ لم حمل عليه في العمل ولم يحمل عليه في عدم المطابقة الصرفية؟ لقد حرصوا على أن يوضحوا بأن: أقائم الزيدان؟ وأقائم الزيدون؟ هما بمنزلة: أيضرب الزيدان؟ وأيضرب الزيدون؟[23]. فإذا كان ذلك كذلك لم استنكر عدم المطابقة الصرفية في الفرع، ولم تستنكر في الأصل؟

ونقول بعد هذا كله إن إلقاء نظرة عامة على جملة مثل قولنا: أقائم الزيدان؟ يجعلها تبدو لنا جملة فعلية، لا اسمية فالوصف المتقدم على الرغم من إعرابه مبتدأ عندهم فهو مسند لا مسند إليه تماما كالفعل في مثل: يقوم الزيدان. ثم إن الوصف عمل في المرفوع بعده عمل الفعل في فاعله، ثم إن الوصف جاء موحدا كما يكون الفعل مع فاعله، تماما،

واعتبار مثل هذه التراكيب جملا فعلية هوما ذهب إليه الدكتور مهدي المخزومي تأثراً منه على ما يبدو بتسمية الكوفيين لصيغة «فاعل» بالفعل الدائم. ولذا فإنه حمل على البصريين بشدة لإعرابهم الوصف في هذه الأمثلة مبتدأ، فقال [24]: «أما قولنا: أقائم الرجلان؟ أو قائم الرجلان، فرفعه لا يعني شيئا ولا دلالة له على معنى إعرابي يقتضي الرفع، ولهذا **كان من السخف القول** بأنه مرفوع على الابتداء كما **زعم البصريون**، وأنه مبتدأ سد فاعله مسد خبره؛ لأنه لا يكون مبتدأ بحال لأنه إذا كان مبتدأ كان مسندا إليه ولا يصبح القول بأنه مسند إليه، لأنه مسند أبداً، والمسند إليه هو ما بعده المرفوع».

لقد انطلق الدكتور المخزومي في حكمه على مثل هذا النوع من الجمل بأنها جمل فعلية من مسلمة هي أن صيغة «فاعل» صيغة فعلية لفظًا ومعنى، ولذا كانت الأفعال عنده من حيث الدلالة الزمنية تقسم إلى ثلاثة أقسام هي: الفعل الماضي، والفعل المضارع والفعل الدائم، أي «فعل» و«يَفْعِل» و «فاعل» [25]. وطالما أن صيغة «فاعل» صيغة فعلية لفظا ومعنى فإن وقوعها في سياق النفي أو الاستفهام لا يغير حقيقتها ولا يزيدها شيئا [26]. ولهذا فإنه حمل على البصريين بسبب إهمالهم لصيغة «فاعل» وعدم إدراجها ضمن أبنية الأفعال [27].

وأما نحن فنخالف الدكتور المخزومي الرأي، فصيغة «فاعل» ليست صيغة فعليّة محضة، ومن ثم فإن الجمل مثل: أقائمٌ الزيدان؟ جمل اسمية لا فعلية، ذلك أن عدّ صيغة «فاعل» فعلا مع لحاق التنوين لها أمر يصعب جدا تقبله وحتى الكوفيون أنفسهم الذين سموا هذه الصيغة بالفعل الدائم لم يقولوا عنها أنها فعل حقيقة لفظا ومعنى، وإنما ذهبوا إلى أنها اسم لفظا وفعل معنى وعملا، وهم في هذا الذي ذهبوا إليه لا يختلفون عن غيرهم [28]. ولنتأمل كلام ثعلب بهذا الخصوص، قال ثعلب [29]: «كلمت ذات يوم محمد بن يزيد البصري، فقال: كان الفراء يناقض يقول: «قائم» فعل. وهو اسم لدخول التنوين عليه. فإن كان فعلا لم يكن اسما، وإن كان اسما فلا ينبغي تسميته فعلا. فقلت: الفراء يقول: «قائم» فعل دائم لفظه لفظ الأسماء لدخول دلائل الأسماء، عليه، ومعناه الفعل لأنه ينصب فيقال: قام قياما، وضاربٌ زيدا. فالجهة التي هو فيها اسم ليس هو فيها فعلاً، والجهة التي هو فيها فعل ليس هو فيها اسما». هذا هو كلام الكوفيين أنفسهم بشأن ما سموه «الفعل الدائم» فليس هو فعلا محضا، ولو كان عندهم كذلك ما ترددوا في إدراج نحو: أقائم الزيدان؟ ضمن الجمل الفعلية، ولكن الكوفيين على حسب ما ذكر النحويون لا يختلفون عن غيرهم في هذه المسألة، فالوصف عندهم مبتدأ، والمرفوع بعده فاعل سد مسد الخبر، ولا يختلفون عن البصريين إلا في نواحي شكلية لا تمس الإعراب، وهو أنهم لا يشترطون في الوصف الاعتماد على نفي أو استفهام، وأنهم يعدون الوصف ومرفوعه مترافعين. قال ابن مالك [30]: «والكوفيون كالأخفش في عدم اشتراط الاستفهام والنفي في **الابتداء بالوصف** إلا أنهم يجعلونه مرفوعا بما بعده، وما بعده مرفوعا به على قاعدتهم».

وعليه، فإذا لم يكن ثمة فرق بين البصريين والكوفيين بشأن إعراب الوصف مبتدأ في هذه الحالة

فإنه لا معنى لقول الدكتور المخزومي في النص الذي أوردناه سابقا وهو: «كان من السخف القول بأنه مرفوع على الابتداء كما زعم البصريون». وكذلك قوله[31]: «ومع شعور البصريين بفعلية «قائم» في قولنا: «أقائم المحمدان» لايزالون يعربونه مبتدأ. وهو إعراب غريب حقا...». لا معنى لهذه الأقوال؛ لأنها تفيد ضمنا أن الكوفيين لا يعربون الوصف في مثل هذه التراكيب مبتدأ، مع أن الكوفيين لا يختفلون عن البصريين في هذه المسألة.

ويرى الدكتور المخزومي أن دخول التنوين على الوصف في مثل: أقائمٌ المحمدان؟ ليس دليلا على إسميته، ومن ثم فلا يخرج صيغة «فاعل» أي الفعل الدائم عن حد الفعلية؛ لأن هذا التنوين من وجهة نظره ليس ذاك الذي هو من خصائص الاسماء، وإنما هو عنده تنوين خاص بالفعل الدائم يخصصه بالزمان المستقبل[32]. وقد اعتمد في ذلك على نص للفراء وهو بصدد تفسيره قوله تعالى ﴿كل نفسٍ ذائقةُ الموت﴾[33]. يقول فيه[34]: «لو نُوِّنت في ذائقة» ونصبت «الموت» كان صوابا. وأكثر ما تختار العرب التنوين والنصب في المستقبل، فإن كان معناه ماضيا لم يكادوا يقولون إلا بالاضافة». إن نص الفراء هذا لا يفهم منه البته أن التنوين اللاحق لاسم الفاعل تنوين خاص بهذه الصيغة، يختلف عن التنوين في الأسماء. وكيف يقول ذلك والتنوين هو كما ذكر ثعلب في النص الذي سقناه فيما مضى[35] هو علامة إسمية هذه الصيغة لفظا عند الفراء؟ ثم إن الفراء في نصه هذا لم يخرج على ما قرره النحاة عموما وهو أن اسم الفاعل إذا كان مجردا من «ال» فإنه لا يعمل النصب إلا إذا كان بمعنى الحال والاستقبال، وذلك على حد قولهم حتى تتم مشابهته للفعل لفظا ومعنى[36]. قال سيبويه[37]: «فإذا أخبر أن الفعل قد وقع وانقطع فهو بغير تنوين البته؟ لأنه إنما أجرى مجرى الفعل المضارع له، كما أشبهه الفعل المضارع في الإعراب، فكل واحد منهما داخل على صاحبه». وعليه، نقول إن الدكتور المخزومي قد حمّل نص القراء ما لم يحتمل، واستنتج منه أحكاما كما يود ويشتهي هو لا كما ينطق به لسان حال النص.

وعليه فليس التنوين اللاحق لاسم الفاعل نوعا خاصا بهذه الصيغة، وليست «قائم» في قولنا: أقائمٌ المحمدان؟ لا توصف بتنكير ولا تعريف كما قال الدكتور المخزومي[38] كما أن التنوين الخاص بالأسماء، ليس هو تنوين التنكير فقط كما ذكر الدكتور الفاضل[39]، ذلك أن هذا النوع من التنوين إن هو إلا واحد من أربعة أنواع اختص بها الاسم، وهو يكون في الأعلام المبنية فرقا بين معرفتها ونكرتها مثل: مررت بسيبويهِ، و«وسيبويهٍ» آخر، وفي أسماء الأفعال نحو إيهِ وإيهٍ... وهو قياسي في العلم المختوم بـ «ويه»، وسماعي في اسم الفعل، واسم الصوت[40] والنوع الثاني من التنوين هو تنوين التمكين الذي يدخل في الأسماء للفرق بين ما ينصرف وما لا ينصرف[41] وذلك نحو تنوين رجلٍ وفرسٍ وزيدٍ وعمروٍ. وهذا التنوين هو الذي نجده في اسم الفاعل في: «أقائمٌ المحمدان؟ ولكن ليس هناك ما يمنع أن يكون التنوين في «قائمٍ»، ورجلٍ وفرسٍ مزدوج الوظيفة، أي أنه يكون علامة للتمكين والتنكير «فرب حرف يفيد فائدتين» وهذا هو ما ذهب إليه الرضي الاستراباذي[42].

وبالإضافة إلى نص الفراء السابق، اعتمد الدكتور

المخزومي في حكمه على التنوين اللاحق باسم الفاعل بأنه نوع خاص به، مخصص له بالزمن المستقبل، على القصة التي جرت أحداثها في مجلس هارون الرشيد بين الكسائي وقاضي القضاة أبي يوسف التي سأل فيها الكسائي أبا يوسف قائلا[43]. «ما تقول في رجل قال لرجل: أنا قاتلُ غلامِك؟ وقال له آخر: أنا قاتلٌ غلامَك؟ أيهما كنت تأخذ به؟ قال: آخذهما جميعا. فقال له هارون: أخطأت. وكان له علم بالعربية. فاستحيا وقال: كيف ذلك؟ قال: الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال: أنا قاتلُ غلامِك، بالإضافة: لأنه فعل ماض. وأما الذي قال: أنا قاتلٌ غلامَك بالنصب فلا يؤخذ؛ لأنه مستقبل، لم يكن بعد، كما قال الله عز وجل ﴿ولا تقولنّ لشيء إني فاعلٌ ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾. فلولا أن التنوين مستقبل ما جاء فيه غدا». ولكن هذه القصة، كنص الفراء سابقا ليس فيها دليل على أن التنوين في اسم الفاعل يدل على المستقبل، أو أنه مخصص له بالزمن المستقبل. وإنْ صحت هذه القصة، وأن الكسائي قال ما قال كان الكسائي قد خالف مذهبه، إذ المعروف أنه يجيز إعمال اسم الفاعل بمعنى الماضي مطلقًا[44]. وتبعه في ذلك هشام وأبو جعفر[45]. وقد استدل على ذلك بقوله تعالى[46]: ﴿وكلبهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد﴾ وعليه، فعلى حسب مذهب الكسائي لا فرق بين قولنا: أنا قاتلُ غلامِك بالإضافة، وأنا قاتلٌ غلامَك بالأعمال، وعليه فإن أبا يوسف لم يكن مخطئا على مذهب الكسائي حين قال: آخذهما جميعا وتخطئة الكسائي له بناء على ذلك ليس لها من تفسير سوى الإيقاع بأبي يوسف والنيل منه. ولذا فقد كان الدكتور مالك يوسف المطلبي محقا حين قال: إن هذه القصة فيها من أدب المجالس أكثر مما فيها من علم اللغة[47].

وفي الحقيقة ليس للتنوين أي دلالة على الزمن فالتنوين كما ذكرنا سابقا إن هو إلا تنوين التمكين، أو تنوين التمكين والتنكير معا. وليس في اسم الفاعل المنون أي دلالة على الزمن البتة؛ لأن اسم الفاعل موضوع للدلالة على ذات متصفة بالحدث أي بالمصدر[48]، وأن هذا الحدث قائم بهذه الذات، أي ثابت لها، لا يدل اسم الفاعل على أكثر من ذلك، قال في الكليات[49]: «اسم الفاعل يستفاد منه مجرد الثبوت صريحا بأصل وضعه وقد يستفاد من غيره بقرينة، وكذا حكم اسم المفعول». وأما الزمن فمستفاد منه بقرينة من الخارج، أي من السياق، وهوفي الآية الكريمة السابقة مستفاد من الظرف «غدا». وقد عكس الكسائي الأمر حين جعل دلالة اسم الفاعل المنون على المستقبل هي المسوغ لمجيء الظرف «غدا» والصحيح هو أن وجود الظرف «غدا» هو الذي جعل اسم الفاعل يدل على المستقبل.

من كل ما تقدم يتبين لنا أن كل الأدلة التي اعتمد عليها الدكتور مهدي المخزومي لعد الوصف في مثل: أقائمٌ الزيدان؟ فعلا، وأن التركيب كله جملة فعلية ليست من القوة بمكان، ولا تستطيع الصمود أمام الفحص والاختبار. فالوصف في مثل هذا التركيب اسم لاشك في إسميته، والتنوين خير شاهد على ذلك، ثم إن اعتماد الوصف على نفي أو استفهام عند من اشترط ذلك لا يذهب عنه وصف الاسمية ولا يوجد فيه هذا الاعتماد أي صفة زائدة. وعليه فهذه الجملة ونظائرها جمل إسمية، ولكن ليس كما قال القدماء أن الوصف فيها هو المبتدأ،

وأن المرفوع بعده فاعل سد مسد الخبر، وإنما الوصف هو الخبر، والمرفوع بعده هو المبتدأ. وعد الوصف خبرا مقدما يجعلنا نتخلص من كثير من التأويلات التي يصعب جدا تقبلها وهضمها، وهي إثبات مبتدأ لا يحتاج إلى خبر، وإثبات جملة تتكون من رأسين؛ من ركنين كلاهما مسند إليه وإن كان أحدهما وهو الوصف تكون له هذه الصفة لفظا لا معنى، ثم يخلّصنا أخيراً من اعتبار الوصف مبتدأ وخبراً، إسماً وفعلاً في وقت واحد على أساس اللفظ والمعنى.

ولكن إعراب الجملة على هذا النحو يجعلنا نقف أمام إشكال آخر هو عدم المطابقة الصرفية بين الوحدتين الصرفيتين اللتين تقومان بوظيفتي المبتدأ والخبر. ولكن هذا الإشكال من السهل تفسيره وتسويغه وذلك بالتمييز بين اللغة المنطقية ولغة الاستعمال، أي بين النظام والأداء، بين النحوية والمقبولية. فالمطابقة شرط لابد منه في اللغة المنطقية، أي في النظام، ومقتضيات النحوية، غير أن الأمر قد لا يكون بالضرورة كذلك في لغة الاستعمال، إذ اللغة الإنسانية ليست بناء منطقيا جامدا ولذلك تكون لغة الاستعمال المشحونة بالانفعال في نزاع مستمر مع اللغة المنطقية، وذلك لأنه بسبب خضوعها للتأثيرات الفردية تميل دائما إلى الابتعاد عن المثل الأعلى الذي تحتذيه اللغة المنطقية المشتركة[50]. وعليه فهناك إذا قوتان متقابلتان: قوة طرد عن المركز تمثله لغة الاستعمال، ولغة جذب نحو المركز تمثله اللغة المنطقية، وهما متميزتان إحداهما من الأخرى لذلك فإننا لا نستطيع أن نطبق التفكير المنطقي على اللغة دائما وبشكل صارم. إن المثل المنطقي الأعلى للنحو هو أن يوجد لكل وظيفة عبارة واحدة فقط ولتحقيق هذا المثل يجب على اللغة أن تكون ثابتة ثبوت الجبر[51]. ولكن الجمل ليست رموزا جبرية، فالانفعالية لا تنفك تغلف عبارة الفكر المنطقية وتلونها. ولذلك ينبغي لنا أن لا نقصر اهتمامنا على الصورة التي تصاغ عليها الأفكار، وإنما ينبغي لنا أن نأخذ في الاعتبار العلاقات التي توجد بين هذه الأفكار وحساسية المتكلم[52].

إن المطابقة الصرفية بين الوحدات الصرفية مطلب تفرضه اللغة المنطقية وتوجبه. ولكنها ليست مطلبا في اللغة الانفعالية. ففي هذه اللغة يصير الواحد جمعا، والجمع واحدا، والمادي معنويا، والمعنوي ماديا، والمذكر مؤنثا والمؤنث مذكرا... ليس من قبيل العبث أو التلاعب باللغة، وإنما يجد الإنسان نفسه مسوقا تحت غمرة الانفعال ومقتضيات الاستعمال إلى اعتبار هذا الشكل أو ذاك هوالشكل الأنسب لتجسيد أفكاره والتعبير عن خلجات نفسه وانفعالاته. والتعبير عن أي فكرة لا يخلو مطلقا من لون عاطفي، ولاتكاد توجد جملة لا تخالطها عناصر انفعالية[53]. وعليه ينبغي لنا أن نميز بين اللغة المنطقية الجامدة الثابتة، وبين لغة الاستعمال الحية التي تتسم بالمرانة والعفوية.

ولكن النحويين في دراستهم للتراكيب اللغوية لم يعيروا أثر الاستعمال والانفعال في العبارة اهتماما ملحوظا وإنما حصروا أنفسهم، وقيدوا نظرتهم باللغة المنطقية وركزوا عنايتهم وصرفوا جلّ اهتمامهم إلى مَنْطقة كل ما تأتي به لغة الاستعمال المشحونة بالانفعال من استعمالات لا تقرها اللغة المنطقية[54]. فكان هناك فيض من التأويلات والتقديرات التي لا حاجة إليها نظرا إلى كون المعنى مفهوما بدونها، بل

إن هذه التأويلات قد تسيء الى المعنى، بل قد تقضي عليه أحيانا، كل ذلك من أجل رد لغة الاستعمال واللغة الانفعالية إلى اللغة المنطقية. قال السيوطي[55]. «وإنما يقدر النحوي ليعطي القواعد حقها، وإن كان المعنى مفهوما». وفي سبيل منطقة لغة الاستعمال كان حكمهم على الوصف أنه مبتدأ رافع المكتفىً به في الشواهد الشعرية الآتية:

أقاطنٌ قوم سلمى أم نووا ظعنا
إن يظعنوا فعجيب عيش من قطنا[56]

وقوله:

خليليَّ ما وافٍ بعهدي أنتما
إذا لم تكونا لي على من أقاطع[57]

وقوله:

أمنجزٌ أنتم وعدا وثقت به
أم اقتفيتم جميعا نهج عرقوب[58]

وقوله:

أمرتجعٌ لي مثل أيام حنّة
وأيام ذي قار علي الرواجع[59]

وقوله:

أناوٍ رجالك قتل امرىء
من العز في حبك اعتاض ذلا[60]

ونقول: إن تقديم الوصف وتوحيده لم يكن عبثا، فتقدم الخبر ههنا عملية تركيز أو تبئير، وجعل الجماعة أو الاثنين واحدا فيه من التركيز والتكثيف للمعنى ما لاخفاء فيه، ففي البيت الثاني الذي جاء فيه الوصف خبرا عن المثنى، يريد الشاعر أن يقول: أنتما في عدم الوفاء كأنكما على قلب رجل واحد، أي أنتما في عدم الوفاء سواء ولو طابق الخبر المبتدأ ما أدى هذا المعنى؛ لأن التثنية تفيد أنهما وافيان، ولكن المعنى محتمل لأن يكونا متساويين في الوفاء. ومتفاوتين، وعليه فلو قال «ما وافيان بعدي أنتما» ما فهم منه مباشرة أنهما في عدم الوفاء بعهده على نفس المستوى كما يفهم ذلك من الإفراد.

وأما في الشواهد الأخرى التي جاء فيها الوصف خبرا عن الجمع فالأمر هو الأمر ذاته مع البيت السابق، فالشعراء يستفهمون عما إذا كان المعنيون على نفس المستوى، أي على قلب رجل واحد بالنسبة للحدث المستفهم عنه. ولو طابق الخبر المبتدأ في العدد ما أدى هذا المعنى بدقة. ولذا كان عدم المطابقة هو الأسلوب الأمثل لنقل هذه المعاني والأفكار، وذلك أن التكلم ليس تركيب جملة فحسب، وإنما هو اختيار لجملة نراها مطابقة للمقام بين نماذج من الجمل تزودنا بها الذاكرة[61].

وعليه نقول: إن الإخبار عن الجمل بالمفرد في قوله تعالى: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾[62] كان - والله أعلم - للإعلان أن الملائكة في نصرتهم للنبي صلى الله عليه وسلم كأنهم على قلب ملك واحد، لا تفاوت بينهم في ذلك. وكذلك إفراد الجمع في قوله:

خبير بنو لهب فلاتك ملغيا
مقالة لهبي إذا الطير مرت[63]

هو من هذا القبيل. ولكن النحويين سعيا منهم

لمنطقة هذه الأساليب خرجوا عدم المطابقة على أساس أن صيغة «فعيل» مستثناة من لزوم المطابقة، نظرا إلى أنها تأتي بمعنى الجمع[64].

وفي سبيل منطقة لغة الاستعمال والأساليب الانفعالية يضطر النحاة أحيانا إلى تأويلات بعيدة ومتكلفة، ويظهر ذلك بوضوح في تخريجهم لـ «أخوكم» في قول العباس بن مرداس السلمي:

فقلنا أسلموا إنا أخوكم
فقد برئت من الإحن الصدور

فنظرا إلى أن اسم إن جمع، وأن الخبر ينبغي أن يكون مطابقا للاسم فقد قطع السهيلي بأن «أخوكم» ههنا جمع حذفت نونه للإضافة[65]. وكذلك خرجها صاحب اللسان[66]. ولكن ليس هناك من دليل قاطع على أن «أخوكم» ههنا جمع وليست مفردا، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذه الطريقة للجمع نادرة قليلة الشيوع إنما يحكم بها ويقطع بذلك إذا قام الدليل، وذلك كما في قول عقيل بن علفة المري[67].

وكان بنو فزارة شرّ قوم
وكنت لهم كشر بني الأخينا

أما «أخوكم» في بيت العباس بن مرداس فالحكم عليها بأنها جمع لا يصح إلا أن يقوم دليل قاطع على ذلك. وطالما أنه ليس ثمة دليل قاطع فلا معنى للحكم عليها بأنها جمع، وإن كانت خبرا عن جمع؛ لأن هذا التخالف في العدد بين الركنين مقصود قصدا، إذ القصد إخبار المعنيين أنهم في أخوّتهم لهم على قلب رجل واحد. والجمع لا يؤدي هذا المعنى وإنما يحترمه ويجعله محتملا، ولهذا فقد جوز فيه ابن جني أن يكون مفردا[68]، في حين عده ابن فارس مفردا أريد به الجمع[69].

ومن قبيل منطقة لغة الاستعمال المشحونة بالانفعال تخريجهم لإفراد الخبر في بيت سلامة بن جندل:

ألا إن جيراني العشية رائح
دعتهم دواع من هوى ومنادح[70]

حيث خرج عدم التطابق بأن اسم «إنّ» «جيران» قد خرج مخرج الواحد؛ لأنه كلفظ «عمران»[71] وعليه فإذا قال سيبويه[72]: «لا تقول: القوم ذاهب» قلنا هذا في اللغة المنطقية، أما في لغة الاستعمال، فهو جائز ولا غبار عليه، ودليل ذلك وروده في كلام العرب، كما في البيت السابق وكما في قول أبي جندل الهذلي:

أولئك ناصري وهم أرومي
وبعض القوم ليس بذي أروم[73]

ومنه في النثر، الحديث: «وهم يد على من سواهم» وقول عمر رضي الله عنه «كلنا عبد»[74]، وقول عروة بن مسعود الثقفي لقريش: «قد عرفتم أنكم والد»[75]. وحكى الأخفش[76]: «ان بك مأخوذ أخواك». و مثل ما حكاه الأخفش أي الإخبار عن المثنى بالمفرد الحديث الشريف: «أحيّ والداك؟»[77] ومنه في الشعر قول الشنفري:

وأصبح عني بالغميصاء جالسا
فريقان: مسؤول وآخر يسأل

فقد عد الزمخشري «جالسا» خبرا لـ «فريقان»[78] ولكن ابن بري تحت تأثير قاعدة المطابقة عدّه حالا، وجعل الخبر شبه الجملة «بالغميصاء»[79]، ولكن إعرابها «حالا» لا يبعد كثيرا عن كونها خبرا لأن الخبر هو نفس المخبر عنه، والحال هي نفس صاحبها في المعنى، وهي خبر ثان في المعنى[80]، فهي مسندة إسنادا ثانوياً الى صاحبها : «فريقان». ومن ذلك أيضا قوله:

كأن وريديه رشاءٌ خلب[81]

وقول العرب : اسودان سالخ[82].

ويقابل عملية التركيز والتكثيف بتصيير الجمع أو المثنى واحدا، عملية التضخيم بتصيير الواحد جمعا. وهاتان العمليتان وإن كانتا على طرفي نقيض ظاهرا، تفضيان إلى نتيجة واحدة هي القوة في المعنى والمبالغة فيه. فمن تصيير الواحد جمعا إرادة للمبالغة وتعظيم الشأن قوله تعالى: ﴿ هذا بصائر ﴾[83]. أي القرآن بصائر جمع بصيرة. ومن هذا الباب قول أبي ذؤيب:

فالعين بعدهم كأن حداقها
سملت بشوك فهي عور تدمع[84]

وقول القطامي:

كأن قيود رحلي حين ضُمّت
خوالب غرز أو معا جياعا[85]

حيث جعل «المعا» لفرط الجوع أمعاء جائعة.

ومن ذلك قراءة حمزة وطلحة، ويحيى بن وثّاب والأعمش «وأرسلنا الريح لواقح»[86].

وقد اكثرت العرب من نعت المفرد بالجمع على سبيل المبالغة أيضا، وذلك كقولهم: ثوب أخلاق، وبرمة أعشار، وحبل أرمام وأرض سباسب[87]... ومن ذلك تسميتهم للضبع حضاجر إرادة المبالغة[88].

ومن مظاهر مخالفة لغة الاستعمال اللغة المنطقية، التجريد أي جعل الأعيان بمنزلة المعاني مبالغة وتفخيما كقول الخنساء:

ترتع ما غفلت حتى إذا ادّكرت
فإنّما هي إقبال وإدبار[89]

وقول الآخر:

فانت طلاق والطلاق عزيمة
ثلاث ومن يخرق أعق وأظلم[90]

ومن التجريد أيضا الوصف بالمصدر نحو: رجل عدل ورضىً ودنف،

وعكس التجريد، التشخيص أي تنزيل المعاني منزلة الأعيان مبالغة وتفخيما أيضا كقولهم: شعر شاعر وموت مائت وشغل شاغل[91].

ومن التشخيص أيضا الإخبار بالزمان عن الجثة وذلك في قولهم: الليلةَ الهلالُ، واليومَ خمر، والرطب شهري ربيع[92]. واليهود غدا والنصارى بعد غد..[93].

ومن مظاهر التفاوت بين اللغة المنطقية لغة الاستعمال تانيث المذكر، كما في قول رويشد بن كثير الطائي:

يا أيها الراكب المزجي مطيته
سائل بني أسد ما هذه الصوت

وكقول أحدهم فيما حكاه الأصمعي: «فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها»[94].

وعكسه أي تذكير المؤنث كما في قول أوس بن حجر:

إذ الناس ناس والزمان بعزة

وإذ أم عمار صديق مساعف[95]

ومن مظاهر الاختلاف بين اللغة المنطقية ولغة الاستعمال أيضا المخالفة في الإعراب، كما في قول الفرزدق:

وعضُّ زمانٍ يابن مروان لم يدع

من المال إلا مسحتاً او مجلفُ

حيث عطف مرفوعا على منصوب. ومن هنا قال الرضي[96]، «واعلم أنه تجوز المخالفة في الإعراب إذا عرف المراد نحو: مررت بزيدٍ وعمروٌ، أي وعمرو كذلك، ولقيت زيداً وعمروٌ، أي وعمروٌ كذلك».

وفي الحقيقة، إن كل مظاهر الانحراف التركيبي عن اللغة المنطقية إن هي إلا وليد لغة الاستعمال ومظهر من مظاهر الانفعال الذي يغلفها. لذا يفسر عدم استقرار النحو وكثرة مظاهر الانحراف بعمل اللغة الانفعالية التي تعمل عملها في اللغة المنطقية فتفككها وتسطو عليها[97]. والثابت الوحيد الذي تلتقي فيه هاتان اللغتان، وتجتمعان عليه هو العلاقات النحوية، فالثابت الوحيد إذن هو العلاقات النحوية وأما العلاقات الصرفية من مطابقة في العدد والجنس والإعراب فهي من المتغيرات التي يتحكم فيها ويقررها طبيعة المعنى المراد إيصاله. فعدم ثبات العلاقات الصرفية سلوك لغوي مقصود لأداء معان مقصودة أيضا. قال ابن جني[98]: «... فإن العرب - فيما أخذناه عنها وعرفناه من تصرف مذاهبها - عنايتها بمعانيها أقوى من عنايتها بألفاظها». وقال ابن الصائغ[99]. «اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية، يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول».

وما دام الأمر كذلك يجب علينا أن نراعي في التحليل اللغوي مقتضيات اللغة الانفعالية، وأن نتجنب قدر المستطاع منطقة هذه الأساليب؛ لأن مثل هذا العمل إن كان فيه صلاح للغة فإن فيه تضحية ووأداً للمعاني والأحاسيس التي نريد أن ننقلها من خلال اللغة التي لاتزيد على كونها وسيلة التفاهم وأداة التعبير. لذا نقول مع الدكتور عبد الرحمن أيوب[100]. يجب أن لا تطبق القواعد النحوية على إطلاقها، وألا نحكّم الاعتبارات المنطقية في التحليل اللغوي، بل ينبغي أن نفهم أن اللغة لا تبنى على المنطق، وأن الصدفة التاريخية قد تخل بكثير من الواقع المنظم للغة».

الهوامش:

1 - اللغة ص 101
2 - مفتاح العلوم ص 86
3 - دراسات في النحو العام ص 121
4 - المرجع السابق ص 130
5 - أسرار النحو ص 111
6 - شرح الالفية لابن الناظم ص 107
7 - شرح المفصل 1/96
8 - الايضاح في شرح المفصل 1/195
9 - شرح التسهيل 1/299. وشرح الألفية لابن الناظم ص 107
10 - المرجع السابق 1/272
11 - شرح الكافية 1/226
12 - شرح التسهيل 1/273
13 - المرجع السابق في المكان نفسه
14 - شرح الاشموني 1/200

15 ـ همع الهوامع 2/7
16 ـ شرح التسهيل 1/269
17 ـ شرح الاشموني 1/199
18 ـ الكتاب 1/171 . وانظر الهمع 5/315 .
19 ـ الاشباه والنظائر 2/276
20 ـ شرح شذور الذهب ص 182
21 ـ همع الهوامع 2/6
22 ـ شرح شذور الذهب ص 182
23 ـ شرح التسهيل 1/272
24 ـ في النحو العربي، نقد وتوجيه ص 139
25 ـ المرجع السابق ص 119
26 ـ المرجع السابق ص 151
27 ـ المرجع السابق ص 126
28 ـ انظر مثلا قول سيبويه: «... وذلك قولك هذا ضارب زيدا غدا، فمعناه وعمله مثل: هذا يضرب زيدا غدا». الكتاب 1/164 .
29 ـ مجالس العلماء ص 265 .
30 ـ شرح التسهيل 1/274 .
31 ـ في النحو العربي، نقد وتوجيه ص 118 .
32 ـ المرجع السابق ص 139، 118 .
33 ـ سورة الانبياء آية 35 .
34 ـ معاني القرآن / الفراء 2/202 .
35 ـ انظر ص 7 من البحث .
36 ـ شرح الكافية 3/416
37 ـ الكتاب 1/171 .
38 ـ في النحو العربي نقد وتوجيه ص 118 .
39 ـ المرجع السابق في المكان نفسه .
40 ـ التصريح على التوضيح 1/32
41 ـ شرح المفصل 1/25 .
42 ـ شرح الكافية 1/45 .
43 ـ معجم الادباء 13/177
44 ـ شرح الكافية 3/417 .
45 ـ التصريح على التوضيح 2/66 .
46 ـ سورة الكهف آية 18 .
47 ـ الزمن واللغة ص 155 .
48 ـ شرح الكافية 3/416 .
49 ـ الكليات ص 1009 .
50 فندريس ض 405 .
51 ـ السابق ص 202 .
52 ـ السابق ص 183 .
53 ـ السابق ص 184 .
54 ـ المدخل إلى دراسة النحو العربي ص 63 .
55 ـ الإتقان في علوم القرآن 3/177 .
56 ـ شرح التسهيل 1/269 .
57 ـ المرجع السابق في المكان نفسه .
58 ـ شرح الاشموني 1/199 .
59 ـ شرح التسهيل 1/268 .
60 ـ همع الهوامع 5/80 .
61 ـ بنية اللغة الشعرية ص 107 .
62 ـ سورة التحريم آية 4 .
63 ـ شرح التسهيل 1/273 .
64 ـ معاني القرآن وإعرابه / الزجاج 5/193 . وانظر الجامع لاحكام القرآن 18/192 .
65 ـ أمالي السهيلي ص 61 .
66 ـ لسان العرب 8/21 .
67 ـ المرجع السابق في المكان نفسه .
68 ـ الخصائص 2/422 .
69 ـ الصاحبي ص 348 .
70 ـ شرح المفضليات 1/434 .
71 ـ المرجع السابق في المكان نفسه
72 ـ الكتاب 3/247 .
73 ـ شرح اشعار الهذليين 1/363 .
74 ـ شرح الأشموني 1/200 .
75 ـ الروض الانف 4/34 .
76 ـ همع الهوامع 2/162 .
77 ـ صحيح البخاري 4/71 .
78 ـ اعجب العجب في شرح لامية العرب ص 107 .
79 ـ لسان العرب 8/329 .
80 ـ شرح المفصل 2/62 .
81 ـ أوضح المسالك 1/268 .
82 ـ لسان العرب 3/502 .
83 ـ سورة الاعراف آية 203 .
84 ـ شرح أشعار الهذليين 1/9 .
85 ـ الأشباه والنظائر 4/198 .
86 ـ إعراب القرآن / النحاس 2/379 .
87 ـ لسان العرب 11/376 وانظر المزهر 2/105 .
88 ـ المرجع السابق 5/278 .
89 ـ شرح المفصل 1/115 .
90 ـ مجالس العلماء ص 259 .
91 ـ الكتاب 3/385 .
92 ـ شرح الاشموني 1/213 .
93 ـ صحيح البخاري 2/2 .
94 ـ الخصائص 2/416 .

95 ـ خزانة الادب 5 / 429 .
96 ـ شرح الكافية 2 / 355 .
97 ـ فندريس ص 202 .
98 ـ الخصائص 1 / 150 .
99 ـ الإتقان في علوم القرآن 3 / 296 .
100 ـ البناء الصرفي للأسماء والأفعال في العربية (المجلة العربية للعلوم الإنسانية) العدد 7 ص 87 .

المــراجــع :

1 ـ الازهري، خالد بن عبد الله، شرح التصريح على التوضيح، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه (د.ت) ج1 ص 271 وج2 ص 66 .

2 ـ الأشموني، علي بن محمد . شرح الأشموني لألفية ابن مالك . القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، (1947م) ج1 ص199، 200، 213 .

3 ـ أيوب، عبد الرحمن . البناء الصرفي للأسماء والأفعال في العربية . المجلة العربية للعلوم الانسانية مجلد 2، العدد 7 (1982) ص 87 .

4 ـ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري، بيروت، دار الجيل . (د.ت) ج2 ص2 .

5 ـ البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . تحقيق عبد السلام هارون ط2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (1979م) ج5 ص 429 .

6 ـ التبريزي أبو زكريا يحيى بن علي . شرح المفضليات، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، دارنهضة مصر للطبع والنشر (د.ت) ج1 ص 434 .

7 ـ ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2 بيروت، دار الهدى للطباعة والنشر (د.ت) ج1 ص150، ج2 ص416 . 422 .

8 ـ ابن الحاجب، عثمان بن عمر، الإيضاح في شرح المفصل تحقيق موسى بناي العليلي؛ بغداد، وزارة الأوقاف . (د.ت) ج1 ص195 .

9 ـ خراكوفسكي، فكتور . دراسات في النحو العام والنحو العربي، ترجمة جعفر د ك الباب، دمشق، وزارة التعليم العالي (1982م) ص121 . 130 .

10 ـ الرضي الاستراباذي، محمد بن الحسن، شرح الكافية، عمل يوسف حسن عمر . بنغازي، جامعة قار يونس (1978م) ج1 ص45 . 226ج2 ص 355، ج3 ص348 . 416 . 417 .

11 ـ الزجاج، أبو إسحق إبراهيم بن السري . معاني القرآن وإعرابه تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط1، بيروت، عالم الكتب (1988) ج5 ص 193 .

12 ـ الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن، مجالس العلماء، تحقيق : عبد السلام هارون ط2 القاهرة ـ مكتبة الخانجي، الرياض دار الرفاعي (د.ت) ص 259 . 265 .

13 ـ الزمخشري، محمود بن عمر . أعجب العجب في شرح لامية العرب ط1، القاهرة، دار الوراقة (1392هـ) ص107 .

14 ـ السكاكي، أبو يعقوب يوسف، مفتاح العلوم، ضبط وشرح : نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية (1983) ص 86 .

15 ـ السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين، شرح أشعار الهذليين تحقيق : عبد الستار أحمد فراج . القاهرة، مكتبة دار المعرفة (د.ت) ج1 ص 29 . 363 .

16 ـ السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن :

أ ـ أمالي السهيلي، تحقيق : محمد إبراهيم البنا، ط1 القاهرة، مطبعة السعادة (1970م)ص61 .

ب ـ الروض الأنف . 4م تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف . بيروت دار المعرفة للطباعة والنشر : (1978)م4 ص 34 .

17 ـ سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق : عبد السلام هارون، القاهرة، دار القلم (1966م) . ج1 ص 164، 171 ج3، ص247 .

18 ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن :

أ ـ الإتقان في علوم القرآن . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط3، القاهرة، دار التراث . (1985م) ج3 ص177، 296 .

ب ـ الاشباه والنظائر في النحو، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، (1985م) ج2 ص 276 وج4 ص 198 .

ج ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع . تحقيق عبد العال سالم مكرم، الكويت، دار البحوث العلمية (1975م) . ج2 ص6 . 7 . 162 . ج5 ص 80 .

19 ـ عابدين، عبد المجيد، المدخل إلى دراسة النحو العربي، القاهرة (1951م)ص 63 .

20 ـ أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد، المسائل الحلبيات، تحقيق : حسن هنداوي، ط1، دمشق، دار القلم، بيروت دار ا لمنارة (1987م) ص 197 .

21 ـ ابن فارس، أحمد بن فارس، الصاحبي، تحقيق : السيد أحمد صقر، القاهرة، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت) ص348 .

22 ـ الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد . معاني القرآن . تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ط2، بيروت، عالم الكتب (1980م) ج2 ص 202 .

23 ـ فندريس، جوزيف، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي

ومحمد القصاص، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، (1950م) ص101، 202.

24 ـ القرطبي، أبو عبد الله محمد الانصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد الحليم البردوني القاهرة (1965م) ج10ص (15) ج 18 ص192.

25 ـ الكفوي، أبو البقاء، أيوب بن موسى، الكليات. ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م.

26 ـ ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان، أسرار النحو، تحقيق أحمد حسن حامد، عمان، دار الفكر (د.ت) ص111.

27 ـ كوهن، جان. بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، ط1، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر (1986م)، ص107.

28 ـ ابن مالك، محمد بن عبد الله، شرح التسهيل، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، ط1، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان (1990م) جـ1، ص268، 269، 272، 273،274، 299.

29 ـ المخزومي، مهدي. في النحو العربي نقد وتوجيه، بيروت، دارالرائد (1986م) ص51، 118، 119، 126، 139.

30 ـ المطلبي، مالك يوسف. الزمن واللغة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (1986م)، ص 155.

31 ـ ابن منظور / محمد بن مكرم، لسان العرب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1973م) 3/502، 4/329، 8/211، 11/376.

32 ـ ابن الناظم، بدرالدين محمد، شرح الفية ابن مالك، تحقيق عبد الحميد السيد، بيروت، دار الجيل (د.ت)، ص 107.

33 ـ النحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد. إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد. ط2 عالم الكتاب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، 1985م.

34 ـ ابن هشام، عبد الله بن يوسف:

أ ـ أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ط5، القاهرة دار إحياء التراث (1966م) 268/1.

ب ـ شرح شذور الذهب. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ط10، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، (1965م)، ص 182.

35 ـ ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء ط3، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (1980م)، 13/177.

36 ـ ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل، بيروت ـ عالم الكتب، القاهرة ـ مكتبة المتنبي (د.ت)، 1/25، 96، 115، 2/62.

الإشكال في اعتبار الرفع علم الفاعلية والنصب علم المفعولية

الدكتور / علي محمد المدني(*)

تمر اللغة المنطوقة بسلسلة من العمليات المعقدة القائمة على خلفيات كثيرة ظاهرة وخفية، ومرتبطة بعوامل ثقافية واجتماعية ونفسية، ومقيدة بقدرات خاصة في مستوى الأداء الصوتي، ومستوى القواعد النحوية والصرفية والمستوى الدلالي - ولا سيما حصيلة المتكلم المعجمية - والمستوى البلاغي، وبخاصة المعاني الصريحة والمعاني المجازية، وغير ذلك من المؤثرات والقدرات الكثيرة التي قد يؤدي الخلل أو النقص في شيء منها إلى الغموض في التركيب الذي ينتهي إلى الإشكال في فهم المعنى. وما الكلام الذي نسمعه أو نقرؤه إلا خلاصة لهذه السلسلة من العمليات المعقدة.

وقد جاءت القواعد النحوية لتحقيق عدة أهداف، منها هدفان مهمان :

أولهما : رفع العجمة عن الألسن بالإعراب.

وثانيهما : رفع الغموض عن التراكيب بإبانة مواضع اللبس شكلا ومضمونا.

وبالرغم من الجهود العظيمة التي بذلها النحاة في خدمة هذين الهدفين، فالتركيب في الجملة العربية لم يسلم من بعض الغموض في مواضع محددة نص عليها النحاة في كتبهم [1] محددين ضوابط عرف بعضها بـ« نحو الخروج عن النحو »، وكانوا يبتغون من وراء ذلك رفع اللبس عن ذهن المتلقي، ومن هذه الضوابط :

1 - رفع اللبس بالإفادة من الحرف زيادة أو حذفا من غير تعويض أو بتعويض :

فمن الزيادة ما جاء في باب التمييز حيث زيدت (من) للتفريق بين التمييز والحال، في نحو قولهم: (لله دره من فارس). قال ابن يعيش :

« هذا الموضع ربما التبس فيه التمييز بالحال، فأتوا بـ(مِن) لتخلصه للتمييز »[2]؛ لأنك لو قلت: (لله دره فارسا) صح أن تعنى في هذه الحال، « فلما كان قد يقع فيه لبس مشتبهين فصل بينهما بدخول (من). »[3]

(*) جامعة البحرين - كلية الآداب

ومن الحذف - بدون تعويض - جواز حذف (لا) النافية قبل مضارع غير مؤكد بالنون، كما في قوله تعالى: ﴿ قالوا: تالله تفتؤ تذكر يوسف ﴾[4]، أي لا تفتأ. وقد ساغ هذا الحذف «للعلم بأن الإثبات غير مراد، لأنه لو كان مرادا لجيء باللام والنون، بخلاف المؤكد بها، لأنه يلتبس حينئذ بالمثبت»[5].

ومما جاء في منع اللبس عن طريق حذف حرف مع التعويض جواز حذف ياء المتكلم وتعويض التاء منها في نحو (يا أبت) و(يا أُمّت)، أي (يا أبي) و(يا أمي).

قال ابن يعيش: «ولا تدخل هذه التاء عوضا فيما له مؤنث من لفظه، ولو قلت في يا خالي ويا عمي: (يا خالت) و(يا عمت) لم يجز، لأنه كان يلتبس بالمؤنث، فأما دخول التاء على الأم فلا إشكال فيه لأنها مؤنثة، وأما دخولها على الأب فلمعنى المبالغة من نحو راوية وعلامة»[6].

وتعليل ابن يعيش لدخول التاء على (يا أبي) بأنه للمبالغة، تعليل عجيب، فأين المبالغة في (يا أبت)؟!

2 - رفع اللبس بالاعتماد على الرتبة، ومنه وجوب تقديم الفاعل على المفعول إن خيف اللبس، بسبب خفاء الإعراب وعدم وجود القرينة التي تميز الفاعل من المفعول في نحو ضرب موسى عيسى[7].

3 - رفع اللبس عن طريق الصياغة، ومنه الإتيان بنون الوقاية لتقي من التباس أمر المذكر بأمر المؤنث في نحو (أكرمني)، ومن التباس ياء المتكلم بياء الخطاب فيه، ومن التباس الفعل بالإسم[8].

4 - رفع اللبس بالإعراب وهو من أهم الضوابط السابقة، وسنقف عليه وقفة متأنية لنتبين حقيقته بين مجرد كونه علامة المواقع الإعرابية المختلفة، وبين وظيفته في الدلالة على المعاني. ويجب التنبه هنا إلى أن الإعراب يشكل عاملا واحدا من عوامل كثيرة - في العربية - لإفراز الدلالة وتوليدها، فهو ليس العامل الوحيد، ولكنه من أهم العوامل. وتظهر هذه الأهمية جلية في نحو (ما أحسن زيد) برفع (زيد) في النفي، وبنصبه في التعجب، وبجره في الاستفهام، فلولا الإعراب لا لتبست هذه المعاني[9].

ولا ريب أن العلامة الإعرابية رمز يدل على الوظيفة الدلالية للكلمة، وهذا يعني أن الإعراب ليس مجرد صناعة نحوية فحسب، وإنما هو وسيلة لبيان المعاني. فهذا السيوطي ينص على أن القصد من الإعراب هو الإبانة عن المعاني المختلفة[10]، وأن الأصل فيه أن يكون للفرق بين هذه المعاني[11]. ويقول الجامي: «... فإذا تداولت المعاني المختلفة المتقضية للإعراب على المعرب متعاقبة متناوبة غير مجتمعة لتضادها، ينبغي أن تكون علاماتها أيضا كذلك، فوقع بسببها اختلاف في آخر المعرب. فوضع أصل الإعراب للدلالة على تلك المعاني، ووضع بحيث يختلف به آخر المعرب لاختلاف تلك المعاني. وإنما جعل الإعراب في آخر الاسم المعرب، لأن نفس الاسم يدل على المسمى، والإعراب يدل على صفته. ولاشك أن الصفة متأخرة عن الموصوف، فالأنسب أن يكون الدال عليها أيضا متأخرا عن الدال عليه. وهو مأخوذ من أعربه، إذا أوضحه. فإن الإعراب يوضح المعاني المقتضية»[12].

فالجامي ينطلق من نظر واضح وتصور دقيق لوظيفة الإعراب الدلالية في خدمة المعاني.

وذكر أبو علي الشلوبين أن فائدة الإعراب - في الأصل - «الدلالة على المعنى الذي يحدث بالعامل».[13]

وبالرغم من كثرة هذه النصوص القاطعة في الوظيفة الدلالية للإعراب، يميل كثير من النحاة ولاسيما القدماء إلى القول بالصناعة النحوية فحسب في تفسيرهم العلامة الإعرابية، فالرفع عندهم علم الفاعلية والنصب علم المفعولية والجر علم الإضافة.[14] وهذا مما جعل ابن هشام يأخذ على المعربين مراعاتهم ما يقتضيه ظاهر الصناعة، وإغفالهم مراعاة المعنى، وذكر أنه كثيرا ما تزل الأقدام بسبب ذلك. ولذلك نص على أن «أول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه مفردا أو مركبا».[15]

وإذا قصرنا الإعراب على مجرد الصناعة النحوية على نحو ما ذهب إليه هؤلاء النحاة، فإننا نصطدم ببعض الأمور - في زعمهم أن الرفع علم الفاعلية والنصب علم المفعولية، وتظهر هذه الأمور جلية فيما يأتي:

1 - الأفعال التي تدل على المشاركة في صيغة (تفاعَل) نحو تضارب وتقابل وتقاتل، وصيغة فاعَل نحو ضارب وقابل وقاتل وغيرها.

2 - التنازع في نحو (ضربت وضربني زيد) و(ضربني وضربت زيدا).

3 - أفعال المطاوعة نحو انكسر وانغلق وانشق وتدحرج وتعلم وتشرد وغيرها.

أولا: تأتي الأفعال الدالة على المشاركة في صيغتي (تفاعَل و(فاعَل) كما في تضارب وضارب ونحوهما من مثل قولنا: (تضارب زيد وعمرو)، فجاء كل من (زيد) و(عمرو) مرفوعين على الفاعلية في البنية النحوية للجملة، مع أن المعنى يدل على أن كل واحد منهما ضاربٌ - أي فاعل قائم بالضرب - ومضروبٌ أي مفعول يقع عليه الضرب. وإذا كان المعنى كذلك فلم اختص اللفظان بالرفع دون النصب؟ وتجيب الصناعة النحوية عن هذا، بأن الأول (زيد) فاعل مرفوع والثاني (عمرو) معطوف عليه مرفوع مثله. ولكن هذا لا يرفع الإشكال في كون كل واحد منهما فاعلا ومفعولا به في آن واحد!

وتصبح المسألة تعقيدا في صيغة (فاعَل) إذ لا يلزم فيها حرف العطف على نحو قولنا: (ضارب زيد عمرا) حيث يرفع (زيد) على أنه فاعل، وينصب (عمرو) على أنه مفعول به. ولكن ألا يحتمل أن يكون (عمرو) فاعلا كذلك، بمعنى أنه إذا ضاربه زيد، ألا يرد عليه الضرب بالضرب، فإن لم يكن فاعلا بهذا المعنى، ألا يكون فاعلا بالمعنى السلبي؟ يعني بعدم الرد على الضرب بالضرب، ولكن بالدفاع عن نفسه بيديه، أو بأي وسيلة؟ فهو فاعل في كلا الحالين، لأنه يقوم بفعل معين، وكذلك الأمر في (زيد) إذ يحتمل أن يكون مفعولا به. والدليل على احتمال كون (عمرو) مشتركا مع (زيد) في الفاعلية ما نقله ابن هشام من تجويز بعض النحويين رفع نعت (عمرو) في نحو: (ضارب زيدٌ عمرا الجاهلُ) لأنه نعت المرفوع في المعنى، ولأن كليهما مشتركان في إيجاد الفعل،[16] فلولا تضمن (عمرو) معنى الفاعلية لما صح رفع نعته. هذا ويصح في (الجاهل) أن يكون نعتا مقطوعا إلى الرفع في ذم على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هو).

والمسوغ الذي اعتمده النحاة في تخصيص

(زيد) بالفاعلية، مسوغ وضعي يعتمد على فكرة الإسناد الذي تواضعوا عليه في تعريفهم الفاعل بأنه الاسم المرفوع المسند إليه فعل على طريقة فعل أو شبهه.[17] أو بأنه ما أسند إليه عامل مفرغ على جهة وقوعه منه أو قيامه به.[18]

ويرى الرضي الأستراباذي أن صيغة (فاعل) تأتي لنسبة المشتق منه إلى أحد الشيئين، «وذلك أنك أسندت في (ضارب زيد عمرا) أصل ضارب - أي الضرب - إلى (زيد)، وهو أحد الأمرين، أعني زيدا وعمرا».[19]

ومهما يكن من أمر فإن هذا المسوغ يصادم المعنى في صيغة (فاعل) - كما سلف - لأنه مسوغ قائم على الصناعة النحوية البحتة، من غير نظر دقيق إلى دلالة التركيب.

وقد يظهر لنا مسوغ آخر لتخصيص (زيد) بالفاعلية دون (عمرو)، ذلك هو دلالة السياق على مبادرة (زيد) بالفعل، خلافا لما ذهب إليه الرضي من إنكار هذا الاحتمال بقوله: «وليس كما يتوهم من أن المرفوع في باب (فاعَل) هو السابق بالشروع في أصل الفعل على المنصوب».[20]

وسواء اتفقنا مع الرضي في قضية المبادرة والشروع أم اختلفنا، فإن ذلك لا ينفي كون (عمرا) في الجملة السابقة فاعلا في المعنى على النحو الذي سلف بيانه.

وتبقى المشكلة قائمة، لها حل ظاهري قديم لا يتجاوز اللفظ، وذلك بالقول إن المرفوع فاعل والمنصوب مفعول به، أو القول بوجوب الترتيب الأصلي في الجملة الفعلية، بحيث يكون الأول فاعلا والثاني مفعولا به لأن التركيب فيه لبس.

وبهذا يكون المعنى على حاله من الاضطراب والتأرجح بين الفاعلية والمفعولية. وهذه حقيقة يجب التسليم بها، لأن طبيعة الأفعال التي تدل على المفاعلة فيها اشتراك في القيام بالفعل من قبل طرفين، وفيها اشتراك في وقوع الفعل على الطرفين كليهما.

والحقيقة أن هذه المسألة شغلت القائلين بأن الرفع علم الفاعلية والنصب علم المفعولية، ولكنهم لم يتنازلوا عنها رغم ما اعترضهم من إشكالات في بعض النصوص، ومنها قول أوس بن حجر في وصف حمار وحشي يسوق أتانه :

تُواهِقُ رجلاها يداها ورأسُهُ
لها قَتَبٌ خَلْفَ الزَميلة رادفُ

ومعنى البيت أن هذه الأتان تكاد رجلاها تسبق يديها لشدة سرعتها، ورأس الحمار أصبح كالقتب لها لملازمتها إياها.

وقوله : (تواهق رجلاها يداها) كقولك: (ضارب زيد عمرو) برفع الاسمين، وذلك مما يشكل. وليس أدل على وقوع الإشكال في هذا البيت أنه روى برفع (يداها) وبنصبه. قال تاج الدين الإسفراييني معللا وجه الرفع: «إن الفاعل لما لم يتميز من المفعول بالذات، بل بالوضع، لكون الفعل مما يستوي فيه الطرفان، بحيث ينعكس عكسا سواء - رفع الاسمين معا بعده على سبيل توهم الفاعلية فيهما معا، لما كانت تصح في كل واحد منهما على سبيل البدل، وللعدول به إلى غير ذلك ندحة للمساغ».[21]

فالإسفراييني هنا يتعصب لتغليب الصناعة النحوية على الوظيفة الدلالية للفاعل في قوله «وللعدول به إلى غير ذلك ندحة للمساغ» حيث يميل إلى رفض رفع الاسمين معا، مع أنه يصرح بأن العامل - وهو الفعل هنا - مما يستوي فيه الطرفان.

وكذلك يظهر تعصب الإسفراييني للصناعة النحوية حينما يقرر أن الفاعل لا يتميز من المفعول «بالذات» بل «بالوضع» أي بما تواضع عليه النحاة وقرروه من قواعد. والبيت من شواهد سيبويه، وقد رواه برفع (يداها) على إضمار فعل [22].

ورواه البغدادي:

تُواهِقُ رجلاها يديه ورأسُه

له نَشَزٌ فوق الحَقيبة رادِفُ

بنصب (يديه)، وبتذكير الضمير فيه ليعود على الحمار. وقال «معلقا على رواية الرفع عند سيبويه» وأنشده [- يعني سيبويه -]: (تواهق رجلاها يداها) برفعهما، على أن اليدين مضافة إلى ضمير مؤنث، وهو ضمير الأتان.

والشاهد فيه رفع (يداها) بإضمار فعل، ولم يجعلهما مفعولين، فكأنه قال بعد قوله: (تواهق رجلاها): تواهقهما يداها، محمول على المعنى، لأنه إذا واهقت الرجلان اليدين، فقد واهقت اليدان الرجلين» [23].

ونقل البغدادي عن ابن خلف في شرحه شواهد سيبويه، وكأنه يتبنى تعليله لوجه النصب قائلا: «اليدان منصوبة بتواهق. وإنشاده: (تواهق رجلاها يديه)، والمعنى يوجب أن تكون اليدان مضافة إلى ضمير مذكر، وهو ضمير الحمار، وذلك أن المواهقة هي المسايرة، وهي المواعدة، والحمار يقدم أتانه بين يديه، ثم يسير خلفها، يعني أن يديه تعملان كعمل رجلي الأتان، ورأسه فوق عجز الأتان كالقتب الذي يكون على ظهر البعير» [24].

وتفسير الضمير في هذا الوجه أقرب إلى المعنى في تحقيق الصورة الشعرية التي يريدها الشاعر، ولكنه لا يرفع الإشكال والتداخل بين الفاعل والمفعول في (رجلاها) و(يديه).

وعقد المبرد في المقتضب بابا - بعنوان: «ما يحمل على المعنى وحمله على اللفظ أجود» [25] - روى فيه الشاهد بنصب (يديه)، ثم قال: «فمن أنشده برفع (اليدين) فقد أخطأ، لأن الكلام لم يستغن، ولو جاز لجاز: (ضارب عبدُ اللـــه زيدٌ)، لأن من كل واحد منهما ضربا» [26].

وواضح أن المبرد هنا يعتمد على القياس في تصحيح الرواية عنده متعصبا لصناعته النحوية.

وخلاف هذا الذي ذهب إليه المبرد ما ذكره محمد بن جعفر التميمي من إباحته للشاعر «أن يستعمل معنى في الإعراب، ولا يجوز مثله في الكلام، ولكن يجوز له هو أن يستعمله. وهو أن يقول: (قاتل زيد عمرو)، لأن كل واحد في المعنى فاعل بصاحبه» [27] ثم أورد الشاهد برواية الرفع معقبا عليه بقوله: «وقد زعم قوم أن هذا لا يجوز، وقالوا: هو فساد الإعراب، وقلب ما عليه الأصول» [28].

فالتميمي يحمل وجه الرفع على الضرورة الشعرية، لكي لا يفسد الصناعة النحوية.

ويتبين من هذا كله أن سبب الإشكال في البيت هو الغموض الذي اعترى المعنى من فعل (المواهقة)، لأنه (مفاعلة) تقتضي مشاركة الفاعل والمفعول في القيام بالفعل، وذلك مما أوقع النحاة في اختلاف إعراب (اليدين)، أهو فاعل مرفوع؟ أم أنه مفعول به منصوب؟ وقاد هذا الخلاف بينهم إلى خلاف آخر في الضمير المتصل باليدين، أهو مؤنث يعود على الأتان؟ أم أنه مذكر يعود على الحمار؟

ومثل هذا الشاهد قول الشاعر:(29)

قَدْ سالَمَ الحيَّاتُ منه القَدَما

الأفْعُوانَ والشُّجاعَ الشَّجْعَما

يصف راعيا بخشونة قدميه وغلظ جلدهما، فالحيات لا تؤثر فيهما. والبيت من شواهد سيبويه، استشهد به على إضمار الفعل الناصب للأفعوان معللا ذلك بقوله: «لأنه قد علم أن القدم ها هنا مسالِمة، كما أنها مسالَمة، فحمل الكلام على أنها مسالَمة».(30)

ونقل محمد بن جعفر التميمي توجيها آخر في البيت هو «أن قوله: (القدما) يريد به (القدمان)، وأنهما فاعلان، وأن (الشجاع) و(الأفعوان) مفعولان، ولكن أسقط النون، كما أسقطها في قوله:

أبَنِي كليب إنَّ عَمَّيَّ اللَّذا

قَتَلا الملوكَ وفَكَّكا الأغْلالا (31)

ثم رد هذا التوجيه بحجة أن حذف النون من الاسم الموصول - في هذا البيت - حسن لطول الاسم، ولا يجوز فيما تقدم،(32) يعني في (القدما).

وهذا التوجيه منقول عن الكوفيين، كما صرح به ابن جني. ولهم فيه عدة شواهد غير ما ذكره التميمي. والرواية عندهم على هذا بنصب (الحيات)، لأنهم ذهبوا إلى أن الشاعر أراد القدمان فحذف النون،(33) على نحو ما تقدم.

ورواه السيرافي بنصب (الحيات) وما بعده، وعلق على روايته قائلا: «وكان الوجه (الأفعوانُ والشجاعُ الشجعمُ)، غير أن قوله: (قد سالم الحيات منه القدما) يوجب أن القدم أيضا قد سالمت الحيات، لأن باب المفاعلة يوجب اثنين كل واحد منهما يفعل بصاحبه مثلما يفعل به صاحبه، فلما ذكر مسالمة الحيات للقدم، دل أن القدم قد سالمت أيضا، فكأنه قال: وسالمت القدم الشجاع الشجعما، فحذف لما ذكرنا».(34)

واستشهد بعض النحاة بالبيت - بنصب (الحيات) - مثالا على «إعطاء الفاعل إعراب المفعول وعكسه عند أمن اللبس»، وذلك من باب (خرق الثوبُ المسمارَ)، و(كسر الزجاجُ الحجرَ).(35) وهذا عجيب، لأن أمن اللبس واضح في مثل هاتين الجملتين، لتمام وضوح القرينة، ولخلو السياق فيهما من إشكالات دلالية أو مجازية، بخلاف الشاهد الذي يعبر عن مجاز في قوله: (قد سالم الحيات منه القدما)، فضلا عن أن الفعل (سالم) مختلف عن (خرق) أو (كسر)، فسالم يدل على مفاعلة تقتضي المشاركة كما تقدم. ويجاذبك في الشاهد معنى المسالمة من طرفين، فالرِّجل تسالم الحيات، لأن الحيات تتحمل وطأتها، والحيات تسالم الرجل لأن الرجل تتصف بالغلظة.

فلا يسوغ - إذن - قياس (خرق الثوب المسمار)

على هذا الشاهد ونحوه، ولكنه تورط النحاة فيما قرروه سلفا من القواعد النحوية، فلابد لها عندهم من قياس وإن كان بعيدا!

فما المخرج؟ المخرج هو التوسع في جواز حمل مثل هذا الشاهد وسابقه على المعنى وعلى اللفظ سواء بسواء، فلابد من الجمع بين المعنى الذي يدل على قيام الجهتين معا بالفعل، وبين اللفظ الذي يقرر سلامة بنية التركيب نحويا وفقا لنظرية العامل، التي تقتضي أن المرفوع فاعل اصطلاحا وتواضعا، كما ذهب إليه القدماء من النحويين. وهذا يعني أنه لابد من التفرقة بين الفاعل النحوي، وهو الذي تقتضيه الصناعة، وبين الفاعل الحقيقي، وهو الذي يفهم من معنى التركيب. وبالجمع بينهما في ضوء هذا التصور تسلم القاعدة التي فرضت الرفع علما للفاعلية والنصب علما للمفعولية، من غير حاجة إلى التأويل بالضرورة، ويسلم المعنى ويصح بوجهيه، وذلك على النحو التالي:

في الشاهد الأول وجهان: فإذا حملناه على اللفظ كانت الرواية: (تواهق رجلاها يديه)، والمعنى أن رجلي الأتان تسايران يدي الحمار. ويكون الرجلان فاعلا واليدين مفعولا.

وإذا حملناه على المعنى كانت الرواية (تواهق رجلاها يداها)، وتقع المفاعلة من كل من (الحمار) و(الأتان). ولابد عندئذ من تقدير محذوف يكون عاملا في رفع (يداها)، وتأويله (وتواهق يداها رجلاها)، لأن اليدين مواهقتان كما أنهما مواهَقتان.

وفي الشاهد الثاني وجهان: فإذا حملناه على اللفظ كانت الرواية: (قد سالم الحيات منه القدما) برفع (الحيات) على الفاعلية ونصب القدم على المفعولية وما بعده على البدلية، والمعنى أن الحياة تسالم القدم.

وإذا حملناه على المعنى كانت الرواية برفع كل من (الحيات) و(القدم)، على أن نون المثنى محذوفة تخفيفا للضرورة، وتأويل المعنى على هذا الوجه يلزمه إضمار فعل قبل (القدم) والتقدير: (سالم القدمان)، ونصب (الأفعوان) و(الشجاع) بأعني، وذلك أقوى للمعنى من نصبهما على البدلية كما جاء في الوجه الأول.

وهكذا تتداخل الفاعلية والمفعولية في الأفعال الدالة على المشاركة، مما يؤدي إلى إشكال ظاهر في القاعدة النحوية لدى المتلقي، ويكون الفيصل في رفع الغموض عن التركيب - عندئذ - مراعاة المعنى أكثر من التمسك بالقواعد النحوية، فيسلم المعنى، ويفهم من التعبير الفاعلية من طرفين والمفعولية من طرفين في آن واحد.

ثانيا: التنازع في نحو (ضربت وضربني زيد) و(ضربني وضربت زيدا)، حيث يفهم من زيد معنى الفاعلية والمفعولية معا في الجملتين، ومع ذلك فقد رفع في الجملة الأولى ونصب في الثانية. ومثل هذا التركيب يفرض على الكلام تداخلا بين الفاعل والمفعول من حيث المعنى، وإن كان التداخل مفسرا في الصناعة النحوية. وقد سبق إلى بيانه سيبويه، فعقد له عنوانا قال فيه: «هذا باب الفاعلَيْن والمفعولَيْن اللذين كل واحد منهما يفعل بصاحبه مثل الذي يَفْعَل به»،(36) وهذا العنوان فيه دلالة

واضحة على التداخل بين الفاعل والمفعول. وربما قصد إليه سيبويه قصدا، ولم يطلق عليه باب التنازع الذي عرف به فيما بعد.

وفسر سيبويه هذا التداخل في موقع (زيد) في الجملتين بقوله: « تحمل الاسم على الفعل الذي يليه، فالعامل في اللفظ أحد الفعلين، وأما في المعنى فقد يعلم أن الأول قد وقع [-أي وقوع الفعل الأول على المفعول من جهة المعنى-] إلا أنه لا يعمل في اسم واحد نصب ورفع، وإنما كان هذا الذي يليه أولى لقرب جواره، وأنه لا ينقض معنى، وأن المخاطب قد عرف أن الأول قد وقع بزيد. »[37]

وهذا تفسير صناعي، ولكنه لا يغفل المعنى، بل ينص سيبويه في موضع آخر على أن « الفعل الأول في كل هذا مُعْمَل في المعنى، وغير مُعْمَل في اللفظ، والأخر مُعْمَل في اللفظ والمعنى. »[38]

وهذا الذي ذهب إليه سيبويه من أن العامل النحوي في باب التنازع هو الفعل الثاني لقربه هو الذي أخذ به البصريون من بعده، خلافا للكوفيين الذين أعملوا الأول لسبقه. »[39]

ويظهر من هذا كله أن (زيدا) في البنية العميقة للجملتين فاعل ومفعول به في المعنى في آن واحد، ولكن العامل هو الذي يقرر الفاعل والمفعول نحويا، وعليه يجري تحديد العلامة الإعرابية.

ثالثا : وكذلك يقع مثل هذا التداخل بين الفاعل والمفعول - بالنظر إلى أصل المعنى - في أفعال المطاوعة من صيغ مختلفة منها (انْفَعَل) و(تَفَعَّل) و(فَعَّل) نحو اندفع وانكسر وانزعة وتعلم وتشرد وتدحرج وغيرها.

« ومعنى المطاوعة أن تريد من الشيء أمرا ما فتبلغه، إما بأن يفعل ما تريده، إذا كان مما يصح منه الفعل، وإما أن يصير إلى مثل حال الفاعل الذي يصح منه الفعل، وإن كان مما لا يصح منه الفعل. »[40]

وقال الصبان: « المطاوعة قبول فاعل فعل أثر فاعل فعل آخر يلاقيه اشتقاقا. وإن شئت قلت: حصول الأثر من الأول للثاني، مع التلاقي اشتقاقا. »[41]

ومثل هذه الأفعال لا تحتاج إلى مفاعيل لأنها لازمة في أصلها ولكن التعدية مفهومة منها معنى لا لفظا، وذلك باعتبار أن كل فعل من هذه الأفعال المطاوعة له أصل، وهو يطاوع أصله بإرادة الفاعل، فإذا قلت: (اندفع زيد)، فأصله (دفعت زيدا فاندفع زيد). فدفع فعل متعد وفاعله التاء، وأثره الاندفاع، ومفعوله (زيد). و(اندفع) فعل لازم وفعاله (زيد)، فزيد على هذا فاعل ومفعول به لو اعتبرنا بالمعنى وباللفظ على السواء رجوعا إلى أصل الفعل. وكذلك إذا قلت: (علَّمتُ عمرا فتعلم عمرو)، و(مددت الحبل فامتد الحبل)، فعلَّمت فعل متعد وفاعله التاء، وأثره التعلم، وتعلم لازم وفاعله (عمرو)، وقد قوع عليه أثر العلم وهو التعلم.

وكل من (زيد) في المثال الأول، و(عمرو) في المثال الثاني، و(الحبل) في المثال الثالث فاعل ومفعول، على النحو الذي تبين. ولكن الألفاظ الثلاثة مرفوعة على الفاعلية، مراعاة للفظ الفعل، فلم لم تنصب على المفعولية، مراعاة للمعنى المفهوم من أصل الفعل المطاوع؟

والجواب أن النحاة لا يلتفتون في صناعتهم

النحوية إلى الأصل المطاوع لكل فعل من هذه الأفعال. وعندما يطوى هذا الأصل تسلم عندهم القاعدة النحوية فيكون (اندفع زيد) فعلا وفاعلا وحسب.

وموقف النحاة هنا - في تجنب الخوض في أصل المعنى - أقوى من موقفهم من أفعال المشاركة، وذلك أن كلا من الفاعل والمفعول مذكوران في أفعال المشاركة، وأما في أفعال المطاوعة فلا ذكر للمفعول وإنما اعتبر فيها الفاعل والمفعول شيئا واحدا بالنظر إلى أصولها المطاوعة في حقيقة المعنى.

والسبب في أن الموقف هنا أقوى هو أن هذه الأصول غير مذكورة في الكلام، ولا تذكر إلا في المعالجة الصرفية للأفعال.

ولو نظرنا إلى أصل أفعال المطاوعة لاتضح أنه عبارة عن جملتين: (دفعت زيدا) و(اندفع زيد)، فزيد وقع مفعولا مرة، ووقع فاعلا مرة أخرى، ولا ضير إذ جاء في جملتين مختلفتين، وذلك لا يضر بالتركيب ولا يؤدي إلى أي إشكال. وهذا يعني أن التداخل بين الفاعلية والمفعولية في أفعال المطاوعة إنما يقع على المستوى الدلالي، بالنظر إلى أصل الفعل، فيكون (زيد) المفعول فاعلا. وأما على المستوى النحوي فالتركيب الذي ورد فيه (زيد) يبقى سليما لا إشكال فيه، باعتبار أنه ورد في جملتين مختلفتين، وإن كانت الثانية نتيجة للأولى.

وقد افترض الدكتور مازن الوعر أن افعال المطاوعة أفعال مبنية للمجهول، وأنها تقوم على عملتين: إحداهما دلالية، والأخرى نحوية، واحتج على فرضيته بغياب الفاعل الحقيقي في أفعال المطاوعة، وهذا يعني أن (زيدا) في قولك: (اندفع زيد) فاعل نحوي، وليس فاعلا دلاليا؛(42) لأن (زيدا) في أصله مفعول به كما تقدم.

ونخلص من هذا كله إلى أنه لا يمكن إنكار وقوع التداخل بين الفاعلية والمفعولية في بعض الصيغ والتراكيب العربية، وأن المشكلة فيها ليست محسومة بعد حسما قاطعا إلا بالتمييز بين الفاعل النحوي وبين الفاعل في المعنى.

هوامش البحث

(1) انظر في ذلك كتيبا بعنوان: مواضع اللبس عند النحاة والصرفيين، لزين الخويسكي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1989م.

(2) شرح المفصل، لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج 73/2.

(3) نفسه.

(4) سورة يوسف /85.

(5) همع الهوامع شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تح. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1975م، ج 40/1.

(6) شرح المفصل، ج 11/1-12.

(7) شرح الاشموني على الفية ابن مالك، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1939، ج 180/2.

(8) همع الهوامع، ج 223/1.

(9) المقدمة النحوية لطاهر بن احمد بابشاذ، تح. محمد ابو الفتوح شريف، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية، القاهرة، 1978م، ص 76. وانظر التبصرة والتذكرة، لعبد الله بن علي الصيمري، تح. فتحي علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1982م، ج76/1.

(10) همع الهوامع، ج 40/1.

(11) الفرائد الجديدة، للسيوطي، تح. محمد الكزني، وزارة الاوقاف، بغداد، 1977م، ص 201.

(12) الفوائد الضيائية (شرح كافية ابن الحاجب)، نور الدين عبد الرحمن الجامي، تح. أسامة الرفاعي، وزارة الأوقاف، بغداد، 1983م، ج 194/1.

(13) التوطئة، لابي علي الشلوبين، تح. يوسف المطوع، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1981م، ص 116.

(14) انظر المفصل في علم العربية، للزمخشري، دار الجيل، بيروت، 1323هـ ص 18. وانظر شرح المفصل، لابن يعيش ج 73/1.

(15) مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، لابن هشام، تح. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، 1964م، ص 684.

(16) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت، 1988م، ص 54.

(17) شرح الرضي على الكافية، للرضي الأستراباذي، تح. يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، 1978م، ج 185/1-186.

(18) همع الهوامع، ج 253/2.

(19) شرح شافية ابن الحاجب، للرضي الاستراباذي، تح. محمد نور الحسن وآخرين، المكتبة التجارية، القاهرة، 1939م، ج 96/1.

(20) نفسه 101/1.

(21) انظر لباب الإعراب، لتاج الدين محمد بن محمد الإسفرايني، تح. بهاء الدين عبد الوهاب، دار الرفاعي، الرياض، 1984م، ص 221-222.

(22) الكتاب، لسيبويه، تح. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م، ج 287/1.

(23) شرح شواهد المغني، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تح. عبد العزيز رباح وأحمد دقاق، مكتبة دار البيان، دمشق، 1973م، ج 171/1.

(24) نفسه ج 171/1-172.

(25) المقتضب، للمبرد، تح. محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج 281/3.

(26) نفسه ج 285/3.

(27) ضرائر الشعر، محمد بن جعفر التميمي، تح. محمد زغلول سلام ومحمد مصطفى هدارة، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1973م، ص 106.

(28) نفسه ص 107.

(29) من أرجاز العجاج، وقيل لابي الحيان الفقعسي، وقيل لمساور بن هند العبسي، وقيل للتدمري، وقيل لعبد بني عبس ونسب لغيرهم. انظر شرح شواهد المغني، للسيوطي، بتصحيح الشنقيطي، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1966م، ج 973/2، والمقتضب ج 283/3، وشرح الابيات المشكلة الإعراب، لابي علي الفارسي، تح. حسن هنداوي، دار القلم دمشق، 1987م، ص 539-540.

(30) الكتاب ج 287/1، والمقتضب ج 283/3.

(31) ضرائر الشعر، للتميمي، ص 108.

(32) نفسه.

(33) انظر الخصائص، لابن جني، تح. محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ج 430/2.

(34) ما يحتمل الشعر من الضرورة، لابي سعيد السيرافي، تح. عوض القوزي، مطابع الفرزدق، الرياض، 1989م، ص 246.

(35) مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ج 781/2.

(36) الكتاب 73/1.

(37) نفسه 73/1-74.

(38) نفسه 77/1.

(39) شرح الرضي على الكافية 204/1 وما بعدها.

(40) المنصف، لابن جني، تح. إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1954م، ج 71/1.

(41) حاشية الصبان علي شرح الاشموني على الفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت، ح 89/2.

(42) انظر التوليد النحوي الدلالي لصيغ المبني للمجهول في اللغة العربية، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد 36، الرباط، 1992، ص 33.

المراجع

أولا : الكتب

1 ـ التبصرة والتذكرة، لعبد الله بن علي الصيمري، تح. فتحي علي الدين، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، 1982م.

2 ـ التوطئة، لابي علي الشلوبين، تح. يوسف المطوع، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1981م.

3 ـ حاشية الصبان على شرح الاشموني علي الفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.

4 ـ شرح الابيات المشكلة الإعراب، لابي علي الفارسي، تح. حسن هنداوي، دار القلم دمشق، 1987م.

5 ـ شرح الاشموني على الفية ابن مالك، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1939.

6 ـ شرح الرضي على الكافية، للرضي الاستراباذي، تح. يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، 1978م.

7 ـ شرح شافية ابن الحاجب، للرضي الاستراباذي، تح. محمد نور الحسن وآخرين، المكتبة التجارية، القاهرة، 1939م.

8 ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1988م.

9 ـ شرح شواهد المغني، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تح. عبد العزيز رباح وأحمد دقاق، مكتبة دار البيان، دمشق، 1973م.

10 ـ شرح شواهد المغني، للسيوطي، بتصحيح الشنقيطي، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1966م.

11 ـ شرح المفصل، لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

12 ـ ضرائر الشعر، محمد بن جعفر التميمي، تح. محمد زغلول سلام ومحمد مصطفى هدارة، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1973م.

13 ـ الفرائد الجديدة، للسيوطي، تح. محمد الكزني، وزارة الاوقاف، بغداد، 1977م.

14 ـ الفوائد الضيائية (شرح كافية ابن الحاجب)، نور الدين عبد الرحمن الجامي، تح. أسامة الرفاعي، وزارة الاوقاف، بغداد، 1983م.

15 ـ الكتاب، لسيبويه، تح. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م.

16 ـ لباب الإعراب، لتاج الدين محمد بن محمد الإسفراييني، تح. بهاء الدين عبد الوهاب، دار الرفاعي، الرياض، 1984م.

17 ـ ما يحتمل الشعر من الضرورة، لابي سعيد السيرافي، تح. عوض القوزي، مطابع الفرزدق، الرياض.

18 ـ مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، لابن هشام، تح. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، 1964م.

19 ـ المفصل في علم العربية، للزمخشري، دار الجيل، بيروت، 1323هـ.

20 ـ المقتضب، للمبرد، تح. محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

21 ـ المقدمة النحوية لطاهر بن احمد بابشاذ، تح. محمد ابو الفتوح شريف، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية، القاهرة، 1978م.

22 ـ المنصف، لابن جني، تح. إبراهيم مصطفى وعبد الله امين، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1954م.

23 ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تح. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1975م.

ثانيا : المجلات

مجلة اللسان العربي، العدد 36، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الرباط، 1992.

الفكر الرياضي والنحو العربي

الدكتور / محمد كشاش(*)

اقتضت الحاجة إلى إيلاء العربي العلوم العددية جانبا من اهتمامه، وذلك لمعرفة حساب الأهلة[1] وسواه. وازدادت الأهمية بعد نزول القرآن، لما تضمن من أحكام في المعاملات والفرائض[2]. ومع الأيام نمت العلوم الرياضية في الحياة الفكرية العربية، وارتقت من حاجة تفرضها أسباب المعيشة، إلى درجة يمليها نحو الفكر، ونشدانه الغوص في لجج المعرفة، والتضلع من العلوم، والوقوف على حقائق الأمور.

تتبع علماء العرب مجاري الثقافات، للوصول إلى ينابيعها، وذلك حين انعكفوا ينهلون من ثقافات الأمم الأخرى. وقد سهلت الفتوحات، ودخول الأمم المغلوبة في الإسلام الوصول إلى كنوز الثقافات، وما انطوت عليها من معارف وعلوم.

مثلت الترجمة دورا رئيسيا في اطلاع المسلمين على ثقافات الأمم الأخرى. وقد بزغ فجر الترجمة منذ العصر الأموي. ذكر الجاحظ ما ترجمه خالد بن يزيد بن معاوية (ت. 90 هـ/ 708 م)، قال: «...وكان أول ما ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء»[3].

إلى جانب ذلك، شهدت بيئات المستعربين العلمية نشاطا يتمثل في الأديرة، حيث كان يعقد فيها حلقات علمية، فضلا عن المدارس المتوزعة في جُنْدَيْسابور ونصيبين وحرَّان والرُّها وانطاكية والاسكندرية وما كانت تسجله من ترجمة الآثار اليونانية...[4].

واستمرت حركة الترجمة لتبلغ أوجها زمن المأمون، الذي أنشأ «بيت الحكمة» لتقوم بهذه الأعباء. ويبدو اهتمام المأمون الملحوظ فيما وصفه ابن النديم فيه، قال: «إن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات، وقد استظهر عليه المأمون فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم المخزونة المدخرة ببلد الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر، وابن البطريق، وسلْماً صاحب بيت الحكمة

(*) كلية الآداب بالجامعة اللبنانية

وغيرهم. فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل... وممن عني بإخراج الكتب من بلد الروم: محمد وأحمد والحسن بنو شاكر المنجم... وبذلوا الرغائب، وأنفذوا حنين بن إسحق وغيره إلى بلد الروم، فجاءهم بطرائف الكتب، وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والأرثماطيقى والطب...»[5].

ومهما يكن من أمر أقنية اطلاع العرب على التراث الثقافي المتنوعة، فإنهم قد وقفوا على مؤلفات الرياضيات، وأعاروها جانبا من اهتمامهم، يشهد على ذلك ما أثبته ابن النديم في تراجم العلماء، قال: «ولثابت بن قرة من الكتب: كتاب حساب الأهلة، كتاب رسالته في المسائل الهندسية، كتاب رسالته في الأعداد...»[6] وعلى شاكلة ما تقدم، قال في ترجمة سهل بن بشر: «وله من الكتب كتاب الهيئة وعلم الحساب»[7].

لم يكن العربي مجرد ناقل للرياضيات، ومطلعا على نظرياته ومبادئه، بل تعدى ذلك الدور السلبي إلى النظر فيما يترجم، وإعمال الفكر فيما ينقل. قال أحد المستشرقين: «وكان العرب، بطبيعة الحال، ينظرون فيما يترجمون، بل كانوا يترجمون بغية النظر في هذه الكتب»[8].

لقد استوعب علماء العرب التراث العلمي استيعابا مكنهم من أن يكونوا حفظة العلم وسدنة المعرفة التي حملوها من اليونان والهنود والفرس، وخلفوها إلى الأمم من بعدهم لقمة سائغة، بفضل ما أضافوه إليها من إسهامات، وما حملوها من شروح وتبسيطات. وشهادة كلود كاهن تكاد تكون دليلا على ذلك، نقل عنه قوله: «ولعلنا لا نشاهد مطلقا في التاريخ مثل ذلك الحماس الفكري الذي نشاهده عند العرب، ولم تتجمع قط المعلومات المتوفرة لأمة من الأمم بمثل ذلك الاتساع. فقد أضافوا إلى العلم الإغريقي كل ما أسهمت فيه المدنيات الشرقية الأخرى. وتيسر عرض ذلك في لغة ذات حضارة واحدة. ولئن صح أنهم انطلقوا من النصوص القديمة، لكنهم قاموا بمقارنة هذه النصوص وانتقاءها وضبطها...»[9].

نتجت عن العلوم التي هضموها واستوعبوها ثمار جنية برزت في الرياضيات. ويعتبر الخوارزمي معلمة في دنيا العلوم الرياضية، وهو يعد بحق منشئ عصر جديد في التاريخ العالمي للرياضيات...[10] لقد كان فضله بكتابه المشهور «الجبر والمقابلة»[11]، الذي أسدى به خدمات جلى لتراث الرياضيات، برز من خلال:

أ ـ اكتشاف علم الجبر ووضع قواعده واعطاؤه اسمه الذي شاع من بعده في العالم كله. ولا أدل على ذلك من أن اللفظ الإسباني «غوارزمو» GUAR-ISMO واللفظ الإنكليزي «ALGORISM» أو «AL-GORITHM» مشتق من اسم الخوارزمي[12].

ب ـ وضع قواعد الترقيم اللازمة لاستعمال الأرقام الهندية، أي الأعداد ومنازلها والصفر الذي اقتبسه الغربيون عن العرب، وبذلك أدى خدمة مزدوجة، إذ عرف العرب والأوروبيون بالأعداد الهندية. والذي يرجح ذلك، ما ذكره الدميبلي قال: «... وكتاب الخوارزمي (الجبر والمقابلة) له في هذا المجال أعظم تأثير... كان له أعظم فضل في تعريف العرب

واللاتين من بعدهم بنظام العدد الهندي، وكتابه المشهور المختصر في حساب الجبر والمقابلة لم يؤد فقط إلى وضع لفظ علم الجبر وإعطائه مدلوله الحالي، بل إنه افتتح عصرا جديدا في الرياضيات... ووضع جداول خاصة بحساب المثلثات والسطوح الفلكية»[13].

هذه الجولة الحضارية في الفكر الرياضي، تؤكد اطلاع العرب على أصول الرياضيات وتمثلهم له، واستيعابهم لقواعده، مما عاد عليه ازدهارا ونموا، بفضل ما رفدوه من استنباطات وزيادات، إلى جانب تبسيطه... كل ذلك وسمه بسمة الحياة والتطور، التي ظهرت في عدد كبير من المسائل الحسابية المألوفة في قياس السطوح والحجوم، والتوصل إلى حل بعض المسائل الميكانيكية المتصلة بعمل الطواحين والنواعير...[14].

لقد انتقل الفكر الرياضي إلى دائرة الثقافة العربية، فأثر فيها بشكل فعال في مختلف الحقول العلمية والفكرية، حتى أصبح هذا الفكر ركنا أساسيا من أركان دائرة الثقافة العربية[15].

والنحو العربي أحد حلقات الثقافة العربية المتينة، نفذ إليه الفكر الرياضي منذ وقت مبكر، يرقى إلى زمن تقعيد قواعد اللغة العربية. ويصدق هذا ما أورده القفطي عن اشتغال الخليل بن أحمد الفراهيدي بالحساب، قال: «وكان سبب موته أنه قال: أريد أن أقرّب نوعا من الحساب تمضي به الجارية إلى البقال، فلا يمكنه ظلمها...»[16].

واستطاع الخليل بفكره الرياضي أيضا أن يصل إلى ما لم يسبقه إليه أحد. فقد «استنبط من العروض ومن علل النحو ما لم يستنبطه أحد، ولم يسبقه إلى مثله سابق»[17].

ويبدو استناد الخليل إلى مبادئ الرياضيات بأجلى صورها عندما فكر في حصر ألفاظ اللغة في معجمه «العين»، وذلك عن طريق استقصاء عدد الألفاظ الناتجة عن تقاليب الحرف الواحد في كل بناء من أبنية الكلمة. قال الخليل في مقدمة معجمه: «اعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين، نحو: قَدْ ودق.. والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه... والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجها وذلك إن حروفها وهي أربعة وعشرون أحرف تُضرب في وجوه الثلاثي الصحيح وهي ستة أوجه فتصير أربعة وعشرين وجها... والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين وجها، ذلك أن حروفها، وهي خمسة أحرف تُضرب في وجوه الرباعي، وهي أربعة وعشرون حرفا فتصير مائة وعشرين وجها...»[18].

ولم يكن الخليل بفكره ومنهجه دائرة مغلقة على نفسها لا تؤثر في غيرها من النحاة، بل كان الخليل المنهل الصافي والمورد العذب الذي نهل منه كل صادٍ وظمآن إلى معرفة النحو ومبادئه. لقد ورد ماء الخليل كثرة كاثرة من النحاة، اغتنت بعلمه وبفكره، وشهادة النضر بن شميل دليل وحجة. نُقل عن ياقوت قوله: «كان النضر بن شميل يقول: أكلت الدنيا بعلم الخليل وكتبه وهو في خُصٍّ لا يُشْعَر به»[19].

سخّر الخليل ذكاءه وفطنته وفكره الرياضي لاستخراج مسائل النحو وتعليله، ووضع أحكام قواعده، وعنه تلقن أئمة النحو مبادءهم[20]. والذي

يشد الأزر ما جاء في كتاب سيبويه من نقول عن أستاذه الخليل على شاكلة قول سيبويه: «وسألت الخليل رحمه الله عن قولهم...»(21). ومنه أيضا قال الخليل رحمه الله: «كلمني يَدُهُ في يدي»(22). ومثل هذا كثير في كتاب سيبويه.

ومعروفة مكانة الكتاب السنية في تاريخ النحو العربي: إن من حيث الأسبقية والريادة في بابه، أم من حيث أنه أوعب مصدرٍ للنحو، وأحفظ كتاب له. ففي رحاب الكتاب نشأت الدراسات النحوية في المدارس المتفرقة(23). ومما يدل على أهمية الكتاب ما نقله صاعد الأندلسي، قال: «ولا أعرف كتابا ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك غير ثلاثة كتب: أحدهما كتاب المجسطي في علم هيئة الفلك وحركة النجوم، والثاني كتاب أرسطو طاليس في علم المنطق، والثالث كتاب سيبويه البصري في علم النحو العربي...»(24).

لقد غرس الخليل بن أحمد مبادئ علم الحساب في أذهان النحاة الذين تتلمذوا عليه، واستمر منهجه عبر قناة كتاب سيبويه، مما يقطع الشك باليقين على أن النحاة أخذوا باصول علم الحساب، وهم يستخرجون أصول أحكام نحوهم.

استخدم النحاة الأحكام العقلية الرياضية في تفسير الظواهر النحوية، بغية استنباط الأحكام والقوانين التي تسيِّر السلوك اللغوي في الكلام الفصيح الصحيح. وحتى يكون مع الكلام دليل، نعمد إلى استعراض بعض الأحكام النحوية.

أ ـ اجتماع الضدين (السالب والموجب) يؤدي إلى نتيجة سلبية:

اتسع هذا المبدأ ليفسر كثيرا من الأحكام النحوية، وبخاصة لما جاء مخالفا للقاعدة العامة. من أمثلة ذلك ما نصت عليه القاعدة الإعرابية من وجوب تجريد المضاف من التنوين كما في قولهم: «غُلامُ زيدٍ»(25).

وقد فسر النحاة هذا الحكم تفسيرا رياضيا قائما على محصلة المعادلة: (−) (+) = (−) (−) ويستند هذا التفسير إلى حقيقة مفادها أن الإضافة على نية الاتصال، والتنوين على نية الانفصال، يدعم ذلك ما رواه ابن الأنباري في أسراره، قال: «أما حذف التنوين فلأنه يدل على الانفصال، والإضافة تدل على الاتصال، فلم يجمعوا بينهما، ألا ترى أن التنوين يؤذن بانقطاع الاسم وتمامه، والإضافة تدل على الاتصال، وكون الشيء متصلا منفصلا في حالة واحدة محال»(26).

ومثل ذلك ما جاء في منع جمع الاسم المذكر العاقل المختوم بالتاء كـ«طلحة»، والصفة المختومة بها كـ«علامة» جمعا سالما(27). وما علة ذلك إلا الجمع بين علامتين متضادتين:

«التاء» علامة المؤنث، و«الواو» علامة المذكر، وهو ينزل منزلة حاصلة ضرب (+) (−)، فتكون النتيجة سالبة (−). والذي يرجح ما نذهب إليه ما ذكروه في تعليلهم منع هذا الجمع. نقل الإستراباذي عن النحويين، قال: «... أما القياس فلأن التاء لوبقيت مع الواو والنون لاجتمعت علامتا التذكير والتأنيث...»(28).

ويفسر على ضوء هذا ظاهرة ما جاء في إبطال بعض الأحكام النحوية، كإبطال عمل «ما» المشبهة بـ «ليس» الرفع والنصب عند انتقاض خبرها بـ «إلا». ذكر الزجاجي أن «ما» في لغة أهل الحجاز ترفع الاسم وتنصب الخبر إذا كان الخبر مؤخرا، لأنهم شبهوها بـ «ليس»... فإذا قدمت خبرها على اسمها، أو ادخلت في الخبر «إلا» بطل عملها (29)، كما في قوله تعالى: ﴿ماأنْتُمْ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا﴾(30).

وتوضيح ذلك أن «ما» معناها النفي، و«إلا» تنقض النفي، فتكون العلاقة (- x +)، ومحصلتها سالبة (–). وعليه فسر الزجاجي هذه العلاقة، بقوله: «... وبطل عمل «ما» لما انتقض النفي، لأنها إنما شبهت بـ «ليس» في باب النفي، فلما زال النفي بطل عملها...»(31).

ب ـ استعمال المعادلات الرياضية:

سلك النحاة سبلا شتى، للوصول إلى حقائق النحوالعربي. ومن المراكب التي ذللوها، وجعلوها مطية تبلغهم كشف اللثام عن السر الذي يحكم قواعدهم، استعمالهم للمعادلات الرياضية. ويبدو ذلك بأجلى مظاهره في مسألة «القول في علة إعراب الفعل المضارع»(32)، فجاءت المعادلات على النحو التالي:

المعادلة الأولى: الفعل المضارع يكون شائعا فيتخصص، كما أن الاسم يكون شائعا فيتخصص. وتوضيح ذلك في قولهم: «يذهب» يصلح للحال والاستقبال، و«سوف يذهب» اختص بالاستقبال، فاختص بعد شياعه، كما أن الاسم يختص بعد شياعه، تقول: «رجل» يصلح لجميع الرجال، فإذا قلت «الرجل» اختص بعد شياعه، فلما اختص هذا الفعل بعد شياعه كما أن الاسم يختص بعد شياعه، فقد شابهه من هذا الوجه وباختصار، ومع اعتبار الشيوع هو القيمة، يمكن صياغة المعادلة على النحو التالي:

يذهب (زمن شائع) = رجل (معنى شائع).

وسوف يذهب (زمن مختص) = الرجل (اسم مختص).

الفعل المضارع = الاسم (باعتبار الإعراب)

المعادلة الثانية: إن الفعل المضارع تدخل عليه «لام» الابتداء، تقول: «إن زيدا ليقوم»، كما تقول: «إنّ زيداً لقائمٌ» فلما دخلت عليه لام الابتداء كما تدخل على الإسم دل على مشابهة بينهما. ويمكن صياغة المعادلة على النحو التالي:

إن زيدا لقائم = إن زيدا ليقوم (باعتبار دخول لام الابتداء)

وبعد الاختزال ⇐ لقائم = ليقوم

المعادلة الثالثة: وفيها تظهر العملية الرياضية بشكل واضح، وهي: إنه يجري على اسم الفاعل في حركته وسكونه، ألا ترى أن «يَضْرِب» على وزن «ضارب».

يَضْرِب = / 0 / 0، ضَارِبْ = / 0 / 0

⇐ يضرب = ضارب (باعتبار الحركات والسكنات).

والمحصلة النهاية: مشابهة الفعل للاسم من الأوجه المتقدمة، وجب أن يكون معربا مثله.

ومن المعادلات التي اتكأ عليها النحويون، وهم يفسرون الظواهر اللغوية، ما جاء في علة اختصاص الرفع بما اختص به، والنصب بما اختص به. نقل السيوطي في كتابه الأشباه والنظائر ما يلي: «اختص الرفع بما اختص به والنصب والكسر بما اختص به، وذلك أن المرفوعات قليلة بالنسبة إلى المنصوبات إذ هي الفاعل والمبتدأ والخبر، وما ألحق بها من نائب الفاعل، واسم كان، وخبر إن، بخلاف المنصوبات فإنها أكثر من عشرة، فجعل الأثقل للأقل لقلة دورانه، والأخف للأكثر ليسهل، ويعتدل الكلام بتخفيف ما يكثر وتثقيل ما يقل»(33).

وبناء على المعطيات المذكورة في ما مضى، يمكن صياغة المعادلة التالية:

(ثقيل) (قليل) = (خفيف) (كثير)

وتبدو الأرقام في صياغة المعادلة الرياضية أكثر في باب «ذكر علة ثقل الفعل وخفة الاسم». وقد أوضح بعض النحاة ذلك بقولهم: «إنما خفَّ الاسم لأنه لا يدل إلا على المسمى الذي تحته، وثقل الفعل لدلالته على الفاعل والمفعول والمفعولين والثلاثة، والمصدر، والظرفين من الزمان والمكان، والحال وما أشبه ذلك»(34).

وقال الكسائي والفراء وهشام: الاسم أخف من الفعل، لأن الاسم يستتر في الفعل، والفعل لا يستتر في الاسم»(35).

وعلى ضوء المعطيات السابقة، يمكن إعطاء كل دلالة القيمة واحد «1»، فيكون الاسم = 1، والفعل = 2. وبمقارنة العددين يستخلص أن الفعل أثقل من الإسم.

ج ـ العلاقات بين القضايا والمسائل:

عمل النحاة بصرهم وبصيرتهم لإيجاد العلاقات بين المسائل المختلفة، ومقابلة بعضها ببعض، بغية الوصول إلى الحكم النحوي الصائب. ومنطق العلاقات يعتبر منطقا استند إليه علماء الرياضيات(36)، وتبعهم بذلك علماء النحو. من شواهد منطق العلاقات ما جاء في تقديم عامل الحال عليه وتأخيره. نصت القاعدة على ما يلي: «وللحال مع عاملها ثلاث حالات إحداها وهي الأصل أنه يجوز فيها أن تتأخر عنه كـ «جاء زيد راكبا»، وأن تتقدم عليه كـ «راكبا جاء زيد، وإنما يكون ذلك إذا كان العامل فيها فعلا متصرفا... وتتأخر عنه إذا كان عاملها فعلا جامدا، نحو ما أحسنه مقبلا...»(37).

وعلى حد ما سبق، ونتيجة لعلاقة الحال بالتمييز، اشترط في تقديم التمييز أمور: «لا يتقدم التمييز على عامله إذا كان اسما جامدا أو فعلا جامدا، نحو ما أحسنه رجلا، لأن الجامد لا يتصرف في نفسه فلا يتصرف في معموله بتقديمه عليه»(38).

والذي يدعم علاقة الحال بالتمييز، ما نقله ابن الأنباري، قال: «... ولأن هذا العامل فعل متصرف فجاز تقديم معموله عليه ـ أي على التمييز ـ كما جاز تقديم الحال على العامل فيها، نحو «راكبا جاء زيد» لأنه من فعل متصرف»(39).

د ـ الحمل والقياس:

حاول النحاة تفسير الظواهر اللغوية عن طريق إثبات محمول لموضوع أو نفيه عنه. من أمثلة ذلك ما ذهب إليه بعض النحاة إلى أن «حاشا» فعل(40)، واستدلوا على مذهبهم بتصرف «حاشا»، شاهدهم في ذلك قول النابغة (من البسيط)

ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه

وما أحاشي من الاقوام من أحد (41)

ولما تصرف الفعل «حاشا»، وجب أن يكون فعلا، لان التصرف من خصائص الافعال.

وعلى حد ما تقدم فسرت مسألة الاسم الذي لا ينصرف. وهذا الاسم لا يدخله جر ولا تنوين، وكان في موضع الجر مفتوحا، نحو مررت بـأحمد (42).

ونتيجة للحكمين السابقين اللذين لحقا الاسم الذي لا ينصرف، فقد عادل بذلك الفعل، لأن الفعل «لا جر فيه ولا تنوين» (43). ولذلك بحث النحاة عن العلل المانعة الأسماء من الصرف، وحملوها كلها على الفعل. ولما كان الفعل فرعا على الاسم، كانت الأسماء غير المنصرفة فرعا على الاسماء المنصرفة، لذلك كانت علل المنع من الصرف أدلة على مشابهة هذه الأسماء بالفعل. وحسبي دليلا على ذلك استعراض السبب الأول المانع من الصرف، وهو «وزن الفعل». قال ابن السراج: «مما جاء من الأسماء على أفعل أو يفعل أو تفعل أو نفعل، أو فعل ويفعل، وانضم معه سبب من الأسباب التي ذكرناها لم ينصرف، فأفعل نحو: أحمر وأصفر وأخضر، لا ينصرف لأنه على وزن أذهبُ وأعلم، وهي صفات، فقد اجتمع فيها علتان وأحمد اسم رجل لا ينصرف، لأنه على وزن أذهب فهو معرفة ففيه علتان...» (44).

ونظرة ثاقبة في هذه العلل، وعلى ضوء منهج رياضي، يظهر بجلاء المعيار الذي اعتمد، إنه «الحمل على الفعل». وتبدو قضية الحمل واضحة عندما يبتعد اللفظ عن صفة الفعلية، ليعود مجددا إلى أصالته وينصرف. فأحمد إذا قصد به لفظ النكرة انصرف، كما في قولهم: «مررت بأحمد وبأحمد آخر» (45). وكذلك كل ما ينصرف إذا أضيف أو دخلته الألف واللام انجر، نحو: مررت بالأحمرِ والحمراءِ وبِعُمَرِكم وعُثمانِنا» (46). وما ذلك إلا لانتفاء المعادلة الحملية التي يتساوى فيها الاسم غير المنصرف بالفعل، لأن الفعل لا يدخله الألف واللام...

د ـ استعمال خواص الأعداد :

أرجع النحاة أصل كثير من الحروف باستعمال مكونات العدد، وذلك عن طريق استبدال العدد بمجموع عددين على نحو: 3=(1+2). ويتجلى ذلك في مسألة «القول في أصل الاشتقاق، الفعل هو أم المصدر». قال البصريون أن المصدر هو الأصل، وأن الفعل بصيغته يدل على شيئين: الحدث والزمان المحصل، والمصدر يدل بصيغته على شيء واحد وهو الحدث، وكما أن الواحد أصل الاثنين فكذلك المصدر أصل الفعل» (47).

ولو افترضنا أن الدلالة على الشيء=1، فيكون المصدر=1، والفعل =1+1=2

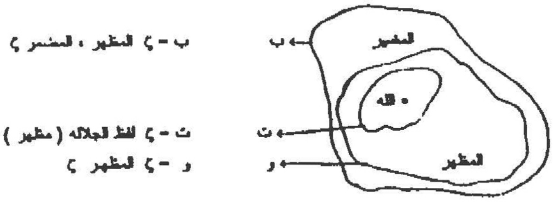
وباستعمال الخاصة السابقة، يلاحظ أن 2=(1+1)، وبذلك يظهر الواحد أصل الاثنين.

والذي يشد أزر هذا ما أثبته الخوارزمي في فصل الأرثماطيقي، قال: «العدد هو الكثرة المركبة من الآحاد، فالواحد إذا ليس بالعدد وإنما هو ركن العدد»(48).

هـ ـ استخدام المجموعات ومقارنتها:

حاول النحاة، وهم يثبتون أصل الحروف، الاتكاء على عدد عناصر المجموعات ومقارنتها، للوصول إلى المجموعة الرئيسية، وذلك باعتبار عمل كل منها عنصرا من العناصر. ولتوضيح ذلك نعمد إلى ما نقله ابن يعيش عن حكم «باء»القسم، قال: «... إن الباء أصل حروف القسم وغيرها من الحروف إنما هو محمول عليها، ولذلك تنفرد عنها بأمور منها أنها تدخل على المظهر والمضمر، وغيرها من الحروف إنما يدخل على المظهر دون المضمر، تقول: «بالله لأفعلن» «وبك لأفعلن» فتدخل على المضمر كما تدخل على الظاهر ولا تقول مثل ذلك في غيرها، لا يجوز «وَكَ لأفعلن»، ولا «تك» كما قلت «بك لأفعلنّ» (49). وتفسير ذلك عن طريق رسم مجموعة كل من أحرف القسم، وتمثيلها بغناصرها (باعتبار عملها وما تدخل عليه):

في الرسم المبين أعلاه، يظهر الحرف «الباء» وهو



يمثل المجموعة الرئيسية، على حين أن بقية أحرف القسم تمثل مجموعات جزئية في مجموعة الباء.

والذي يرجح ما نفسره ما ذكره الأنباري، قال: «والذي يدل على أنها هي الأصل ـ أي الباء ـ أنها تدخل على المضمر والمظهر، و«الواو» تدخل على المظهر دون المضمر، و«التاء» تختص باسم الله تعالى دون غيره، فلما دخلت الباء على المظهر والمضمر، واختصت الواو بالمظهر، والتاء باسم الله تعالى، دل على أن الباء هي الأصل»(50).

وفي إطار الأعداد، يلاحظ أن العرب قد أخذوا «الصفر» عن الهنود، وفعلوه وأحسنوا استعماله. وقد نفذوا من خلاله إلى إيجاد فكرة الترقيم على أساس منازل الأعداد، وباستخدام الأرقام والصفر هانت العمليات الحسابية، ثم حددت مراتب الأعداد...(51).

أما الصفر، فقد رسمه العلماء على هيئة حلقة في داخلها فراغ (0) ـ ثم أصبح رمز المجموعة الخالية،التي لاعناصر فيها ـ وهو شكل يدل على الصفر لدى الغرب(52). وعلى هدْى «الصفر» والكسور العشرية التي أوجدها العرب، واستخدموها في حساباتهم ونظام معاملاتهم(53)، توصلوا إلى معرفة الأرقام السالبة (ـ 1، ـ2...)، وهو أمر لم يفطن له علماء الجبر الأوائل الذين لم يأخذوا في حسابهم بالحلول السالبة أو التخيلية للمسائل الرياضية (54).

انعكست الحلول السالبة والتخيلية على صفحة النحو، لتظهر مشكلة ظاهرة «التقدير» (الإضمار)، الذي عرف به النحو العربي، لأن التقدير «هو نية الشيء وتصور وجوده، وكثيرا ما يستعمل في المواطن التي يقع فيها الحذف أو التي تحتاج فيها

الكلمات إلى ما يكمل معانيها »(55).

ومن يَرُمْ في أبواب النحو العربي، يجد التقدير قد دخل أكثر أبوابه. من أمثلة ما نقله سيبويه في غير باب من أبواب كتابه، كما في « باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي »(56)، قال: وذلك قولك، إذا رأيت رجلا متوجها وجهة الحاج، قاصدا في هيئة الحاج، فقلت: مكةَ وربِّ الكعبة... كأنك قلت: يريد مكة والله. ومثل ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ بلْ مِلَّةَ إبراهيمَ حَنِيفاً ﴾(57)، أي نتبع ملة إبراهيم حنيفا.

وما كان القول بالعناصر التخييلية والمستترة إلا نتيجة القول بالأرقام السالبة والصفر.

وقد كانت الحاجة ماسة إلى التقدير من قبل أن تعادل الألفاظ ما أعدت لها من المعاني. والراجح أن التقدير قد انفردت به العربية، ساعدها على ذلك قولها بوجود العناصر غير الموجودة. لهذا كان « التقدير والتأويل ضرورة في العربية، لكثرة الإيجاز فيها والحذف، إذ كانت لغة قوم يغلب عليهم الذكاء، ويكفيهم في الفهم الإشارة والرمز »(58).

و ـ التمارين غير العملية:

تعتبر التمارين غير العملية شواهد ناطقة على تلمس النحاة طرق علماء الرياضيات. وهي مواد تطبيقية تُعطى للطلاب بعد تعلمهم النظريات، من أجل ترسيخ المفاهيم النحوية في أذهانهم، لأن الطالب يكون قد جمع النظرية بالتطبيق. وهذا الصنيع إن يصلح لا يصلح إلا للمواد ذات الطبيعة العملية التي تحتمل فروضا وتمارين مصطنعة يمكن قياسها على مثيلاتها الحقيقية. ومثل هذا لا يكون إلا عند أصحاب الحساب. وقد أوضح شوقي ضيف ذلك، وهو يصف منهج الخليل، بقوله: « ... وهو إتقان جعله يقف على ما يصنعه أصحاب الحساب والرياضيات في مسائلهم الفَرْضية لترسيخ ملكة هذه العلوم في عقول الناشئة، وعلى ضوء هذا الصنيع... تولدت له ألفاظ جديدة وفروض في الصيغ بقصد مدّ تمرين التلاميذ وتدريبهم وهي ما يسميه النحاة بالتمارين غير العملية »(59).

والباحث في بطون كتب النحو وأمهاته ومجامعه يقع على كثير من التمارين غير العملية يشهد على ذلك ما جاء في كتاب سيبويه، كما في باب « ما ينصرف من الأفعال إذا سميت به رجلا، قال: زعم يونس: أنك إذا سميت رجلا بضارب من قولك: ضاربْ وأنت تأمر فهو مصروف... فإن سميت رجلا ضَرَّبَ أو ضُرِّبَ أو ضورب لم تصرف »(60). ومثل ذلك ما نقل في باب التثنية، جاء فيه: « ولو جعلت « على » اسما ثم ثنيت لقلت: « علوان »، لأنها من عَلَوْت، ولأن ألفها لازمة للانتصاب، وهي التي في قولك: على زيد درهمٌ »(61).

وقد نفذ ذلك إلى مجالس العلماء، الذين وجدوا فيه ضالتهم المنشودة، إن من حيث اتخاذه ميدانا لنشاطهم التطبيقي، أو من حيث جعله حلبة يبرز فيها العلماء مقدرتهم. من أمثلة ذلك ما نقله الزجاجي في مجالسه، قال: « وقال الأخفش: أحمر إذا سميت به رجلا صرفته في النكرة، فقلت له: لمَ؟ فقال: لأني إنما منعته الصرف في المعرفة والنكرة لبنائه ولأنه صفة، فلما زالت عنه الصفة صرفته في النكرة، ولم أصرفه في المعرفة لبنائه... »(62).

وحتى كتب المتأخرين وشروحاتهم لم تستطع الفكاك من أغلال التمارين غير العملية، وكأنها أصبحت ضربة لازم على كتب النحو، يشفع ذلك ما ذكره الأشموني (ت900هـ/1495م) في باب النداء، وهو يتحدث عن انتصاب المنادى، قال: «الثالث: الشبيه بالمضاف، وهو: ما اتصل به شيء من تمام معناه، نحو يا حسناً وَجْهُهُ.. ويا ثلاثة وثلاثين فيمن سميته بذلك، ويمتنع في هذا إدخال «يا» على ثلاثين، خلافا لبعضهم...»(63).

ما تقدم من أدلة، سقناها لتكون عينا تدل على أثر الرياضيات في النحو العربي. أثر تمثل في الأبنية الاستدلالية، والقواعد الاستنتاجية التي تم بها البرهنة على القواعد التي تحكم الظواهر اللغوية. إنها اعتلالات وحجج حاول النحاة بها الوصول إلى الحكم الأصوب والرأي الأمثل في تفسير القواعد النحوية. والذي يرجح هذه المحاولات شهادة الخليل بن أحمد الفراهيدي نفسه، وهو يجيب حين سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو، فقيل له عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقلها علله، وإن لم يُنقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه. فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست... فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها»(64).

ومهما من أمر، فمن الراجح أن النحاة اتكأوا على المنهج الرياضي، وسلكوا سبيله فانعكس أثره في تدبرهم لأموره، وتفسيرهم لظواهره. والناظر في حقيقة أقيسة النحاة وتعليلاتهم، يلاحظ أنها تحتاج إلى نضوج فكر، وطول دربة، وما كان النحاة ليتمكنوا منها لولا أخذهم بصناعة الحساب، فهي «معارف متَّضحة، وبراهينها منتظمة، فينشأ عنها في الغالب عقل مضيء دَرِبٌ على الصواب. وقد يقال من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول أمره، إنه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني ومناقشة النفس»(65).

وأغلب الظن على استعمال النحاة مبادئ الرياضيات، ما كان ألمح اليه الجاحظ بطرف خفي حين وصف معاناة طالب العربية، وهو يحاول الوصول إلى مسائل نحوه، قال: «لا يصل أحد من علم النحو إلى ما يحتاج إليه حتى يتعلم ما لا يحتاج إليه»(66).

وقد يكون في هذا القول التفاتة وإشارة غير صريحة إلى علوم يجب على طالب العربية الإلمام بمبادئها، كالرياضيات والفقه والكلام والمنطق...

وحقيقة القول إن هذه المبادئ والأسس من الأمور التي يُنْصَح طالبنا، ومن أراد الغوص في لجج نحونا أن يلم بها، لأنها باتت من الأمور التي يحتاج إليها تفسيراً لقول الجاحظ. لأنه إذا كان لا يتوصل إلى ما يحتاج إليه إلا بما لا يحتاج إليه، فقد صار ما لا يحتاج إليه بمنزلة ما يحتاج إليه. ولعل في هذه الالتفاته، نصحا لطالب العربية.

إنها حقيقة لا يمكن الإغضاء عنها، وتجاهلها وإن كنت أرى أنها ليست من صلب مادة النحو العربي، نظراً لطبيعة المادتين: اللغة والرياضيات، إذ للغة منطقها الخاص(67) وللرياضيات منطقة. وليس أدل على ذلك من قاعدة العدد. فالمعلوم أن العدد من

103 يكون معدوده جمعا، كما في قوله تعالى: ﴿آيَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ النّاسَ ثَلاثَةَ أيّامٍ﴾(68)، حيث جاء معدود الثلاثة جمعا. ولكن عندما يزداد العدد فوق العشرة يصبح المعدود مفرداً، كما في قوله تعالى: ﴿فانفجرت منها اثنتا عَشْرَةَ عيناً﴾(69) والعقل يأبى ذلك، ومنطق اللغة يقبله.

إن الإقرار بأثر الرياضيات في منهج النحاة لا يمنعنا من التغاضي عن أمور جلبها إلى مادة النحو، فعوّصت مسائله، وأثقلت كاهله، منها:

أ ـ أدى تناقض مبادئ الرياضيات أحيانا مع الظواهر اللغوية إلى إقحام الجدل والخلاف في مسائل النحو، فزادته شعبا وآراء، بحيث باتت معه القاعدة جملة قواعد: قاعدة رئيسية وأخرى استثنائية... ومما يذكر شاهدا، ما جاء في باب جمع المذكر السالم. فقد منع البصريون جمع العلم المختوم بالتاء كـ«طلحة» جمع مذكر سالما خشية أن يجمعوا في اسم واحد علامتين متضادتين. وخالف الكوفيون في هذا الشرط، فجوّزوا جمع ذي التاء بالواو والنون مطلقا، فقالوا في طلحة، وحمزة، وهبيرة: طلحون، وحَمْزون، وهُبَيْرون، واحتجوا بالسماع والقياس(70). وبذلك ألم بالقاعدة الهزال والاضطراب، مما ينعكس سلبا على طالب العربية.

ب ـ انعكس أثر الرياضيات سلبا على صفحة النحو العربي، تجلى بما حشاه في بطن الكتب من مادة أحالت شحمه ورما، نتيجة ما أضيف إليه من تمارين غير العملية في ذيل كل باب، وكل مسالة، على الرغم مما فيها من فائدة تربوية تثبت المفهوم، وتؤكد القاعدة. ولكن تمارينها كانت في غالبها أمثلة متكلفة مصنوعة لا تسمن صحة في الأذهان، ولا تغني من زلل اللسان، ولا تكسب عند التعبير الإعراب والبيان. من شواهد ذلك ما جاء في باب الترخيم قال: «هذا باب تكون الزوائد فيه بمنزلة ما هو من نفس الحرف، وذلك قولك في قَنَوَّر(71) يا قَنَوَّ أقبل، وفي رجل اسمه هَبَيَّخُ(72): يا هَبَيَّ أقبل، لأن هذه الواو التي في قَنَوَّر والياء التي في هَبَيَّخُ بمنزلة الواو التي في جَدْوَل، والياء التي في عِثْيَر»(73). فهل نضب ماء العربية حتى يؤتى بهذه الألفاظ المماتة، أم أنه المنهج الذي افترض مثل هذه البضاعة المزجاة؟!...

هكذا تسلطت على النحو العربي مناهج ليست من بيئته، فزادته عسرة. ولكن هذه هي الحقيقة التي لا مراء فيها، فلا يوجد أمامنا نفق نسلكه، أو مرتفق نتوركه لنصل إلى قواعد نحونا غير الإلمام بمبادئ هذه العلوم... وهو أمر لا مفر منه، تصدقه الأمثلة، وتؤيده المعاينة، تأسيا بقول الرسول: «ليس الخبر كالمعاينة»(74)، ولا ينكر ذلك إلا معاند مكابر.

وخلاصة القول: إن بعض مبادئ الرياضيات ألقت حمولتها في أصول نحونا العربي،فيجب الأخذ بها، وتفهمها، لنستطيع على ضوئها فهم قواعد نحونا فهما صحيحا، فنتخلص من عقدة نقص عرفت طريقها إلى نفوس طلابنا متمثلة بنفورهم من النحو، وكراهية لمسائله، وقلة الإلمام بمبادئه. وسبب هذا على حد المثل السائر: «الناس أعداء ما تجهل».

إن المزيد من الأبحاث التي تلقي أضواء كاشفة على زوايا نحونا لكفيلة إن بُنيت على أساس سليم، ومنهج قويم، وافترضت حُسن النية أن تكون دواء

لعسر النحو العربي... وسنصل إلى يوم نتفهم قواعده بأيسر السبل... وكل آت قريب.

الهوامش :

(1) كان للعرب معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها وعلم بانواع الكواكب وأمطارها على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لمعرفة ذلك في اسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق ولا على سبيل التدرب في العلوم. (صاعد الاندلسي: طبقات الامم (تحقيق حياة العيد بوعلوان، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1985م) ص 120 ـ 121.

(2) من فروع العلوم العددية المعاملات، وهو تصريف الحساب في معاملات المدن في البياعات والمساحات والزكوات وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات... ومن فروعه أيضا الفرائض وهو صناعة حسابية في تصحيح السهام لذوي الفروض في الوراثات. (ابن خلدون: المقدمة (دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، ط2، 1982م) ص 899 ـ 900).

(3) الجاحظ: البيان والتبيين (تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لا. تا)، ج1 ص 328.

(4) شوقي ضيف: العصر العباسي الأول (دار المعارف، مصر، ط6، 1976م)، ص 109.

(5) ابن النديم: الفهرست (دار المعرفة، بيروت، لا. تا) ص339 ـ 340.

(6) المصدر نفسه، ص 380.

(7) المصدر نفسه، ص 383.

(8) كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية (نقله إلى العربية د. بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت، ط3، 1983م)ص 108.

(9) كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الاسلامية، ص 227.

(10) شوقي ضيف: العصر العباسي الاول، ص 115.

(11) حاجي خليفة: كشف الظنون (دار الفكر، بيروت، 1982م) ج 1 ص 579.

(12) شاخت وبوزورث: تراث الإسلام (عالم المعرفة، الكويت، عدد 12، ط2، رمضان 1408هـ/ مايو 1988م)، ج2 ص 301.

(13) نقلا عن شوقي ضيف: العصر العباسي الاول، ص 115 ـ 116.

(14) كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ص 227.

(15) محمد غلوب فرحان: «ملامح فلسفة الرياضيات عند الفارابي»، مجلة الباحث، بيروت، العدد 16، آذار ـ نيسان، 1981م) ص93.

(16) القفطي: إنباه الرواة على انباه النحاة (تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1981م) ج1 ص346.

(17) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين (تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1984) ص47.

(18) الخليل بن احمد: كتاب العين (تحيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط1، 1988م) ج1 ص59.

(19) ياقوت الحموي: معجم الادباء (نشر مارجليوث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م) ج11 ص74.

(20) من هؤلاء الاصمعي وسيبويه ومؤرج السدوسي وسواهم (المصدر نفسه، ج11 ص73).

(21) سيبويه: الكتاب (تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988)، ج2 ص398.

(22) المصدر نفسه، ج1 ص 39.

(23) لان كتاب سيبويه كان إماما في النحو. ابن الانباري: نزهة الالباء (تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مكتبة الاندلس، بغداد، ط2، 1970)، ص55.

(24) صاعد الاندلسي: طبقات الامم، ص91.

(25) ابن هشام: شرح شذور الذهب (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، لا.نا، لا.تا)، ص335.

(26) ابن الانباري: كتاب أسرار العربية (تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، 1957م)، ص279.

(27) الاسترابادي: شرح الكافية في النحو (دار الكتب العلمية، بيروت، لا.تا)، ج2 ص180.

(28) الاسترابادي: شرح الكافية في النحو، ج2 ص180.

(29) الزجاجي: كتاب الجمل في النحو (تحقيق د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة ودار الامل، بيروت والاردن، ط1، 1984م)، ص107.

(30) سورة يس، الاية 15، ومثله قوله تعالى: ﴿ما انا إلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾. (سورة الاحقاف، الآية 9).

(31) الزجاجي: كتاب الجمل في النحو، ص.106.

(32) ينظر، ابن الانباري: الإنصاف في مسائل الخلاف (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، لا.ب،لا.تا) ج2 ص549. وابن يعيش: شرح المفصل (إدارة الطباعة المنيرية، مصر، لا.تا)، ج7 ص6.

(33) السيوطي: الأشباه والنظائر (مراجعة وتقديم د. فايز ترحيني، دار الكتاب العربي، بيروت. ط1، 1984م). ج1 ص203.

(34) الزجاجي: الإيضاح في علل النحو(تحقيق د.مازن المبارك،

دار النفائس، بيروت، ط4، 1982)، ص100ـ101 .

(35) المصدر نفسه، ص101 .

(36) كريم متى : المنطق الرياضي (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1983م) ص254 .

(37) الازهري: شرح التصريح على التوضيح (دار الفكر،لا .ب، لا .تا)، ج1 ص281ـ282 .

(38) المصدر نفسه، ج1، ص400 .

(39) ابن الانباري: كتاب أسرار العربية، ص197 .

(40) ابن هشام: مغني اللبيب (تحقيق مازن المبارك وآخرين، دار الفكر، بيروت، ط5، 1979)، ص164 .

(41) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق شكري فيصل، دار الفكر، بيروت، ط2، 1990م)، ص13 .

(42) عبد القاهر الجرجاني: كتاب الجمل في النحو (تحقيق يسرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1990م)،ص49 .

(43) ابن السراج: الاصول في النحو (تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1،1985)، ج2 ص79 .

(44) ابن السراج: الأصول في النحو، ج2 ص80 .

(45) المصدر نفسه، ج2ص80 .

(46) الجرجاني : كتاب الجمل في النحو، ص53 .

(47) ينظر، الانباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، ج1 ص235، والاستراباذي: شرح الكافية في النحو ج2 ص191 .

(48) الخوارزمي : مفاتيح العلوم (تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1984م) ص209 .

(49) ابن يعيش: شرح المفصل، ج9 ص101، وينظر في هذه المسالة ايضا، سيبويه: الكتاب، ج3 ص496، وابن هشام: مغني اللبيب، ص143 .

(50) الانباري: كتاب أسرار العربية، ص275 ـ 276 .

(51) محمد عبد الرحمن مرحبا: الموجز في تاريخ العلوم عند العرب (دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1970م)، ص125 ـ 126 .

(52) شاخت وبوزورث: تراث الإسلام (عالم المعرفة، عدد 12)، ص304.

(53) محمد عبد الرحمن مرحبا: الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، ص126 .

(54) شاخت وبوزورث: تراث الإسلام (عالم المعرفة، عدد12)، ص304.

(55) محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية (مؤسسة الرسالة ودار الفرقان، بيروت وعمان، ط3، 1988م) ص182 .

(56) سيبويه : الكتاب، ج1 ص257 .

(57) سورة البقرة، الآية 135 .

(58) علي النجدي ناصف : من قضايا اللغة والنحو (مكتبة نهضة مصر، الفجالة، 1957م)، ص83 .

(59) شوقي ضيف : العصر العباسي الاول، ص122 .

(60) سيبويه : الكتاب، ج3 ص206 ـ207 .

(61) المصدر نفسه، ج3 ص387 .

(62) الزجاجي : مجالس العلماء (تحقيق عبد السلام هارون، وزارة الثقافة والانباء، الكويت، 1962م)، ص92 .

(63) الاشموني : شرح الاشموني على الفية ابن مالك (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1955م)، ج2 ص446 .

(64) الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص65ـ66 .

(65) ابن خلدون : المقدمة، ص897 .

(66)الجاحظ : الحيوان (تحقيق وشرح عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، ط2، 1965م)، ج1 ص38 .

(67) إبراهيم انيس: من أسرار اللغة (مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط7، 1985م)، ص138 .

(68) سورة آل عمران، الآية 41 .

(69) سورة البقرة، الآية 60 .

(70) الانباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، ج1 ص40، والسيوطي: همع الهوامع (عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة، بيروت، لا .تا)، ج1 ص45 .

(71) القَنَوَّر : الضخم الرأس والشرس الصعب من كل شيء. (الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج1 ص121، مادة [قتور]) .

(72) الهبيّخ : الاحمق المسترخي، ومن لا خير فيه، والوادي العظيم. (المصدر نفسه، ج1 ص272، مادة [هبيخ]) .

(73) سيبويه : الكتاب، ج2 ص260 .

(74) ميرغني : كتاب المعجم الوجيز من أحاديث الرسول العزيز (تحقيق سمير طه المجذوب، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م)، ص355 .

ثبت المصادر والمراجع

1 ـ ابن أحمد، الخليل: كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت . ط1،1988م .

2 ـ الأزهري: شرح التصريح على التوضيح،

دارالفكر، لا . ب، لا . تا .

3 ـ الاستراباذي : شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية،بيروت، لا . تا .

4 ـ الأشموني : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1955م .

5 ـ الأنباري، عبد الرحمن بن محمد : كتاب أسرار العربية، تحقيق محمد بهجة الأثري، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، 1957م .

6 ـ الأنباري، عبد الرحمن بن محمد : الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، لا . ب، لا . تا .

7 ـ الأنباري، عبد الرحمن بن محمد : نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس، بغداد، ط2، 1970م .

8 ـ الإندلسي، صاعد : طبقات الأمم، تحقيق حياة العيد بوعلوان، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1985م .

9 ـ أنيس، إبراهيم : من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط7، 1985م .

10 ـ الجاحظ : البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لا . تا .

11 ـ الجاحظ : كتاب الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، شركة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، ط2، 1965م .

12 ـ الجرجاني، عبد القاهر : كتاب الجمل في النحو، تحقيق يسرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م .

13 ـ ابن خلدون : المقدمة، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت . ط2، 1982م .

14 ـ خليفة، حاجي : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، 1982م .

15 ـ الخوارزمي : مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1984م .

16 ـ ديوان النابغة الذبياني : تحقيق شكري فيصل، دار الفكر، بيروت، ط2، 1990م .

17 ـ الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1984م .

18 ـ الزجاجي : الإيضاح في علل النحو، تحقيق د. مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط4، 1982م .

19 ـ الزجاجي : كتاب الجمل في النحو، تحقيق د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة ودار الأمل، بيروت والأردن، ط1، 1984م .

20 ـ الزجاجي : مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام هارون، وزارة الثقافة والأنباء، الكويت، 1962م .

21 ـ ابن السراج : الأصول في النحو، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م .

22 ـ سيبويه : الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م .

23 ـ السيوطي : الأشباه والنظائر، مراجعة وتقديم

د. فايز ترحيني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1984م.

24 ـ السيوطي: همع الهوامع، عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة، بيروت، لا. تا.

25 ـ شاخت وبوزورث: تراث الإسلام، عالم المعرفة، الكويت، عدد 12، ط2، رمضان 1408هـ/مايو 1988م.

26 ـ ضيف، شوقي: العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، ط6، 1976م.

27 ـ فرحان، محمد غلوب: «ملامح فلسفة الرياضيات عند الفارابي»، مجلة الباحث، بيروت، عدد 16، آذار ـ نيسان، 1981م.

28 ـ الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 1978م.

29 ـ القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1981م.

30 ـ كاهن، كلود: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية د. بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت، ط3، 1983م.

31 ـ اللبدي، محمد سمير نجيب: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة ودار الفرقان، بيروت وعمان، ط3، 1988م.

32 ـ متى، كريم: المنطق الرياضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1983م.

33 ـ مرحبا، محمد عبد الرحمن: الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1970م.

34 ـ مير غني: كتاب المعجم الوجيز من أحاديث الرسول العزيز، تحقيق سمير طه مجذوب عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م.

35 ـ ناصف، علي النجدي: من قضايا اللغة والنحو، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، 1957م.

36 ـ ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لا. تا.

37 ـ ابن هشام: شرح شذور الذهب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، لا. نا، لا. تا.

38 ـ ابن هشام: مغني اللبيب، تحقيق د. مازن المبارك وآخرين، دار الفكر، بيروت ط5، 1979م.

39 ـ ابن يعيش: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، لا. تا.

تيسير النحو
إلى عصر ابن مضاء القرطبي

الدكتور حازم سليمان الحلي(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين وصحبه الطاهرين فبعد الفتح الاسلامي وانتشار الاسلام في مختلف الاقطار وإقبال الناس (يدخلون في دين الله أفواجا)[1] واختلاط العرب بغيرهم تفشى اللحن بين الناس في اللغة العربية وكانت بوادره قد ظهرت قبل هذا في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي (صلى الله وآله وسلم) فقد لحن رجل في حضرته فقال:

« أرشدوا أخاكم فقد ضلَّ »[2] ثم انتشر اللحن حتى صاروا يلحنون في قراءة القرآن الكريم فأخطأ قارئ فقرأ: (أنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكينَ وَرَسُولِه)[3] بالجر فأرّق ذلك الحريصين على أن يفهم المسلمون قرآنهم وأن يقرؤوه قراءة لا يعتوره فيها خطأ في النطق فوضعوا ضوابط وقواعد للغة العربية[4] وبدأوا بضبط المصحف بالنقط[5]، ولم يكن هذا العمل يهدف إلى حفظ النص من اللحن فقط كما وقر في الاذهان وإنما كان يهدف إلى غاية أبعد في أصول الحياة الاسلامية وذلك أن المسلمين عرفوا ـ بداية ـ أن عليهم أن يقرؤوا القرآن وأن يفهموه لأنه هو الذي ينظم حياتهم ومن ثم نستطيع تفسير نشأة الحركة العقلية العربية كلها بأنها كانت نتيجة نزول القرآن الكريم فهي كلها من نحو وصرف وبلاغة وتفسير وفقه وأصول وكلام تسعى إلى هدف واحد هو فهم النص القرآني[6].

وسواء أكانت الخطوة الأولى ضبط المصحف بالنقط أم وضع القواعد والضوابط فإن هذه الجهود أسفرت عن علم النحو الذي نضج على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) ووصل إلينا عن طريق تلميذه النابه الأمين سيبويه (ت. 180 هـ) في سِفْره الخالد « الكتاب » الذي يعد أقدم كتاب في النحو والصرف بين أيدينا حتى الآن فكان سجلا لآراء الخليل في النحو[7]، على أن سيبويه (ت. 180هـ) استفاد من علماء عصره الآخرين كأبي الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الاخفش الاكبر

(*) كليـة التربية ـ جامعة السابع من ابريل

(ت 177هـ) وعيسى بن عمر الثقفي (ت 149هـ) ويونس بن حبيب البصري (ت 186 هـ) ويعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت 205 هـ) وأبي زيد الانصاري سعيد بن أوس (ت 215 هـ) وغيرهم فصار سيبويه إمام النحاة[8] وعد النحاة كتابه «قرآن النحو»[9]، وقال أبو عثمان المازني (ت 248 هـ) من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح[10] فما فات سيبويه من علم النحو شيء جوهري.

والحق أن التغيير الذي طرأ على النحو كما قدمه سيبويه ليس تغييرا في الجوهر[11].

ولقد توفر على كتاب سيبويه عدد من العلماء شرحا للكتاب وشرحا لمشكلاته وشرحا لشواهده واختصارا لشروحه.

وممن تصدى لشرحه أبو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش الاوسط[12] (ت 215 هـ) وأبو عثمان بكر ابن محمد المازني[13] (ت 248 هـ) وأبو بكر بن السراج[14] (ت 316 هـ) وأبو بكر محمد بن إسماعيل المعروف بحبرمان[15] (ت 345 هـ) وعبد الله بن جعفر بن درستويه[16] (ت 347 هـ) والحسن ابن عبد الله بن الحرزبان أبو سعيد السيرافي[17] (ت 368 هـ) وشرحه للكتاب من أحسن الشروح، وابو علي الحسن بن احمد بن عبد الغفار الفارسي (17) (ت 377 هـ) وأبو العلاء المعري (ت 449 هـ) وأبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري[19] (ت 538 هـ) وأبو عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب[20] (ت 646 هـ) وغيرهم[21].

ومن أبرز من تصدى لشرح مشكلاته أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي[22] (ت 225 هـ) وأبو حاتم السجستاني[22] (ت 250 هـ) ومحمد بن يزيد المبرد[23] (ت 285 هـ) وغيرهم[24].

ونهض فريق بشرح شواهده كأبي العباس محمد ابن يزيد المبرد[25] (ت 285 هـ) وأحمد بن محمد النحاس[26] (ت 338 هـ) ويوسف بن الحسن بن عبد الله السيرافي[27] (ت 385 هـ) والأعلم الشنتمري يوسف بن سليمان (ت 476 هـ)، ويعرف شرحه بتحصيل عين الذهب[28] وغيرهم[29]. وهناك من اختصر شروحه وألف بعض العلماء في الاعتراض عليه ومناقشته[30].

والملاحظ أن النحو ولد يوم ولد وَسيماً وكان الدرس النحوي لا يعكره معكر أيام الرواد الاوائل من أمثال عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117 هـ) وعيسى بن عمر الثقفي (ت 149 هـ) وأبي عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) والخليل (ت 175 هـ) ويونس بن حبيب البصري (ت 182 هـ) وسيبويه (ت 180 هـ) والكسائي (ت 189 هـ) والفراء (ت 207 هـ) والأخفش الاوسط (ت 215 هـ).

غير أن سيبويه (ت 180 هـ) تلميذ الخليل (ت 175 هـ) الامين الذي كان ضابطا لما أخذه عن شيخه الخليل أراد هو وتلاميذه من بعده تقعيد هذه الدراسة وإحكام أصولها فترخصوا في استخدام مصطلحات ليست من اللغة في شيء كالعامل والمعمول والناصب والجازم والجار وغيرها مما مهّد السبيل للفلسفة الكلامية والمنطق اليوناني بما لهما من قياسات ومصطلحات وتوجيهات أن ينفذا إلى هذا الدرس اللغوي وتتم لهما السيطرة وتكون لهما الغلبة عليه[31].

ثم تعقد النحو بمرور الزمن عندما دخلته أمور ليست منه وكثر تأليف الموسوعات النحوية ونشأ البحث في العلة والمعلول والعلل الثواني والثوالث فضاع الدارس في متاهات واسعة وكثرت الكتب والشروح وشروح الشروح فتجد مثلا المقتضب للمبرد[32] (ت 285 هـ) والاصول لابن السراج[33] (ت 316 هـ) ومؤلفات أبي علي الفارسي (ت 377 هـ) من أمثال العسكريات[34] والعضديات[35] والشيرازيات[36] والبغداديات[37] والحلبيات[38] والايضاح العضدي[39] والتكملة[40] والمعضل للزمخشري[41] (ت 538 هـ) وشرح المفصل لابن يعيش[42] (ت 643 هـ) والموسوعة النحوية الكبيرة ارتشاف الضرب لأبي حيان الاندلسي النحوي[43] (ت 745 هـ).

وقد أحس بعض العلماء بالحاجة إلى وضع بعض المتون والمختصرات فالفوا بعض المختصرات ومن هؤلاء الذين نهضوا بهذا العمل أبو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش الاوسط (ت 215 هـ) الذي وضع «الاوسط في الاوسط في النحو»[44] وأبو محمد اليزيدي (ت 202 هـ) الذي وضع مختصرا في النحو[45] وعلي بن حمزة الكسائي (ت 189 هـ) وله مختصر في النحو[46] ولصاحبه هشام بن معاوية الضرير (ت 209 هـ) المختصر في النحو[47]، ولأبي عمر صالح الجرمي (ت 225 هـ) تلميذ الاخفش الاوسط (ت 215 هـ) مختصر في النحو للمتعلمين[48]، ولابن السراج (ت 316 هـ) كتاب الموجز وهو صغير[49].

ولقد وجدت ـ بحدود تتبعي ـ أن الجاحظ (ت 255 هـ) كان أول من دعا إلى الاختصار والتيسير على الطالب بقوله: (أما النحو فلا تشغل قلب الصبي منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام في كتاب كتبه وشعر إن أنشده وشيء إن وصفه، ومازاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ومذهل عمّا هو أرد عليه، من رواية المثل والشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع، وإنما يرغب في بلوغ غاية النحو ومجاوزة الاقتصاد فيه من لا يحتاج إلى تعرف جسيمات الامور والاستنباط لغوامض التدبير لمصالح العباد والبلاد... ومن ليس له حظ غيره ولا معاش سواه، وعويص النحو لا يجري في المعاملات ولا يضطر إليه شيء[50]).

فاستجاب الكثير من العلماء وأئمة النحو لنصيحة الجاحظ فوضعت الملخصات والمختصرات للدارسين.

وممن ألف كتابا مختصرا في النحو أحمد بن يحيى ثعلب[51] (ت 291 هـ) وألف المفضل بن سلمة كتابا مختصرا في النحو أسماه المدخل إلى علم النحو[52] ولأبي موسى الحامض سليمان بن محمد (ت 305 هـ) كتاب مختصر لطيف في النحو ولأبي الحسن محمد بن أحمد بن كيسان (ت 299هـ) مختصر في النحو[53] وألف ابن شقير (ت 317 هـ) مختصرا في النحو[54]، ولنفطويه أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان (ت 323 هـ) مختصر في النحو أسماه المقنع في النحو وألف الزجاجي (ت 337هـ) كتاب الجمل في النحو[55] تجنب فيه الخلاف والاقوال الشاذة والتفريعات والتعليلات والأقيسة التي لا تنفع الناشئة مع الاسلوب الواضح فنال الكتاب نجاحا كبيرا وتلقاه

الدارسون بالقبول وشرح أكثر من مئة وعشرين شرحا، وألف أبو جعفر النحاس (ت 338 هـ) مختصرا في النحو أسماه (التفاحة)[56] قدم فيه مادة النحو للناشئة في غاية الاختصار والايجاز، ولأبي بكر محمد بن أحمد الخياط (ت 320 هـ) كتاب النحو الكبير وله الموجز في النحو أيضا[57]، ولأبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه[58] (ت 347 هـ) مختصر في النحو أسماه الهداية واختصر ابن خالويه[59] (ت 370 هـ) جمل الزجاجي، وألف أبو علي الفارسي[60] (ت 377 هـ) صاحب الموسوعات كتابا مختصرا في النحو أسماه الأوليات في النحو ولعلي بن عيسى الرماني[61] (ت 384 هـ) كتاب الايجاز في النحو وهو مختصر، ولأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ) كتاب اللمع[62] وهو مختصر في النحو، ولأبي الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ[63] (ت 469 هـ) مختصر في النحو، ولعبد القاهر الجرجاني[64] (ت 471 هـ) مختصر في النحو أسماه الجمل واختصره الخطيب التبريزي أبو زكريا يحيى بن علي[65] (ت 502 هـ) في مقدمة موجزة، ورجع الزمخشري (ت 538 هـ) مؤلف كتاب المفصل إلى مفصله فاختصره في مجمل في النحو أسماه الأنموذج[66]، ولأبي منصور الجواليقي (ت 540 هـ) مختصر موجز[67] في النحو ومثله لأبي محمد عبد الله بن بري[68] (ت 582 هـ) وألف أبو الفتح ناصر صدر الافاضل بن أبي المكارم المطرزي (ت 610 هـ) مختصرا في النحو باسم المصباح[69] ولعبد اللطيف البغدادي (ت 628 هـ) قبة العجلان في النحو[70] ولأبي علي عمر بن محمد الشلوبيني الأندلسي كتاب أوسع منه هو الكافية[71] متداول بين الناس وقد شرح مئة واربعة وعشرين شرحا[72]، ولمحمد بن مالك (ت 672 هـ) عدة الحافظ وعمدة اللافظ[73] في النحو، ولابن أبي الربيع[74] (ت 688هـ) الملخص في النحو، وللبيضاوي (ت 716 هـ) مختصر في النحو أسماه لب اللباب[75] في علم الإعراب، ولابن آجروم أبي عبد الله محمد بن محمد الصنهاجي المشهور بابن آجروم (ت 723 هـ) مقدمة موجزة في النحو تعرف بالآجرومية[76] لا تتجاوز عشرين صفحة نالت شهرة واسعة في جميع الاقطار العربية واختصر النحو فيها في عدة أبواب فحذفت بعض أبوابه واقتصر على أبوابه الاساس، وكأن التيسير في النحو اختصار أو حذف، ورأينا أبا حيان النحوي (ت 745هـ) الذي ألف أكبر موسوعة في النحو ذلك هو كتاب ارتشاف الضرب[77] ألف كتابا مختصرا هو اللمحة البدرية في علم العربية[78]، وألف ابن هشام (ت 761 هـ) مختصرا أسماه الإعراب عن قواعد الإعراب[79]، ثم ألف كتابا أوسع منه أسماه قطر الندى[80] ثم توسع فألف شذورالذهب[81] ثم توسع أكثر فألف أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك[81] ثم ألف مغني اللبيب[82] على منهج مبتكر.

من هذا العرض السريع للمؤلفات التي ألفها العلماء في الموسوعات ثم التحول إلى المختصرات يستنتج الباحث رغبة العلماء في تيسير النحو على الناشئة حيث أحسوا من الدارسين عزوفا عن قراءة المطولات على أننا لا نقلل من قيمة تلك الموسوعات فإن الباحث المتخصص بحاجة إليها.

لكن الذي نراه أن العلماء فكروا في البحث عن أسلوب تيسير النحو وظنوا أن تاليف المختصرات التي

اختصرت بعض أبواب النحو وحذفت بعض أبوابه هو أسلوب التيسير ولكنهم اجتهدوا فأخطأوا، فالتيسير ليس اختصارا ولا حذفا للشروح والتعليقات ولكنه عرض جديد للموضوعات النحوية يمكن الناشئة من استيعاب النحو مع إصلاح شامل لمنهج الدرس النحوي وتخليصه مما علق به من شوائب فلسفية ومنطقية[83]، ولو سلكوا الطريق الصحيح لأوصلهم إلى التيسير فعلا.

أثر ابن مضاء القرطبي في تيسير النحو

استمر تاليف المطولات من كتب النحو وهي تزخر بنظرية العامل وأفردوا للعامل رسائل وكتبا حتى ألف أبو علي الفارسي (ت 377 هـ) كتاب العوامل[84]، وألف عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) كتاب العوامل المئة[85] وقسمها على لفظية ومعنوية ثم اشتدّ ولعُ النحاة بالجري وراء العوامل باحثين عن العامل والمعمول وغرق الدارسون في متاهات من أمواج التأويلات والتقديرات والتعليلات والأقيسة والتمارين الافتراضية فراع ذلك بعض الباحثين وأشفقوا على دارس النحو المضيع في متاهات واسعة.

وفي ظل دولة الموحدين في الاندلس دوّت ثورة أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء اللخمي القرطبي الذي ولد في قرطبة عام 513 هـ وتوفي في إشبيلية عام 592 هـ، وكان قد تولى منصب قاضي القضاة في دولة الموحدين وهو ظاهري المذهب[86].

والثورة التي فجرها ابن مضاء (ت 592 هـ) ضد النحاة في كتابه (الرد على النحاة) الصغير الحجم الكبير القيمة والذي أحدث أثرا في حركة تيسير النحو بعد حين وذلك في العصر الحديث استوحاه من المذهب الظاهري في الفقه.

بنى ابن مضاء القرطبي (ت 592 هـ) كتابه على هدم نظرية العامل التي تمسك بها النحاة وأقاموا عليها نحوهم العربي فقيل: (ليس عجيبا.. أن يتصدى ابن مضاء لنقد النحو العربي فالحق أنه لم يكن يقصد هدم النحو لذاته، وإنما كان يهدف إلى هدمه باعتباره وسيلة لفهم الفقه المشرقي الذي اشترك هو في الثورة عليه)[87]، وهل هناك فقه مشرقي وآخر مغربي؟ أم هو فقه إسلامي؟ وكيف يكون هذا حقا؟ فإنه كما نرى ما كان يدعو إلى هدم النحو وإنما دعا إلى نهج جديد قائم على هدم نظرية العامل وإلغاء العلل الثواني والثوالث ورفض القياس وإسقاط التمارين غير العملية، فقالوا: إنه يدعو إلى نحو ظاهري[88].

والنحو وسيلة لفهم الفقه الذي ثار عليه هو وأميره يعقوب بن يوسف بن علي (ت 595 هـ) أمير دولة الموحدين الذي أخذ بالمذهب الظاهري ورفض كل ما عداه ومنع الناس من الأخذ بالرأي وتوعّد الآخذين به بالعقوبة الشديدة وبالغ في ذلك حتى أنه أمر بحرق ماعدا كتب المذهب الظاهري في الفقه الاسلامي حيث رفض كتب الفقه الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي لما تحمل من فروع متشعبة غير متناهية وحمل الناس على الظاهر من القرآن الكريم والحديث الشريف من غير تأويل فيهما وإلغاء العلل والأقيسة من مسائل الشريعة[89].

ويبدو أن ابن مضاء القرطبي (ت 592هـ) كان من أكبر المؤلبين على ذلك إنْ لم يكن أكبر مؤلب بحكم منصبه ـ قاضي القضاة ـ وفي ظروف هذه الثورة ولد كتاب «الرد على النحاة» وما كان يهدف إلى الرد على أهل المشرق كما قيل[90] في نحوهم وفقههم وإنما كان ردا على منهج النحاة ودعوتهم إلى منهج جديد، نعم إن بعض القواعد الفقهية تبنى على القاعدة النحوية.

والكتاب حققه الاستاذ الدكتور شوقي ضيف عام 1947م ثم حققه ونشره بعد ثلاثين عاما الاستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنا.

ويرى الدكتور شوقي ضيف أن ابن مضاء بتأثير من نزعته الظاهرية ردّ بهذا الكتاب على نحاة المشرق ـ قال شوقي ضيف: «إن من يرجع إلى نصوص (الرد على النحاة) يلاحظ ملاحظة واضحة أن صاحبه ثائرٌ على المشرق وهي ثورة تعتبر امتدادا لثورة سيده عليه وأيضا فانه يلاحظ نزعة «ظاهرية» في ثنايا الكتاب مما يؤكد صلة صاحبه بثورة الموحدين على كتب المذاهب، ومن يعرف؟ ربما كان ابن مضاء أحد المؤلبين والمحرضين على هذه الثورة، إنْ لم يكن المؤلب والمحرض الأول كما يقضي بذلك منصبه، والغريب أنه لم يعن بتأليف كتاب ضد فقه المشرق وإنْ عني بالتأليف ضد النحو المشرقي فقد صب عنايته كلها ضد النحو»[91].

والكتاب قائم على هدم نظرية العامل فدعا بصراحة وجرأة إلى إلغاء نظرية العامل ليتخلص النحو من كل ما دخل عليه من تأويل الصيغة العربية والبقاء على ظاهر النص ثم التخلص من الأقيسة الاحتمالية والتمارين الافتراضية.

أما إلغاء العامل وجعل الإعراب بالمعنى فقد اقتبسه ابن مضاء من أبي الفتح عثمان بن جني (ت 592 هـ) الذي عزا العمل للمتكلم أو ما نسميه بمصطلحنا العرف الاجتماعي اللغوي فإن ابن جني هو السابق كما يعترف بذلك ابن مضاء نفسه بقوله:

«وقد صرح بخلاف ذلك أبو الفتح بن جني وغيره، قال أبو الفتح في خصائصه[92] بعد الكلام في العوامل اللفظية والعوامل المعنوية: (وأما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره) فأكد المتكلم بنفسه لرفع الاحتمال ثم زاد تأكيدا بقوله لا لشيء غيره[93]».

وابن جني يؤكد هذا المعنى ويصرح به في أكثر من مقام يقول مثلا: «اعلم أن علل النحويين ـ وأعني بذلك حُذّاقهم المتقنين لا ألفافهم المستضعفين ـ أقربُ إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين وذلك أنهم إنما يحملون على الحسّ ويحتجون فيه بنقل الحال وخفتها على النفس»[94] واهتمام ابن جني بالمعنى هو الذي حمله على القول: «إن زينة الالفاظ وحليتها لم يقصد بها إلا تحصين المعاني وحياطتُها. فالمعنى إذا هو المكرّم المخدوم واللفظ هو المبتذل الخادم[95]» ويؤكد ابن جني أن العربي يراعي المعنى ويسوق الكلام على ما يقتضيه المعنى ويستشهد بما حكاه عن الأصمعي (ت 216هـ) عن أبي عمر بن العلاء (ت 154هـ) قال: سمعتُ رجلا من اليمن يقول: فلان لغوب[96]، جاءته كتابي فاحتقرها، قال فقلت: تقول: جاءته كتابي؟ فقال: نعم أليس بصحيفة؟[97] وينقل عن أبي علي الفارسي (ت 377هـ) عن ابن السراج (ت 316هـ)

عن ابي العباس المبرد (ت 285هـ) قال: سمعت عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير كان يقرأ: (ولا الليلُ سابقُ النهارَ)[98] بالنصب[99]، فقلت له: ما تريد؟ قال: أردت سابقٌ النهارَ، فقلت له: فهلا قلته؟ فقال: لو قلته لكان أوزن[100]، أي أقوى.

والملاحظ أن ابن مضاء وإن ردّ على النحاة ودعاهم إلى منهج جديد فقد كان يذكرهم بالتوقير ويترحم عليهم فيقول:

«وإني رأيت النحويين ـ رحمة الله عليهم ـ قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانته عن التغيير فبلغوا من ذلك إلى الغاية التي أموا وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا[101]».

ويذكر أبا القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت 583هـ) ويترحم عليه، كما يذكر يوسف بن علي الأعلم الشنتمري (ت 476 هـ) ويترحم عليه أيضا[102] وصرح ابن مضاء (ت 592 هـ) أن الدافع الذي دفعه إلى تاليف الكتاب هو بذل النصيحة فقال في المقدمة: «فإنه حملني على هذا المكتوب قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) [الدين النصيحة][103]» وكان يقصد في عمله إلى تيسير النحو بحذف ما يستغني عنه النحوي وقد نبه على ذلك بقوله: «قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه[104]».

ووجّه الأنظار الى ما جرّته نظرية العامل من أضرار على النحو وراح ينقضها نقضا هي وما جرَّت إليه من عوامل لفظية ومعنوية ومن معمولات مذكورة ومقدرة ومحذوفة.

وابن مضاء الذي لم يقدح أحد في علمه وحدّة ذهنه، كل ما وُصف به أنه كان ذا آراء مخالفة لأئمة النحو[105].

ألا تراه كيف يقتضب من كلام سيبويه (ت 180هـ) كلاما اقتضابا فجرد من كتابه نصا واحدا حاول أن يحمله على الحقيقة اللغوية لا العرفية فتحكّم في اختيار النص وفي تأويله وذلك قوله: (ألا ترى سيبويه ـ رحمه الله ـ قال في صدر كتابه: وإنما ذكرتُ ثمانية مجار لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الاربعة لما يحدثه فيه العامل وليس شيء منها الا وهو يزول عنه، وبين ما يبنى عليه الحرف بناءً لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه[106]؟ فظاهر هذا أن العامل أحدث الإعراب وذلك بَيِّنُ الفساد[107].

ونحن نعلم أن ابن مضاء الذي درس كتاب سيبويه يعلم علم اليقين أن سيبويه (ت 180هـ) لا يعني أن العوامل تعمل في معمولاتها على سبيل الحقيقة. كيف يصدر من سيبويه ذلك وهو الذي يصرّح في نصوصه المبثوثة في الكتاب أن العمل للمتكلم؟ ونحيل ابن مضاء على نص واحد من كتاب سيبويه من عشرات النصوص، وله بعد ذلك أن يحكم.

قال سيبويه: (قال امرؤ القيس:

فلو أنَّ ما أسعى لأدنى معيشة
كفاني ولم أطلبْ قليلٌ من المالِ[108]

فإنما رفع لأنه لم يجعل القليل مطلوبا وإنما كان المطلوب الملكَ وجعلَ القليل كافيا ولو لم يُرِد ذلك ونصبَ فسدَ المعنى)[109].

فهل نسب سيبويه العمل للفظ؟ أم نسبه بكل

صراحة ووضوح إلى امرئ القيس؟ ثم إن نسبة العمل إلى اللفظ أو إلى المتكلم تواضع عليه النحاة للاختصار في التعبير وإلا فالحقيقة إن الارتباط بين معاني الالفاظ، والامر لا يعدو أن يكون عرفا لغويا.

وهذا يكفي لمناقشة ابن مضاء (ت 592هـ) حول ما نسبه إلى سيبويه، وحَسْبُه المناقشة العلمية والمحاكمة التي حاكمه بها الاستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنا في مقدمة (الرد على النحاة)[110] عندما حققه.

ولا نرضى بعد هذا لابن مضاء قوله وهو يعقب على كلام سيبويه: (وأما العوامل النحوية فلم يقل بعملها عاقل)[111] إن أراد بذلك النيل من كرامة سيبويه وشيخه الخليل (ت175هـ) ونحن نربأ به من اللجوء إلى التلاعب بالالفاظ ومثله من يوقر العلماء.

لقد مضى ابن مضاء (ت 592هـ) يبرهن على فساد نظرية العامل فيذكر ما ترتب عليها من فساد الصيغة العربية للعوامل المحذوفة لعلم المخاطب بها كقولك: زيدٌ. في جواب: من جاء؟

على تقدير: جاء زيدٌ.

فزيدٌ فاعل لفعل محذوف، أو لمجرد الافتراض كقول النحاة في مثل قولهم: (الكتاب قرأته) إن الكتاب مفعول به لفعل محذوف والتقدير قرأت الكتاب قرأته. وفي قولنا: يا عبد الله يجعلون المنادى مفعولا به لفعل محذوف تقديره أدعو عبد الله أو أنادي عبد الله،وهذا الافتراض يخرج الجملة من كونها إنشائية ويجعلها جملة خبرية. فقد قسم ابن مضاء المحذوفات على ثلاثة أقسام:

1 ـ محذوف لا يتم الكلام إلا به، ومنه قوله تعالى: (مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُم قالوا خيراً)[112].

2 ـ محذوف لا حاجة بالقول إليه بل هو تام دونه وإن ظهر كان عيبا كقولك: أزيداً ضربته؟ قالوا إنه مفعول بفعل مضمر تقديره: أضربتَ زيداً؟ وهذه دعوى لا دليل عليها[113].

3 ـ مضمر إذا ظهر تغير الكلام عما كان عليه قبل إظهاره كقولنا: يا عبد الله.. وعبد الله عندهم منصوب بفعل مضمر تقديره: أدعو أو أنادي وهذا إذا ظهر تغير المعنى وصار النداء خبرا وكذلك النصب بالفاء والواو ينصبون هذه الافعال الواقعة بعد هذه الحروف (بأنْ) ويقدرون (أنْ) مع الفعل بالمصدر[114].

وينبه ابن مضاء (ت. 592هـ) على أن مثل هذه التقديرات تؤدي إلى إدخال الفاظ زائدة على القرآن الكريم من غير دليل وبذلك يدخل النحاة في القرآن ما ليس منه بتقديراتهم الخيالية وزيادة المعنى كزيادة اللفظ.

ومن بنى الزيادة في القرآن بلفظ أو معنى على ظن باطل فقد قال في القرآن بغير علم وتوجه الوعيد إليه[115].

ويعترض ابن مضاء على تقدير متعلقات الجار والمجرور حين يقعا أخبارا أو صلة أو حالا وأن هناك تقديرات لا وجود لها في أسلوب عربي رصين وإنما دعت إليها الصناعة النحوية، ويرى أن متعلق الظرف كمتعلق الجار والمجرور في عدم الحاجة إليه بل إن تقديره يفسد الكلام.

وعلى غرار هدم فكرة العامل المحذوف يدعو ابن مضاء إلى هدم فكرة المعمول المحذوف فانكر وجود

ضمير مستتر في قولنا: زيد قام، وقال: إن (قام) مثل (قائم) فكما نقول: زيد قائم نقول: زيد قام وكلاهما خال من الضمير المستتر ومن هنا ذهب إلى الالف والواو والنون في مثل: قاما وقاموا وقمن ليست ضمائر وإنما هي حروف علامة التثنية والجمع المذكر والجمع المؤنث لا تختلف عن تاء التأنيث الساكنة مثل: سافرتْ.

وإذا تقدم الفاعل المؤنث المجازي وجب إثبات تاء التأنيث فتقول: الشمس طلعت، أما إذا تأخر الفاعل جاز إثباتها مثل طلعت الشمس وجاز حذفها مثل طلع الشمس وكذلك فعل العرب بأدوات التثنية والجمع إذا كان الفاعل مثنى أو مجموعا فأثبتوها تارة فقالوا: قاما الرجلان وقاموا الرجال وأكلوني البراغيث، وسموها لغة أكلوني البراغيث وهي لغة طي وبلحارث بن كعب وأزد شنوءة[116]، ورفعوها تارة أخرى، كما تفعل غير القبائل المذكورة حيث يقول غيرهم: قام الرجلان وقام الرجال بحذف الضمير وهذا عند ابن مضاء دليل على أن العرب تتعامل مع هذه الأدوات كتعاملها مع تاء التأنيث الساكنة[117].

ولتقديم المزيد من الأدلة على بطلان نظرية العامل ناقش ابن مضاء القرطبي (ت 592هـ) بابين من أبواب النحو ويرفض أساليب دعت إليها صناعة النحو لا يعرفها الأسلوب العربي ولا ينطق بها العرب.

أحدهما: باب التنازع في مثل قولهم: أعطيتُ وأعطاني زيدٌ درهماً، وظننتُ وظنني زيداً شاخصاً، وظننتُ وظناني شاخصاً الزيدين شاخصين، وظننتُ وظنناني حاضراً الزيدين مسافرين، وأعلمتُ واعلمانيهما إياهما الزيدين العمرين منطلقين، وغيرها من الامثلة المصنوعة، ويبدي ابن مضاء رأيه في هذه المسألة صريحا بقوله:

«ورأيي في هذه المسألة وما شاكلها أنها لا تجوز لأنه لم يأت لها نظير في كلام العرب وقياسها على الافعال الدالة على مفعول به واحد قياس بعيد لما فيه من الاشكال بكثرة الضمائر والتأخير والتقديم».[118]

وابن مضاء غير مدافع فيما يقول: فعلى النحاة أن يُنَحّوا مثل هذه الاساليب الملتوية التي سببت التذمر من الدرس النحوي حتى بلغ الامر أنه إذا قيل: بدأ الدرس النحوي انقبضت النفوس.

وثانيهما: باب الاشتغال الذي أسهب النحاة فيه من وجوب الرفع ووجوب النصب وجواز الوجهين مع ترجيح الرفع أو ترجيح النصب أو ما يجوز فيه الوجهان من غير مرجح مقدرين في أكثر الصيغ عوامل محذوفة لا دليل عليها مثل: الكتابَ قرأته على تقدير قرأت الكتاب قرأته. ولا يرى ابن مضاء مسوغا لهذه التقديرات وهو يقترح حذف بابي التنازع والاشتغال من النحو لأن التقدير فيهما التواء بالألسنة عن الاسلوب العربي القويم، ونحن نرى فيهما تنفيرا للناشئة والدارسين من الدرس النحوي.

أما التقدير في القرآن الكريم فعند ابن مضاء (ت 592هـ) مُحرّم، ففي قوله تعالى: (إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)[119] لا يرتضي تقدير الآية هكذا إذا كورت الشمس كورت، لأن ذلك يُدخِلُ في القرآن لفظا زائدا عليه وهو أمر مُحرّم.

ويضع ابن مضاء قاعدة لهذا الباب وينكر العامل بقوله: «إن كل فعل تَقدّمه اسم وعاد منه على الاسم

ضمير مفعول أو ضمير متصل بمفعول أو بمخفوض أو بحرف من الحروف التي تخفض ما بعدها، فإن ذلك الفعل لا يخلو أن يكون خبرا أو غير خبر وغير الخبر يكون أمرا أو نهيا أو مستفهما عنه أو محضوضا عليه أو معروضا أو متعجبا منه، فإن كان أمرا أو نهيا فالاختيار فيه النصب ويجوز رفعه فإن كان العائد على الاسم المقدم قبل الفعل ضمير رفع، فإن الاسم يرتفع كما أن ضميره في موضع رفع.

ولا يُضمر رافعٌ كما لا يضمرُ ناصبٌ، إنما يرفعه المتكلم وينصبه اتباعا لكلام العرب »[120].

وهذا الذي ذكره ابن مضاء القرطبي (ت 592هـ) من أن العامل الحقيقي هو المتكلم وليس اللفظ إنما هو رأي القدماء من النحاة كما أشار إلى ذلك سيبويه (ت .180هـ) في الكتاب[121]، وصرح به ابن جني (ت 392هـ) بقوله: (وإنما قال النحويون عامل لفظي وعامل معنوي ليروك أن بعض العمل ياتي مسبباً عن لفظ يصحبه كمررتُ بزيد، وليتَ عمراً قائمٌ وبعضه ياتي عاريا من مصاحبة لفظ يتعلق به، كرفع المبتدأ بالابتداء ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم، هذا ظاهر الأمر وعليه صفحة القول، فأما الحقيقة ومحصولِ الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره)[122]. وابن مضاء نفسه أشار إلى هذا[123].

ويعالج ابن مضاء القرطبي (ت 592هـ) زعم النحاة أن الفعل المضارع منصوب بعد واو المعية وفاء السببية بأن واجبة الاضمار مثل:

لا تَأكُلِ السمكَ وتشربِ اللبنَ، ولا يشتمْ زيدٌ عمراً فيؤذيَه فيقدرون أنْ محذوفةً مع الفعل التالي للواو او الفاء بمصدر بحيث تصبح الجملتان هكذا: لا يكون منك أكلٌ للسمك وشرب للبن، ولا يكون شتم من زيد فإيذاء لعمر.

يرى ابن مضاء أن في ذلك تحملا وتعسفاً في التأويل ما كان المتكلم يقصد إليه وإنما تَقَوَّله النحاة عليه ونسبوه إليه زورا وبهتانا إنما يقصد المتكلم في الجملة الأولى إذا نصب الفعل الثاني فقال: « لا تأكلِ السمك وتشربَ اللبن كان المعنى لا تجمع بين أكل السمك وشرب اللبن، وإنْ رَفَعَهُ كان المعنى النهي عن أكل السمك والأمر بشرب اللبن، وإنْ جزم أراد النهي عن الفعلين »[124].

يريد ابن مضاء أن يثبت بهذا أن نصب الفعل بعد واو المعية وفاء السببية ليس بإضمار أنْ كما قال البصريون وليس هو بالصرف أو الخلاف[125] كما قال الكوفيون، وإنما يعود إلى المعنى الذي يريده المتكلم، ثم هو بهذا يؤكد دعوته إلى إلغاء نظرية العامل لأنها تخفي الدلالة الحقيقية للحركات الإعرابية، وهي أيضا تُخَطِّئ صِيَغاً عربية سليمة وتاتي بصيغ سقيمة لم يعرفها العرب ولم ينطقوا بها وفي كل ذلك إرباك للدرس النحوي وإجهاد للمتعلم وتنفير له من علم النحو.

وقد استقى ابن مضاء رأيه النحوي هذا من مذهبه الفقهي الظاهري الذي يأخذ بظاهر النص ويرفض العلل والقياس.

ويتحدث ابن مضاء عن العلل النحوي فيبقي على العلل الأوائل ويرفض الثواني والثوالث منها. يقول: « ومما يجب أنْ يسقط من النحو، العلل الثواني والثوالث[126] »، ويقسم العلل الثواني على

أقسام:

1 ـ قسم مقطوع به

2 ـ وقسم فيه إقناع

3 ـ وقسم مقطوع بفساده[127]

ولابد أن نشير إلى أن ابن مضاء استقى هذا التقسيم والحديث عن العلل من ابن جني (ت 392هـ) ولو تأمل ابن مضاء قليلا في كلام ابن جني لوجده يضم العلل الثواني والثوالث إلى العلل الأوائل على أن ابن جني نفسه يذكر بصراحة أنه أخذ ذلك عن ابن السراج (ت 316هـ). يقول ابن جني: «باب في العلة وعلة العلة. ذكر ابو بكر[128] في أدل أصوله هذا ومثّل منه برفع الفاعل. قال: فإذا سئلنا عن علة رفعه قلنا ارتفع بفعله، فإذا قيل ولمَ صار الفاعل مرفوعا؟ فهذا سؤال عن علة العلة.

وهذا موضع ينبغي أن تعلم منه أن هذا الذي سماه علة العلة هو تجوز في اللفظ فأما في الحقيقة فهو شرح وتفسير وتتميم للعلة، ألا ترى أنه إذا قيل له: فلمَ ارتفع الفاعل؟ قال: لإسناد الفعل إليه، ولو شاء لابتدأ هذا فقال في جواب رفع زيد من قولنا: قام زيدٌ: إنما ارتفع لاسناد الفعل إليه فكان مغنيا عن قوله: إنما ارتفع بفعله حتى تسأله فيما بعد عن العلة التي ارتفع بها الفاعل. وهذا هو الذي أراده المجيب بقوله: ارتفع بفعله أي بإسناد الفعل إليه.

نعم ولو شاء لما طله فقال له: ولم صار المسند إليه الفعل مرفوعا؟ فكان جوابه أن يقول: إن صاحب الحديث أقوى الأسماء والضمة أقوى الحركات فجعل الأقوى للأقوى، وكان يجب على ما رتبه أبو بكر أن تكون هنا علة وعلة العلة وعلة علة العلة. وأيضا فقد كان له أن يتجاوز هذا الموضع إلى ما وراءه فيقول: وهلا عكسوا الأمر فأعطوا الاسم الأقوى الحركة الضعيفة لئلا يجمعوا بين ثقيلين. فإن تكلف متكلف جوابا عن هذا تصاعدت عدة العلل وأدي ذاك إلى هُجنة القول وضعفة[129] القائل به[130]».

كما فتح ابن مضاء فتحا جديدا وما هو بصاحب هذه المسألة وما هو بابن بجدّتها بل سبقه إليها أبو الفتح بن جني الذي استهجن هذه السلسلة من العلل وتصاعدها والبحثَ فيها والاجابة عنها ورمى القائل بها بالخور بالرأي وقلة الفطنة عندما وصفه بالضعفة.

ومعلوم أن التعليل يمثل عنصرا أساسا في الدرس النحوي عند العرب وكان أوائل النحاة معللين، وتذكر الروايات أن أول من بَعَجَ النحو ومدّ القياس وشرح العلل هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي[131] (ت 117هـ). وكان سيبويه (ت 180هـ) قد بنى كتابه على التعليل والحوار الذي جرى بينه وبين الخليل (ت 175هـ) بالسؤال عن العلل، ما كانت هذه العلل تذهب بعيدا وراء التفسير المباشر بل إنها تبقى في ضوء الشكل التركيبي للعبارة أو بالرجوع إلى المعنى أو بتفسير الشكل التركيبي نفسه وقد تحمل على كثرة الاستعمال مثلا. فالسؤال عن العلل والإجابة عنها كان يدور لدى القدماء مع المعنى.

فقد سأل عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117هـ) الفرزدق، كيف تُنْشدُ هذا البيت؟

وعينانِ قالَ اللهُ كونا فكانتا

فعولان في الألبابِ ما تفعلُ الخمرُ[132].

فقال الفرزق : كذا أنشد ـ وأنشد فعولان.

فقال ابن أبي إسحاق : ما كان عليك لو قلت فعولين ؟!

فقال الفرزدق : لو شئت أن أسبّح لسبّحتُ ونهض، أي لو نصب لأخبر أن الله خلقهما وأمرهما أن تفعلا ذلك وإنما أراد : أنهما تفعلان بالألباب ما تفعل الخمرُ.

قال أبو الفتح (392هـ) : كان هنا تامة غير محتاجة إلى الخبر، فكأنه قال : وعينان قال الله احدثا فحدثتا أو اخرجا إلى الوجود فخرجتا[133].

وعندما أنشد الفرزدق لنفسه :

إليك أمير المؤمنين رَمتْ بنا
همومُ المُنَى والهوجلُ المتعسفُ
وعَضُّ زمانٍ يا ابن مروانَ لم يدعْ
مِنَ المالِ إلا مسحتا أو مُجَلَّفُ[134]

قال له ابن أبي اسحاق : على ماذا رفعتَ (مجلف) ؟

فقال الفرزدق وقد أزعجه اعتراضه عليه . على ما يسوؤك وينوؤك علينا أن نقول وعليكم أن تُؤَوِّلوا، ثم هجاه فقال :

فلو كان عبد الله مولى هجوته
ولكنَّ عبدَ الله مولى مواليا[135]

هكذا كان التعليل عند الأوائل يجري مجرى المعنى لكن أخذ التعليل بعد سيبويه (ت 180هـ) يتشعب فيؤثر فيه التعليل الارسطي تارة والتعليل الكلامي والفقهي تارة أخرى حتى صار التعليل غاية بحد ذاته من غايات الدرس النحوي حتى وجدنا بعض النحاة يؤلفون في العلل النحوية كما فعل الزجاجي (ت 337هـ) فألف (كتاب الإيضاح في علل النحو) .

واستمر التعليل يتشعب حتى دخل عالم الافتراض والتخمين والميتافيزيقيا مما سبب تنفير الدارس من درس النحو وهذا هو الذي دعا ابن مضاء إلى المطالبة بإسقاط العلل .

ويرى ابن مضاء (ت 592 هـ) أن سؤال السائل في قولنا : قام زيدٌ، لِمَ رُفعَ زيدٌ؟ فيقال : لأنه فاعل وكل فاعل مرفوع، فيقول ولِمَ رُفع الفاعل؟ فالصواب أن يقال له : كذا نطقت العرب ثبت ذلك بالاستقراء[136] .

ولقد يريد أن يقول ما يقوله المحدثون في تفسير الظواهر اللغوية بأن يقتصروا على وصف الظاهرة من غير تعليلها وذلك بوصف اللغة كما هي وهو ما يعرف بعلم اللغة الوصفي .

ولأن المذهب الظاهري لا يأخذ بالقياس الفقهي فقد دعا ابن مضاء القرطبي (ت 592 هـ) إلى إلغاء القياس في النحو وحتى يبرهن على ما ذهب إليه ضرب لذلك بعض الأمثلة من أقيسة النحاة واختار قياسهم إعراب الفعل المضارع على إعراب الاسم لشبهه به دون أخويه الماضي والامر والاسم عند النحاة أصل والفعل فرع وقالوا : إن الفعل اكتسب الاعراب لعلتين :

أولاهما : كونه صالحا للحال والاستقبال كالفعل يقوم فإذا قلت : سوف يقوم تخصص للاستقبال بعد أن كان شائعا .

وثانيهما : أن لام الابتداء تدخل على الاسم مثل :

إنَّ زيداً لقائمٌ[137] وتدخل على الفعل المضارع مثل: إن زيدا ليقوم بهاتين العلتين صار الفعل المضارع معربا.

وقد رفض ابن مضاء هذين السببين أو هاتين العلتين لإعراب المضارع وعنده أن الاعراب أصل في الفعل المضارع كما هو أصل في الاسم. ويحكم باعراب المضارع من غير حاجة إلى هذا القياس. وهو يراجع النحاة في زعمهم أن الاعراب أصل في الاسم لانه يأتي فاعلا ومفعولا ومضافا إليه فيعرب لبيان هذه الأحوال، وعنده أن الفعل أيضا معرض لمثل هذه الوجوه فهو مثبت ومنفي مأمور به ومنهي عنه وشرط ومشروط ومخبر به ويستفهم عنه فهو بحاجة إلى الاعراب كحاجة الاسم إليه، ولذلك فهو لا يسلّم أن الفعل فرع. ويرى أن الأسْلَم أنْ يقال: إنّ الفعل المضارع يكون معربا إذا لم يتصل بنون التوكيد ولا بنون النسوة. ولا حاجة إلى هذا القياس وهذه العلل التي تشغل بال الدارس ولا تثبت بالتمحيص.

وكما دعا ابن مضاء إلى إلغاء نظرية العامل والعلة والمعلول والأقيسة فقد دعا أيضا إلى إلغاء التمارين التي وضعها النحاة وهي افتراضية غير عملية لا تفيد في النطق ولا تدخل في الاسلوب العربي بل لمجرد التمرين وما كان للاسلوب العربي عهد بها من قبل، كان يقال: إبنِ مِن كذا على صيغة كذا وربما اختلفوا وجاء كل فريق بحجة على اشتقاقه وذلك يسبب بلبلة الآراء.

وابن مضاء يدعو في آخر كتابه إلى إسقاط الاختلاف فيما لا يفيد نطقا كاختلافهم في رفع الفاعل ونصب المفعول وسائر ما اختلفوا فيه من العلل الثواني وغيرها مما لا يفيد نطقا كاختلافهم في رافع المبتدأ وناصب المفعول فنصبه بعضهم بالفعل وبعضهم بالفاعل وبعضهم بالفعل والفاعل معا[138].

كانت صيحة ابن مضاء المنبه في الوقت المبكر لإعادة النظر في منهج النحو قبل أن ينفر البقية الباقية من طلاب هذا الدرس، وهو في كتابه المختصر النافع لا يدعو إلى هدم النحو ونسف الماضي بل يطالب بتجريد النحو من الشوائب وتخليصه من صناعة النحاة، إنه بصراحة يريد تخليص النحو من النزعة المنطقية والفلسفية.

ومع أن هذه الصيحة لم يكن لها أثر على معاصريه ومن جاء بعدهم فقد استمر الغلاة في النحو في الصناعة النحوية بعد ابن مضاء وبقي النحاة يترسمون خطا من سبقهم حتى أوائل القرن العشرين فوجدنا عددا من الاساتذة والباحثين يدعون إلى تيسير النحو وفي ذلك بعث فكرة ابن مضاء.

الهوامش

(1) النصر: 2/110 من قوله تعالى: «وَرَأيتَ النَّاسَ يَدخُلُونَ في دين اللّه افواجا».

(2) مراتب النحويين: 6 والخصائص: 8/2 ومعجم الادباء: 82/1 والمزهر: 246/2 والاقتراح: 52 وكنز العمال: 151/1 ونشاة النحو: 9.

(3) التوبة: 3/9 من قوله تعالى: (وأذانٌ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إلى النَّاسِ يَومَ الحَجِّ الاكبَرِ أنَّ اللّهَ بَريءٌ مِنَ المُشركينَ وَرَسُولُهُ) برفع الرسول. وانظر قراءة الجر في الفهرست: 5 والخصائص: 8/2.

(4) الخصائص: 8/2

(5) الفهرست: 45 واخبار النحويين البصريين: 16 وفي النحو العربي - نقد وتوجيه: 13.

(6) دروس في كتب النحو: 10

(7) نشاة النحو: 67

(8) الكتاب ـ طبعة هارون ـ المقدمة 1/8 ـ 14

(9) اقرا عنه كتاب (سيبويه إمام النحاة) للاستاذ علي النجدي ناصف .

(10) مراتب النحويين : 65 .

(11) الفهرست : 57 ونزهة الالباء : 75 وكشف الظنون : 1427

(12) دروس في كتب النحو : 12

(13) الكتاب ـ المقدمة : 36/1

(14) بغية الوعاة : 463/1

(15) الفهرست : 68 وإنباه الرواة : 149/3

(16) إنباه الرواة 109/3 ونشأة النحو : 150

(17) الفهرست : 69

(18) الكتاب ـ المقدمة : 36/1 والفهرست : 68

(19) كشف الظنون : 1427/2

(20) الكتاب ـ المقدمة : 37/1

(21) وفيات الاعيان : 81/2

(22) كشف الظنون : 1427/2

(23) الكتاب ـ المقدمة : 38ـ36/1

(24) الفهرست : 62 وخزانة الأدب : 179/1

(25) خزانة الادب : 179/1

(26) الفهرست : 65 وإنباه الرواة : 285/3

(27) الكتاب ـ المقدمة : 38/1 ـ 39 وكشف الظنون : 1427/2

(28) كشف الظنون : 1427 وبغية الوعاة : 116/1

(29) الكتاب ـ المقدمة : 40ـ39/1

(30) كشف الظنون : 1427/2

(31) وهو مطبوع في ذيل الكتاب طبعة بولاق القاهرة 1316هـ .

(32) الكتاب ـ المقدمة : 41/1

(33) نفسه : 41ـ40/1

(34) في النحو العربي ـ نقد وتوجيه : 14

(35) حققه ونشره في مصر الاستاذ محمد عبد الخالق عظيمة .

(36) حققه ونشره في بغداد الاستاذ الدكتور عبد الحسين الفتلي ونال به درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة واعيد طبعه في بيروت .

(37) حققه ونشره في بغداد الاستاذ الدكتور علي جابر المنصوري .

(38) حققه ونشره في بيروت الاستاذ الدكتور علي جابر المنصوري .

(39) حققه الاستاذ الدكتور علي جابر المنصوري ونال به درجة الدكتوراه من جامعة عين شمس .

(40) حققه الاستاذ صلاح السنگاوي ونال به درجة الماجستير من الجامعة المستنصرية في بغداد .

(41) عهدي به ما يزال مخطوطا في دار الكتب المصرية برقم (5 ش نحو) .

(42) حققه ونشره الاستاذ الدكتور حسن شاذلي فرهود .

(43) حققه ونشره الاستاذ الدكتور كاظم بحر المرجان .

(44) محقق ومنشور بطبعات كثيرة .

(45) منشور في القاهرة بعشر مجلدات .

(46) حققه ونشره في القاهرة عام 1984م الاستاذ الدكتور مصطفى النحاس .

(47) الفهرست : 58

(48) نشأة النحو : 87

(49) الفهرست : 72

(50) نفسه : 76

(51) نفسه : 72

(52) نفسه : 68

(53) تيسير النحو التعليمي : 13

(54) الفهرست : 81

(55) نفسه : 80

(56) نفسه : 87

(57) نفسه : 89

(58) نفسه : 91 ونشأة النحو : 152

(59) الفهرست : 90 ونشأة النحو : 153

(60) نشأة النحو : 149 والكتاب حققه الاستاذ الدكتور صاحب ابو جناح ونشره في بغداد .

(61) نشأة النحو : 157

(62) نفسه : 153

(63) نفسه : 15

(64) نفسه : 171

(65) نفسه : 171 ـ 172

(66) نفسه : 172

(67) حققه الاستاذ حامد المؤمن ونشره في بغداد

(68) نشأة النحو : 183

(69) دلائل الاعجاز ـ المقدمة ـ : 10 وإنباه الرواة : 189/2

(70) نشأة النحو : 174

(71) نفسه : 175

(72) تيسير النحو التعليمي : 15

(73) نشأة النحو : 184

(74) نفسه : 179

(75) تيسير النحو التعليمي : 15

(76) نشأة النحو : 199

(77) نفسه : 186

(78) الوافية نظم الكافية : ـ المقدمة ـ : 21

(79) الكتاب محقق ومنشور

(80) نشأة النحو : 223

(81) تيسير النحو التعليمي : 15

(82) و(83) نشأة النحو : 224

(84) الكتاب محقق ومنشور

(85) الكتاب محقق ومطبوع في بغداد

(86) الكتاب مطبوع عدة مرات ومتداول بين الناس

(87) حققه ونشره محمد محيي الدين عبد الحميد

(88) الكتاب مطبوع ومحقق ومتداول بين الناس.

(89) حققه محمد محيي الدين عبد الحميد وطبع عدة مرات ثم حققه الدكتور مازن المبارك ونشره.

(90) في النحو العربي ـ نقد وتوجيه : 16.15

(91) في النحو العربي ـ نقد وتوجيه : 142

(92) نشر في كتاب جامع مهمات المتون، وشرحه ملامحسن ونشر الشرح في كتاب جامع المقدمات : 271.239 .

(93) اقرا عنه كتاب : ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية .

(94) دروس في كتب النحو : 171 ودروس في المذاهب النحوية : 218 .

(95) النحو العربي ومناهج التاليف والتحليل : 437 .

(96) المعجب في تلخيص اخبار المغرب : 279.278 وينظر في ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية : 42.40 و89.88 .

(97) الرد على النحاة ـ تحقيق الدكتور شوقي ضيف ـ المقدمة : 12.11 .

(98) نفسه .

(99) الخصائص : 110.109/1

(100) الرد على النحاة ـ تحقيق البنا : 69 .

(101) الخصائص : 48/1

(102) نفسه : 150/1

(103) اللغوب : الأحمق الضعيف ـ لسان العرب ـ لغب .

(104) المحتسب : 336/1 والخصائص : 249/1 ولسان العرب : لغب ـ والبحر المحيط : 315/7 .

(105) يس : 40/36 وفي المصحف (سابقُ النهارِ) بكسر الراء .

(106) ينظر في مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه : 125 .

(107) الخصائص : 125/1 و249 و373 و492/2 والمحتسب : 81/2 ولسان العرب ـ وزن .

(108) الرد على النحاة ـ تحقيق البنا : 94 .

(109) نفسه : 133 وابن مضاء القرطبي : 97

(110) الرد على النحاة ـ تحقيق البنا : 63

(111) نفسه : 69 .

(112) بغية الوعاة : 323/1

(113) الكتاب ـ طبعة هارون : 13/1

(114) الرد على النحاة : 69

(115) ديوان امرىء القيس : 39 وخزانة الادب : 158/1 والانصاف المسألة 13 : 84/1 .

(116) الكتاب ـ طبعة هارون : 79/1

(117) المقدمة : 17.14

(118) الرد على النحاة : 69

(119) النحل : 30/16 والشاهد في الآية الكريمة نصب خيرا بفعل محذوف لا يتم الكلام إلا به . التقدير : انزل خيراً .

(120) اتخذ ابن مضاء كما اتخذ غيره ممن نقدوا النحو ـ من باب الاشتغال نقطة ضعف للهجوم على النحو العربي . وما ذكره من نصب الاسم المتقدم في باب الاشتغال بفعل مقدر هو راي البصريين لانهم يقولون : إن الفعل (ضرب) ينصبَ الضمير، ولانه متعد لمفعول واحد لا يجوز أن ينصب الضمير والاسم المتقدم ولكن الكوفيين يرون ان الاسم المتقدم منصوب بالفعل الموجود (ضرب) وأما الضمير فهو توكيد للاسم ـ ينظر الانصاف ـ المسالة 12 : 82/1 .

(121) يذهب النحاة إلى ان المنادى منصوب بفعل محذوف تقديره ادعو أو أنادي وعندهم ان قولنا يا عبد الله تقديره ادعو عبد الله واعتراض ابن مضاء هو ان هذا التقدير يغير الجملة فيحولها من جملة انشائية طلبية إلى جملة خبرية بعد تقدير فعل النصب المنادى والحق ان هذا التقدير تخيل لا وجود له . وأجاز المبرد نصب المنادى على حرف النداء لسده مسد الخبر ويذهب الدكتور مهدي المخزومي إلى ان حروف النداء ليست إلا حروف تنبيه للفت المنادى وإسماعه الصوت لا تعمل . ينظر في : شرح الرضي على الكافية : 346/1 وفي النحو العربي ـ نقد وتوجيه : 303 .

(122) الرد على النحاة : 72.71

(123) الرد على النحاة 73

(124) شرح ابن عقيل : 468/1

(125) الرد على النحاة : 93

(126) نفسه : 90

(127) التكوير : 1/81

(128) الرد على النحاة : 98.95

(129) طبعة هارون : 79/1 وغيرها

(130) الخصائص : 109/1 و110

(131) الرد على النحاة : 69

(132) الرد على النحاة : 126.100

(133) إذا وقع الظرف خبرا مثل : البحر أمامكم والعدو خلفكم. فإنه ينتصب عند الكوفيين بالخلاف ومثله المفعول معه مثل : استوى الماءُ والخشبةَ والفعل المضارع الواقع بعد الواو والفاء المسبوقتين بنفي أو طلب أو استفهام أو تمن وإنما قال الكوفيون بالخلاف لان الجواب مخالف لما قبله، فما قبله أمر أو نهي أو استفهام أو تمنٍّ أو عرض ألا ترى أنك لو قلت : آتنا فنكرمَكَ لم يكن الجواب أمرا؟ وإذا قلت : لا تنقطعْ عنا فنجفوكَ لم يكن الجواب نهيا، وإذا قلت : ما تأتينا فتحدثَنا لم يكن الجواب نفيا، وإذا قلت : أين بيتُك فأزورَك لم يكن الجواب استفهاما، وإذا قلت : ليتَ لي بعيرا فأحجَّ عليه لم يكن الجواب تمنيا، وإذا قلت : الا تنزلُ فتصيبَ خيراً لم يكن الجواب عرضا، فإذا لم يكن الجواب شيئا من هذه الاشياء كان مخالفا لما قبله، وإذا كان مخالفا لما قبله وجب أن يكون منصوبا لما بيّنا.

فالنصب على الخلاف عند الكوفيين يعني ان الفعل الثاني مخالف للفعل الاول لان الثاني يدل على معنى لا يدل عليه الاول.

ورفض البصريون فكرة نصب الظرف على الخلاف بل قالوا هو منصوب بفعل مقدر وكذلك المفعول معه منصوب عندهم بالفعل وشبه الفعل المتقدم عليه ورفضوا نصب الفعل المضارع بعد الفاء السببية وواو المعية على الخلاف بل قالوا إنه منصوب بأن مضمرة بعد الفاء والواو.

ينظر في الانصاف ـ المسألة 76 : 557/2 ـ 558

ودراسة في النحو الكوفي : 287ـ288.

(134) الرد على النحاة : 126

(135) نفسه : 127

(136) هو ابو بكر بن السراج وينظر رأيه في كتابه أصول النحو : 51/1ـ52

(137) الضعفة : الخور في الرأي وضعفُهُ قلة الفطنة.

(138) الخصائص : 173/1

(139) طبقات النحويين : 31 وإنباه الرواة : 105/1 وغاية النهاية في طبقات القراء 310/1 ونشأة النحو : 59.

(140) البيت لذي الرمة من قصيدة مطلعها :

الا يـا اسلـمي يـا دار مـيّ عـلى البـلى
ولازال مـنـهـلا بـجـرعـائـكِ القَـطْـر

والبيت هو الـ 26 من القصيدة وقبله :

لـهـا بـشـر مـثـل الحـريـر ومـنـطـق
رخـيـم الحـواشـي لا هـراء ولا نـزر

ديوان ذي الرمة : 559/1 والشعر والشعراء : 33/1 والخصائص : 302/3 والاقتراح : 96 وشرح المفصل : 16/1 و19/2 والأشباه والنظائر : 200/3 ونشأة النحو : 59.

(141) الخصائص : 302/3

(142) ديوان الفرزدق : 556 وطبقات فحول الشعراء : 16ـ17 والشعر والشعراء : 33/1ـ34 وخزانة الادب : 115/1 وشرح المفصل : 31/1 و103/10 ونشأة النحو : 59 وفهارس شرح المفصل : 188.

(143) لما سمع عبد الله بن أبي إسحاق هذا البيت من الفرزدق قال :

عذره شر من ذنبه فقد أخطأ أيضا. والصواب مولى موالٍ.

وكان الفرزدق قد ضاق ذرعا بعبد الله بن أبي إسحاق لكثرة ملاحقته له بالاعتراض عليه في مثل ما تقدم ومثل قوله :

مـسـتـقـبـلـين شـمـال الـشـام تـضـربـنـا
بـحـاصـب كـنـديـف الـقـطـن مـنـثـور
عـلـى عـمـائـمـنـا يُـلـقـى وأرحـلـنـا
عـلـى زواحـف تـزجـى مـخـهـا ريـر

فقال إنما هو (رير) بالرفع.فوجد عليه الفرزدق وقال : اما وَجَدَ هذا المنتفخ الخصيين لبيتيٌ مخرجا في العربية؟

اما اني لو شئت لقلت :

عـلـى عـمـائـمـنـا يـلـقـى وارحـلـنـا
عـلـى زواحـف نـزجـيـهـا مـحـاسـيـر

ولكني والله لا أقوله : والبيت ليس في ديوانه ولكن ورد ذكره في كثير من الكتب. ينظر في الكتاب : 313/3 والشعر والشعراء : 33/1ـ34 واخبار النحويين البصريين : 26ـ27 وشرح المفصل : 64/1 والمقتضب : 143/1 وخزانة الادب : 349/2ـ357 وفهارس شرح المفصل : 283 ونشأة النحو : 60.

(144) الرد على النحاة : 127

(145) الرد على النحاة : 137

مصادر البحث

1 ـ القرآن الكريم

2 ـ ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية تاليف معاذ السرطاوي دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ط1 عمان 1408هـ ـ 1988م.

3 ـ أخبار النحويين البصريين لأبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (ت 368هـ) تحقيق فيرتس كرنكو ـ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ـ 1936م.

4 ـ الاشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي (ت 911هـ) تحقيق عبد الاله نبهان وجماعته ـ منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ 1407هـ ـ 1986م.

5 ـ اصول النحو لابي بكر بن السراج (ت 316هـ) تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة ط3 ـ بيروت ـ 1408هـ ـ 1988م.

6 - الاقتراح لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ) تحقيق الدكتور احمد سليم الحمصي والدكتور محمد احمد قاسم ط1 طرابلس - جروس برس - 1988م.

7 - إنباه الرواة لعلي بن يوسف القفطي (ت 646هـ) مطبعة دار الكتب - القاهرة - 1374هـ - 1955م.

8 - ارتشاف الضرب من لسان العرب لاثير الدين محمد بن يوسف أبي حيان الاندلسي النحوي (ت 745هـ) تحقيق: مصطفى احمد النماس ط1 - القاهرة 1984م.

9 - الانصاف في مسائل الخلاف لابي البركات عبد الرحمن بن الانباري (ت577هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط3 مطبعة السعادة - القاهرة - 1380هـ.

10 - أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك لابي عبد الله جمال الدين محمد بن يوسف بن احمد بن عبد الله بن هشام (ت761هـ) ط1 - 1407هـ - 1987م - دار الشام للتراث - بيروت - لبنان.

11 - الايضاح العضدي لابي علي الحسن بن احمد بن عبد الغفار الفارسي (ت377هـ) تحقيق الدكتور حسن الشاذلي فرهود ط1 مطبعة التاليف بمصر - 1389هـ - 1969م.

12 - البحر المحيط لاثير الدين محمد بن يوسف أبي حيان الاندلسي النحوي (ت745هـ) - مكتبة النصر الحديثة - الرياض - مصور بالأوفست عن مطبعة السعادة بمصر - 1328هـ.

13 - البغداديات او المسائل المشكلة لابي علي الحسن بن احمد بن عبد الغفار الفارسي (ت377هـ) تحقيق صلاح الدين عبد الله السنگاوي - مطبعة العاني - بغداد - 1983م.

14 - بغية الوعاة لجلال الدين السيوطي (ت911هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة - 1384هـ - 1964م وما بعدها.

15 - تحصيل عين الذهب ليوسف بن سليمان الاعلم الشنتمري (ت476هـ) مطبوع مع كتاب سيبويه طبعة بولاق - القاهرة - 1316هـ.

16 - التكملة لابي علي الفارسي (ت377هـ) تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان - مطبعة جامعة الموصل - 1401هـ - 1981م.

17 - تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع منهج جديد للدكتور شوقي ضيف - دار المعارف بمصر - القاهرة - 1986م.

18 - جامع المقدمات - دار النشر الإسلامي - قم - 1412هـ - 1992م.

19 - الجمل للزجاجي (ت337هـ) تحقيق ابن ابي شنب - مكنسكسيك بباريس - 1376هـ.

20 - الحلبيات لابي علي الفارسي (ت377هـ) مخطوط - في دار الكتب المصرية برقم (50 ش نحو).

21 - خزانة الادب لعبد القادر البغدادي (ت 1093هـ)، تحقيق عبد السلام هارون - دار الكاتب العربي - القاهرة، 1387هـ - 1967م وما بعدها.

22 - الخصائص لابي الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ) تحقيق محمد علي النجار - دار الكتب المصرية - 1952م - 1956م.

23 - دراسة في النحو الكوفي تاليف المختار احمد ديره - دار قتيبة للطباعة والنشر بيروت - 1991م.

24 - دروس في كتب النحو للدكتور عبده الراجحي - دار النهضة العربية بيروت - 1975م.

25 - دروس في المذاهب النحوية للدكتور عبده الراجحي - دار النهضة العربية بيروت - 1988م.

26 - دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) ط1 - القاهرة - 1389هـ 1969م.

27 - ديوان امرىء القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر - 1958م.

28 - ديوان ذي الرمة تحقيق دكتور عبد القدوس أبو صالح مؤسسة الايمان - بيروت ط1 - 1982م.

29 - الرد على النحاة تاليف أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء القرطبي (ت592هـ) تحقيق الدكتور شوقي ضيف - دار الفكر العربي - 1948م.

30 - الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي (ت592هـ) تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا - دار الاعتصام - 1399هـ - 1979م.

31 - سيبويه امام النحاة تاليف علي النجدي ناصف - مطبعة البيان العربي - ط1 - 1964م.

32 - شرح ابن عقيل لالفية ابن مالك لبهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت 769هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة - ط14 - القاهرة - 1384هـ - 1964م.

33 - شرح ديوان الفرزدق - محمد إسماعيل الصاوي - مطبعة الصاوي - مصر - 1936م.

34 - شرح الرضي على الكافية لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت 686هـ) تحقيق يوسف حسن عمر - منشورات جامعة قاريونس - بنغازي - ليبيا - 1398هـ - 1978م.

35 - شرح شذور الذهب لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام (ت 761هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة - بالاوفست بيروت - ب.ت.

36 - شرح اللمحة البدرية لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام (ت761هـ) تحقيق الدكتور هادي نهر - بغداد - 1397هـ - 1977م.

37 - شرح المفصل ليعيش بن علي بن يعيش (ت 643هـ) ادارة الطباعة المنيرية - مصر - ب.ت.

38 - الشعر والشعراء لابن قتيبة (ت 276هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر - دار المعارف بمصر - 1982م.

39 ـ الشيرازيات تاليف الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبي علي الفارسي (ت 377هـ) تحقيق الدكتور علي جابر المنصوري ـ آلة كاتبة ـ جامعة عين شمس ـ كلية الآداب ـ القاهرة.

40 ـ طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي تحقيق محمود محمد شاكر مطبعة المدني ـ القاهرة.

41 ـ غاية النهاية في طبقات القراء لمحمد بن محمد بن الجزري (ت833هـ) تحقيق براجشتراسر ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ 1351هـ ـ 1932م.

42 ـ فهارس شرح المفصل لابن يعيش صنفه عاصم بهجة البيطار، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ 1411هـ ـ 1990م.

43 ـ الفهرست لابي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق بن النديم الوراق (ت 380هـ) تحقيق رضا تجدد ـ دار المسير ـ بيروت ـ ب.ت.

44 ـ في النحو العربي ـ نقد وتوجيه للدكتور مهدي المخزومي ـ دار الرائد العربي ـ بيروت ـ 1406هـ ـ 1986م.

45 ـ قطر الندى وبل الصدى لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام (ت 761هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة.

46 ـ كتاب سيبويه لابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ) بولاق ـ القاهرة ـ 1316هـ.

47 ـ كتاب سيبويه لابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ) تحقيق عبد السلام هارون ـ دار العلم ـ القاهرة 1385هـ ـ 1966م / 1397هـ ـ 1977م.

48 ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (ت1067هـ) ط3 ـ طهران ـ 1378هـ ـ 1947م.

49 ـ كنز العمال في سنن الاقوال والافعال للمتقي الهندي مطبعة حيدر آباد ـ 1313هـ.

50 ـ لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت711هـ) بولاق ـ القاهرة 1300هـ.

51 ـ اللمع لابي الفتح عثمان بن جني (ت392هـ) تحقيق حامد المؤمن عالم الكتب ـ مكتبة النهضة العربية ط2 ـ 1985م.

52 ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها لابي الفتح عثمان بن جني (ت392هـ) تحقيق علي النجدي ناصف وصاحبه ـ القاهرة ـ 1386هـ ـ 1389هـ.

53 ـ مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه (ت370هـ) تحقيق براجستراسر ـ المطبعة الرحمانية بمصر ـ 1934م.

54 ـ مراتب النحويين واللغويين لعبد الواحد بن علي أبي الطيب اللغوي (ت351هـ) تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ط2 ـ القاهرة ـ 1394هـ ـ 1974م.

55 ـ المزهر لعبد الرحمان جلال الدين السيوطي (911هـ) تحقيق محمد أحمد جاد المولى وصاحبيه ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ـ ب.ت.

56 ـ المسائل العسكريات لابي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت 377هـ) تحقيق الدكتور علي جابر المنصوري ط1 ـ مطبعة الجامعة بغداد ـ 1980ـ1981.

57 ـ المسائل العضديات لابي علي الفارسي تحقيق الدكتور علي جابر المنصوري ط1 ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ 1406 ـ 1986م.

58 ـ المعجب في تلخيص اخبار المغرب تاليف علي بن عبد الواحد التميمي المراكشي تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ـ مطبعة الاستقامة ط1 ـ القاهرة ـ 1949م.

59 ـ معجم الادباء لياقوت الحموي (ت626هـ) دار إحياء التراث بيروت ـ ب.ت.

60 ـ مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام (ت761هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ دار الشام للتراث ـ بيروت ب.ت.

61 ـ المفصل في اللغة لابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ) دار الجيل ـ بيروت ـ ب.ت.

62 ـ المقتضب لمحمد بن يزيد المبرد (ت285هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ـ المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ـ القاهرة ـ 1386هـ.

63 ـ النحو العربي ومناهج التاليف والتحليل للدكتور شعبان عوض محمد العبيدي ـ منشورات جامعة قار يونس ـ ليبيا ـ 1989م.

64 ـ نزهة الالباء في طبقات الادباء لابي البركات عبد الرحمن بن الانباري (ت577هـ) تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ط2 ـ نشر مكتبة الاندلس ـ بغداد ـ 1970م.

65 ـ الوافية نظم الكافية لابن الحاجب (ت 646هـ) تحقيق الدكتور موسى بناي العليلي ـ بغداد ـ 1984م.

66 ـ وفيات الاعيان وإنباء أبناء الزمان تاليف احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت 681هـ) تحقيق الدكتور إحسان عباس دار صادر ـ بيروت ـ 1397هـ ـ 1977م.

II - أبحاث في المصطلحية والترجمة والتعريب

* الدعوات المبكرة إلى توحيد المصطلح العلمي العربي من قبل الأفراد والجماعات

الدكتور / محمد علي الزركان

(جامعة حلب - سوريا)

* الكلمات الأكدية في اللغة العربية والكلمات المستعارة من السومرية

الأستاذ فاضل طلال القريشي

(وزارة التربية ببغداد)

* إمكانية التعبير بدقة بالمصطلح المعرب

الأستاذ / محمد طبي

(الجزائر)

* عن بعض الأسس المنهجية في إعداد المعاجم المتخصصة

الدكتورة / ليلى المسعودي

(جامعة ابن طفيل - المغرب)

الدعوات المبكرة إلى توحيد المصطلح العلمي العربي من قبل الأفراد والجماعات

الدكتور / محمد علي الزركان(*)

لقد قيل "إن مشكلة توحيد المصطلح العلمي ليست مقصورة على العربية، فقد صادفتها لغات أخرى، وعالجتها على النحو الذي نسلكه. وإذا كانت مصطلحات بعض العلوم قد ثبتت فيها واستقرت، فهناك علوم أخرى، وخاصة الحديثة منها، ماتزال مصطلحاتها قلقة ومتعارضة.. " (1).

وإن الدعوة إلى توحيد المصطلح العلمي وجدت منذ بداية اتساع العلوم والفنون وتعدد مصادرها في مطلع هذا القرن، فقد كثرت الترجمات العلمية من قبل أفراد متعددين وعن لغات مختلفة، وذلك دون ضوابط وقواعد ملزمة الأمر الذي أوجد اختلافات في تسمية مفردات المصطلحات التي تعود لمادة علمية أو فنية واحدة، في مؤسسة علمية واحدة في القطر الواحد، ناهيك عن الاختلافات الكبيرة بين قطر وقطر، مما أدى إلى البلبلة والتعددية في المصطلح العلمي العربي المقابل للمصطلح الأجنبي، حتى ليخيل إلى الباحث العربي أن اللغة العربية الواحدة قد صارت لغات، وأن المصطلح العلمي الواحد قد صار مصطلحات، ومازالت المشكلة قائمة.

وقد قام عدد من العلماء والباحثين منذ بداية هذا القرن بالدعوة إلى تدارك هذه الظاهرة الخطيرة عن طريق الدعوة إلى عقد الندوات والمؤتمرات العلمية التي يجتمع فيها أولو الأمر لتدارس هذه المشكلة وتبادل الآراء فيها للتوصل إلى وضع القواعد والشروط الخاصة في توحيد المصطلح. وسأستعرض هنا آراء بعض الأفراد في هذه المشكلة.

فكان مما كتبه المرحوم الدكتور محمد جميل الخاني الأستاذ في معهد الطب العربي بدمشق وعضو المجمع العلمي العربي داعيا الى توحيد المصطلح وحسن اختياره قوله:

"أتى على اصطلاحات العلوم والفنون لاسيما الطبية منها حين من الدهر وهي تتخبط في دياجي الإبهام... فاعتراها التشويش والتحريف واستولت

(*) كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة حلب

سمي به، فانتشر الالتباس في الألفاظ، وسرت الفوضى في الأسماء، فأصبح كل يسمي الشيء بما تهواه نفسه مما أدى إلى توالي العقبات في سبيل التفاهم، وسد في وجوه مريدي العلوم أبواب السهولة والإقبال... حتى لا يكاد الإنسان ينتهي من قراءة صفحة إلا ويمر عليه من المصطلحات أنواع وألوان..." (2).

وكتب الدكتور محمد شرف صاحب المعجم المشهور في العلوم الطبية والطبيعية حول توحيد المصطلح العلمي العربي قائلا:

"وقد سار معربو هذا الزمن ومترجموه في نقل اللغات الفرنجية على طرق مختلفة، فابتدع هذا أسلوبا جرى عليه خالفه فيه غيره، واستن آخر سنة لم يشايعه عليها أحد وصار كل معرب يضع لنفسه منهاجا لتصور الألفاظ والمعاني أو لتعريبها، وانطلقت للأقلام وللألسنة الأعنة، ووضعت أوضاع وصيغت ألفاظ بطرق مختلفة لا تؤدي المقصود منها، وشط المعربون عن الصواب شططا بعيدا... وأكثر هؤلاء المعربين ممن درسوا بلغات فرنجية وابتعدوا عن العربية، فتجدهم يستعملون الألفاظ المبتذلة والسخيفة والكلمات العامية الركيكة ويتصرفون بالمعاني ويتناولونها بالزيادة أو النقص أو التشويه ويستعملون المجازات التي لا تتم بها المعاني المقصودة تماما لعدم وقوفهم على الألفاظ العربية المقابلة، أو لعدم وجود طريقة تتبع، أو معجم واف يستدعى للمعونة حتى صار أكثر المعربات لا يتفق في وحدة الاصطلاح او المدلولات" (3).

كما كتب الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الطبيب السوري والسياسي المعروف في هذا المعنى قائلا:

"إن توحيد المصطلحات العلمية في العالم العربي خطوة قيمة نحو توحيد الجبهة الأدبية والاجتماعية والسعي للتفاهم والاتفاق على أسماء المعلومات الحسية كالعلوم الطبية مثلا مقدم بطبيعة الحال على تلك الملاحظات والمعلومات المعنوية الطليقة التي لا ضابط لها بل هو توطئة لها، لأن المعاني تستمد روحها من الموجودات الحسية عادة. وما هذا الشوق إلى توحيد الجبهة العلمية إلا بادرة من بوادر السعي لنكون في العالم العربي على صعيد واحد معنى ومبنى" (4).

وكتب الدكتور داود الجلبي إلى الدكتور أمين المعلوف في مشكلة توحيد المصطلح العلمي قائلا:

"... أقول إني متفق معكم تمام الاتفاق في لزوم توحيد المصطلح، وفي العلاج الذي اقترحتموه لهذه الغاية وهو تكليف طبيب واحد من المشتغلين بالمصطلحات الطبية في كل من مصر والشام والعراق، بوضع مصطلح واحد لكل مرض وعرض مثلا. وبعد إتمام عملهم يجتمعون في إحدى العواصم يقابلون الألفاظ التي وضعها كل منهم، ويتفقون على مصطلح واحد منها وما لا يتفقون عليه يعرضونه على الأطباء للمناقشة على صفحات المجلات... ولا أرى من الصواب ترك هذا الأمر لغير الأطباء فما حك جلدك مثل ظفرك، ونحن أدرى بلساننا الفني... والاقتصار على مصطلح واحد مهم جدا" (5).

كما تناول المرحوم مصطفى الشهابي قضية

اختلاف المصطلحات العلمية بين أبناء العربية على مختلف أقطارهم وذلك في بحوثه ومقالاته في وقت مبكر.

"فكان أول من وضع القضية في إطار أوسع، فأرخ لكل المحاولات العربية الفردية والرسمية من سنة 1919 الى 1953" (6) فأوضح أسبابها، كما دعا إلى العمل على توحيدها مبينا السبل الواجب اتباعها في ذلك فقال: "لقد أصبح اختلاف المصطلحات العلمية داء من أدواء لغتنا الضادية. وهذا الداء ينمو ويستشري كلما اتسعت الثقافة في البلاد العربية، وكثر فيها نقلة العلوم الحديثة، وعدد المؤلفين في تلك العلوم، ولعل أهم سبب من أسباب اختلاف المصطلحات إنما هو فقد الاتصال بين النقلة والمؤلفين في مختلف اقطارنا العربية، ففي كل قطر توضع مصطلحات جديدة لا يدري علماء الأقطار الأخرى عنها شيئا. وتكاد الصلات تكون مقطوعة بين أساتذة الجامعات وكلياتها في مصر والعراق والشام. واذا اتهادوا مؤلفاتهم تعصب كل أستاذ للمصطلحات التي وضعها أو ألف استعمالها. وربما راح يزري بمصطلحات زملائه...

وبدأت الشعوب العربية تشعر قليلا بالحاجة إلى توحيد المصطلحات العلمية منذ انفصال الشام والعراق وجزيرة العرب عن الدولة العثمانية، عقب الحرب الكبرى الأولى (1914 - 1918) ففي ذلك الزمن اتخذ العراق وسورية اللغة العربية لغة رسمية للتدريس في مدارس الحكومتين بدلا من اللغة التركية... وأنشأ العراق مدارس عديدة في عهد الملك فيصل الأول واحتاج إلي الكثير من المعلمين فاستدعى معظمهم من الشام ومصر، وهناك بدأ احتكاك بعضهم ببعض وبدؤوا يشعرون جميعا باختلاف المصطلحات العلمية... وهكذا ولد هذا الاتصال شعورا بضرورة جعل المصطلحات العلمية واحدة في الكتب المدرسية... ثم إن هذا الشعور أصبح شعورا عاما في البلاد العربية، ولكن الآراء متضاربة في الوسائل التي يجب التوسل بها لبلوغ هذه الغاية.. ولابد قبل البحث عن وسائل توحيد المصطلحات من قول بأن وضع المصطلحات نفسه سيظل مدة طويلة من الزمن عملا من أعمال الأفراد لا من أعمال المجامع اللغوية والعلمية وحدها، ومتى كان الأمر على ما ذكرت، يكن من المحتم حصول اختلاف على الألفاظ العربية الدالة على معنى علمي واحد، لأن لكل عالِم رأيا خاصا في معالجة كل لفظة علمية أعجمية.. فذلك يحتاج إلى أداة حكيمة فعالة للترجيح يمكن الركون إلى رأيها، وتخضع الحكومات والافراد من العلماء والأساتيذ لحكمها.. فالغرض الذي ننشده هو عمل قومي كبير.." (7).

وكتب الدكتور جميل صليبا بضرورة توحيد المصطلحات العلمية العربية فقال: "ومن خصائص الترجمة في العصر الحديث اختلاف الاصطلاحات العلمية باختلاف المترجمين، وسبب ذلك أن ثقافات المترجمين متباينة، وعلمهم بأسرار العربية متفاوت، ومعارفهم بدقائق الموضوع العلمي غير متساوية. أضف إلى ذلك أن لكل قطر عربي اصطلاحات خاصة به لا يفهمها إلا علماؤه وأن للعلماء في القطر الواحد، أو في الجامعة الواحدة، اصطلاحات مختلفة لا يفهمها إلا تلاميذهم، وقد يترجم العالِم الواحد اصطلاحا علميا بلفظين مختلفين، أو يستعمل اللفظ الواحد للدلالة على معنيين متباينين.

فهذه الأسباب كلها جعلت الترجمة إلى اللغة العربية قليلة الضبط، وجعلت التفكير العربي مشوش المفاهيم. ولا يمكن علاج هذه الحالة إلا بتوحيد المصطلحات العلمية في جميع الاقطار العربية".[8]

أما الدعوات الجماعية إلى توحيد المصطلحات العلمية فإنها تعود إلى بدايات هذا القرن كذلك فقد قيل: إن كل من له صلة بالشؤون الطبية يعرف أن في مصر جمعية اسمها الجمعية الطبية المصرية تأسست عام 1919، وراحت تعقد مؤتمرات سنوية في مختلف البلاد العربية، يشترك فيها الأطباء العرب ويتداولون في شؤون مهنتهم. وقد أخذت هذه الجمعية على عاتقها في كل مؤتمر تعقده البحث في المصطلحات الطبية في اللغة العربية، وفي ضرورة توحيدها"[9].

وقد وافق مجلس الوزراء المصري على مذكرة لوزارة الخارجية قالت فيها أن الجمعية الطبية المصرية طرحت موضوع (توحيد المصطلحات الطبية في اللغة العربية) على مؤتمرها الأخير الذي عقدته في أوائل عام 1938 في بغداد، فأصدر قرارا اقترح فيه مقترحا فصلت الجمعية الطبية قواعده بما يلي:

أن تتصل الحكومة المصرية بحكومات الأقطار العربية في الشرق الأدنى للاتفاق على ما يأتي بصفة رسمية:

أولا: أن تؤلف كل منها في بلادها لجنة من الأطباء واللغويين للنظر في موضوع توحيد المصطلحات العربية للعلوم الطبية، أي اختيار أفضل تلك المصطلحات للاستعمال، ويراعى في اختيار هذه اللجان أن تمثل فيها الجمعيات الطبية المختلفة.

ثانيا: أن تنتدب كل من تلك الحكومات من أعضاء اللجان المشار إليها عضوين للاشتراك في لجنة دائمة تجتمع بالقاهرة شهرا في كل سنة لبحث تلك المصطلحات العربية المقترحة بواسطة اللجان المشار إليها أو الواردة في المعاجم الطبية العربية...

ثالثا: أن تكون قرارات اللجنة الدائمة المشار إليها معترفا بها للاتباع في جميع المعاهد التعليمية والطبية العربية في جميع معاهدها وبالتالي في جميع مؤلفاتها ومجلاتها، وعلى ألسن أطبائها.[10]

هذا وقد نصت المعاهدة الثقافية التي عقدت بين دول الجامعة العربية في القاهرة في شهر تشرين الثاني عام 1945 في الفقرة (هـ) من المادة (9) على:

"توحيد المصطلحات العلمية بواسطة المجامع والمؤتمرات واللجان المشتركة، وبالنشرات التي تنشرها هذه الهيئات والعمل على الوصول باللغة العربية إلى تأدية جميع أغراض التفكير والعلم الحديث، وجعلها لغة الدراسة في جميع المواد في كل مراحل التعليم في البلاد العربية".

"وفي الاجتماعات التي كان يعقدها مجلس جامعة الدول العربية ولجانه المختلفة، كان الشعور بضرورة توحيد المصطلحات الحكومية يزداد في اطراد...

وللإدارة الثقافية[11] لجامعة الدول العربية أيضا محاولات لحل هذه القضية المعقدة"[12].

"فقد عنيت بموضوع المصطلحات العلمية منذ مدة طويلة، فقد بحث هذا الموضوع في المؤتمر العلمي العربي الأول الذي عقد في الأسكندرية في صيف عام 1953، وأدلى كثير من المشتركين بآرائهم

فيه. وعلى الرغم من كثرة الآراء والمقترحات واختلاف وجهات النظر في هذه المشكلة، فقد تبين بوضوح اتجاه الرأي بصفة عامة فيها، إذ استقر على ضرورة توحيد المصطلحات في البلاد العربية جميعا، وأبديت آراء واقتراحات كثيرة عن تعريب المصطلحات وترجمتها وبحثها واستقامتها وما إلى ذلك.

كما تطرق المؤتمر العلمي العربي الثاني الذي عقد في القاهرة في صيف عام 1955 إلى بحث هذا الموضوع أيضا وتألفت فيه شعبة للمصطلحات درست توحيد الترجمة العربية لنحو عشرة آلاف مصطلح في أربع حلقات هي:

1 ـ حلقة العلوم الرياضية والطبيعية والفلك.

2 ـ حلقة علوم النبات والحيوان والصحة العامة.

3 ـ حلقة علوم الكيمياء والبيولوجيا.

4 ـ حلقة علوم المواد الاجتماعية.

وقد استجابت هيئة اليونسكو لرغبة لجنة إعداد المؤتمر إعداد المؤتمر الثاني، فدعت أحد الخبراء الأجانب في موضوع المصطلحات، وهو العالم الألماني (جمبلت) الذي حاضر المؤتمرين في هذا الموضوع.

كما تطرق المؤتمر العلمي العربي الثالث الذي انعقد في لبنان عام 1957 إلى توحيد عدد كبير من المصطلحات العلمية.

وفي المؤتمر العلمي العربي الخامس الذي انعقد في بغداد عام 1966 اتخذت توصية هامة بشأن توحيد المصطلحات وهي ضرورة وضع معجم علمي عربي موحد يعمم استعماله في البلاد العربية.

هذا وتهتم الادارة الثقافية بوجه خاص في توحيد المصطلحات العلمية المستعملة في مرحلتي التعلم الابتدائي والثانوي. أما المصطلحات العلمية العامة والمستعمل منها في التعليم الجامعي، فالادارة الثقافية ترى ان المجامع العلمية والجامعات أولى بالعناية بتوحيدها" (13).

الحواشي

1 ـ مدكور، ابراهيم/ مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما (القاهرة: المطابع الاميرية 1964) ص 58.

2 ـ الخاني، محمد جميل/ المصطلحات واللغة العلمية/ مجلة المجمع العلمي العربي مج 4/315.

3 ـ شرف، محمد/ اللغة العربية والمصطلحات العلمية/ مجلة المقتطف مج 74 ج2/127.

4 ـ الشهبندر. عبد الرحمن/ توحيد المصطلحات الطبية العربية/ مجلة المقتطف مج 76ج 5/518.

5 ـ الجلبي، داود/ الدعوة إلى توحيد المصطلح../ مجلة المقتطف مج 84 ج5/625.

6 ـ الحمزاوي، محمد رشاد/ العربية والحداثة... (بيروت دار الغرب الاسلامي 1986) ص 102.

7 ـ الشهابي، مصطفى/ المصطلحات العلمية في اللغة العربية (دمشق: المجمع العلمي العربي 1965) ص 128 ـ 143.

8 ـ صليبا، جميل/ الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام (القاهرة: معهد الدراسات العربية 1958) ص 72.

9 ـ الشهابي. مصطفى/ المرجع السابق نفسه/ 139.

10 ـ توحيد المصطلحات الطبية العربية/ مجلة المقتطف مج 95 ج2/ص 247.

11 ـ التي تحولت بعد ذلك إلى: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

12 ـ الشهابي. مصطفى/ المرجع السابق نفسه/ 139 ـ 141.

13 ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مج 32 ج1/ 98.

الكلمات الأكدية في اللغة العربية والكلمات المستعارة من السومرية

الأستاذ / فاضل طلال القريشي(*)

الأكديون هم من الأقوام التي هاجرت من جزيرة العرب ما قبل الإسلام، والتي استوطنت في أواسط وجنوب العراق منذ مطلع الألف الثالث ق.م على أقل تقدير، وعاشوا مع السومريين جنبا إلى جنب، وكانت هذه الأقوام تتكلم اللغة الأكدية التي هي من عائلة اللغات الجزرية (1) «اللغة العربية الأم لهذه اللغات».

وفي حدود (2350) ق.م أسست دولتها التي عرفت بالإمبراطورية الأكدية وعاصمتها «أكد» التي لا يعرف موقعها الأصلي في الوقت الحاضر. ولذلك وجدت في اللغة العربية كلمات مستعارة من اللغة السومرية أصلها أكدي وذات جذور عميقة في تربة هذا الوطن، وهما أقدم لغتين في بلاد ما بين النهرين.

والهدف من هذا البحث هو إعطاء فكرة عن طبيعة تطور هذا النوع من الكلمات المستعارة في اللغة العربية. ولهذا السبب فإن جميع الكلمات تم ترتيبها في مجموعات مختلفة وفقا لمعانيها. ولتحقيق الفائدة بشكل أعم، فقد ذكر (ERKKI SALONEN) في كتابه (2) بأن الحرف (ج) يساوي في الكلمات الأكدية الحرف (ي) في لفظ الكلمات العربية. ومن المعروف أن سكان المناطق الجنوبية من العراق والخليج يلفظون الكلمات بهذا الشكل. كما هو الحال أيضا في ديار المغرب(3) تلفظ كلمة المسجد بالمسْيِد.. وغير ذلك من الكلمات.

أسماء المهن والأنشطة الأخرى:

أ) من بين الكلمات التي ترجع أصولها إلى بلاد ما بين النهرين في الأزمنة القديمة، هنالك بعض الكلمات السومرية الأصل التي ترمز إلى الحِرَف والمهن وخاصة اليدوية وكذلك الأنشطة والوظائف الأخرى:

(*) وزارة التربية ـ بغداد

- أكّار « حارث، فلاح » akkàr (plowman)

في الأكدية اكارو (من السورية اينكار) (حارث، فلاح، مزارع) محققة في اللغة الأكدية من العصر الأكدي القديم.

- فخّار (أواني فخارية، خزف)

fahhar (earthen ware pottery)

- فخّاري (خزّاف) fahhari (potter)

في الأكدية پخارو - ربما كانت تلفظ (بخّارو) في العهود الأكدية الأولى بـ(خ) مضاعفة (من السومرية بهار أو پهار وتكتب بهار (خزاف) محققة في اللغة الأكدية من العصر الأكدي القديم.

- إسكاف (إسكافي) (صانع الأحذية)

iskàf (shoemaker)

في الأكدية (اسكاپو) (من السومرية اسگاب) (صانع الجلد) محققة في اللغة الأكدية من العصر الأكدي القديم.

- ملاّح (بحّار، نوتي) mallah (soilor, seaman)

في الأكدية ملاحو - ربما كانت تلفظ (ملاّحو) بـ(ل) مضاعفة في العهود الأكدية الأولى (من السومرية - ملاح - تكتب ما - لاح) (بحار، نوتي) محققة في الأكدية من العصر الأكدي القديم.

- نجّـــار naggàr (carpenter)

في الأكدية (انگارّو، نگارّو) (من السومرية نگار) (نجّار) محققة في اللغة الأكدية من العصر الأشوري القديم (4) والعصر البابلي القديم (5).

- تاجـــر tàgir (merchant, trades man)

في الأكدية (تامكارو (تاجر) محققة في اللغة الأكدية من العصر الأكدي القديم. وقد ورد في كتاب (Akkadishes Hand. Worterbuch) لمؤلفه "W. Von Soden" أن هذه الكلمة نقلت من اللغة الأكدية إلى السومرية في صيغة (دامگار) تكتب (dam-gar) ومع ذلك، فهنالك رأي آخر في هذا الموضوع هو ان (damgar) يمكن ان تكون كلمة أساسية نقلت من السومرية إلى الأكدية.

- ترجمان (مُترجِم، ناقل الكلام)

turguman (translator, interpreter)

الأكدية ترگومانو، تارگومانو (الترجمان، الدليل السياحي، مترجم، ناقلُ الكلام) محققة في الأكدية من الفترة الأشورية والبابلية القديمة.

ب) هناك أيضا تعابير لم تستعمل للمهن والصنعات بل لفعاليات أخري:

- مسكين (فقير، تعيس، سائل)

miskin (poor, miserable, peggar)

الأكدية موشكينو (مبتذل، شخص غير مؤهل للقيام بخدمة، فقير، محروم) محققة في الأكدية من الفترة الأكدية القديمة - موشكينو - ظهرت ككلمة مستعارة أيضا من السومرية وكانت تهجئتها (موش كاك ين).

- تِلمْ (خادم) tilm (servant)

الأكدية تاليمو (أخ) محققة في الأكدية من الفترة الأكدية القديمة.

- تلميذ (طالب متدرب)

tilmid (pupil, student, apprentice)

الأكدية تالميدو (متدرب) محققة في الأكدية من الفترة البابلية القديمة.

التعابير الادارية.. الخ :

ـ كُرْ، مقياس الأحجام (مقياس جاف يساوي (60) قفيز[6] او[6] حمل حمار).
kurr, measure of capacity

الأكدية كرّو (من السومرية گُره) مقياس حجوم محققة في الأكدية من الفترة الأكدية القديمة.

ـ مكاسّه (جلب الضرائب)
makasa (to collect taxes)

الأكدية مكاسّو (يجمع حصة من الارض المؤجرة، يجمع الضرائب) محققة في الأكدية من الفترة البابلية القديمة.

ـ مكسْ أو مكسْ، نوع من الضريبة (رسم، كمرك) maks or miks

الأكدية مِكسّو (حصة من إنتاج الأرض تذهب لصاحب الأرض أو المالك أو تدفع إلى القصر بكونه مالك للأرض)، كمارك، رسوم. محقة في الأكدية من الفترة البابلية القديمة.

ـ منا، مقياس وزن (رطلان = 2 رطل) manà

الأكدية مَنّو. مناؤم ظهرت ككلمة مستعارة أيضا في السومرية.

ـ مِصر (حَدْ، حدود) في معجم (lane) العربي ـ الانكليزي (ص. 2719) حد أو حدود بين شيئين، بين أرضين (misr (limit, boundary، محققة في الأكدية من الفترة البابلية القديمة.

ـ شكار (ة) (كلمة تعود إلى لهجة) قطعة (من أرض محروثة) (skàr (a. الأكدية إشكاره (من السومرية اشگار. وتكتب es-gar (اش گار) (عمل منجز) محققة في الأكدية من الفترة الأكدية القديمة. تظهر الكلمة الأكدية إشكارو، التي أصلها سومري، في الآرامية من اشكارا (حقل) ويعدها في اللهجات العربية على شكل (شكار) في اللهجة العراقية. و(شكارا) في السورية.

ـ تَخْم أو تُخْمَ (حدود) الجمع تُخوم tahm or thùm. الأكدية تاخومو، توخومو (حدود، منطقة حدود) محققة في الأكدية من الفترة الآشورية والبابلية الوسطى[7].

التعابير المرتبطة بالأماكن العامة.. الخ :

هناك بعض الكلمات الأكدية في العربية تفيد شيئا مرتبطا بالأماكن العامة، المرور...:

ـ جِسْر gisr (bridge) ـ الأكدية جِسرو (جسر) محققة من الفترة البابلية القديمة.

ـ كَلَك (الطّوف) (من القرب المنفوخة) kalak (raft or inflated skins). الأكدية كلكو (يحتمل أنها كلمة مستعارة من السومرية (كالا) وتكتب (كا ـ لا) ـ (طوْف كلك) محققة في الأكدية من الفترة الاشورية الجديدة[8] بمعنى (حاوية، صندوق، قارب) من الفترة البابلية الوسطى على أقرب ما يمكن. وتستعمل كلمة كلك في العراق بصورة خاصة.

ـ مُسنّاة (حاجز مائي، سد) musannat (jetty, dam) الأكدية مُشينتو (سد، حاجز) (لتنظيم جريان الماء) محققة في الأكدية من الفترة البابلية الجديدة[9].

ـ سُلّم (درج) sullam (ladder, staircase)

ـ سُلّمة (درجة واحدة من درجات السلم) sullama (step, stair). الأكدية سِميلتو (سلم، درج) محققة من الفترة البابلية القديمة.

ـ سوق (شارع سوق) suq (bazaar street)

الاكدية سوقو (شارع مدينة) محققة في الأكدية من الفترة البابلية القديمة.

التعابير الخاصة بالبناء.. الخ

تتصل بعض الكلمات ذات الأصل الأكدي والسومري بالتعابير الخاصة بالبناء.. بضمنها التأثيث الداخلي وصناعة مواد البناء.

ـ آجر (الطابوق المشوي) agurr (baked brick)

الأكدية آجرّو (الطابوق المشوي بالفرن) محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة.

ـ باب (باب، بوابة) bàb (door, gate)

الاكدية بابو (بوابة، باب) محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة.

ـ بوري، بُرُ، بوريّا، باري، باريًا (حصيرة من ورق نبات).
bùri, bùriyya, bàri, bàriyya (rusha matting

الأكدية بر، بورو (حصيرة القصب) محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة، يمكن أن تكون الكلمة الاكدية (بورو) كلمة مستعارة من الكلمة السومرية (مورو) أو قد تكون غير معروفة الاصل[10] ربما عبر السومرية الى الاكدية.

ـ هيكل (معبد، مبنى كبير، مذبح)
haikal (temple, larhe building-altar)

الأكدية. ايكالو (من السومرية، ايگال، وأصلا شيء يشبه هيكل (قصر ملكي) محققة في الاكدية من الفترة الاكدية القديمة.

ـ ايگار (ة) انگار قمة، سطح
iggar (a), ingàr (top, roof)

انظر معجم (lane)[11] ورد فيه (السطح المستوي) أو (السطح للمنزل) وانظر كذلك المعجم العربي الفرنسي الانجليزي[12]. ورد (سطح). الأكدية ايگارو (من السومرية ايكار او آكار) (جدار البناء أو السور) محققة في الاكدية من الفترة الأشورية والبابلية القديمة.

ـ كِير (منفاخ) kir (bellows)

الأكدية كيرو (من السومرية گير ـ (فرن للجبس أو القار) محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة.

ـ أوسكوفه (المدخل، العتبة، الطارمة)
uskuffa (threshold, doortep, lintel)

الأكدية اسكوباتو، أسكوبو مسقف حجر، المدخل، درجة أمام الباب) محققة في الاكدية من الفترة الأشورية والبابلية القديمة.

التجهيزات المنزلية، الأثاث.. الخ:

هناك مجموعة من الكلمات في اللغة العربية أكدية أو سومرية هي:

ـ فاطور (صينية، منضدة) fàtùr, atray, table

راجع معجم لين ـ العربي ـ الانكليزي (ص.

2339) (صينية كبيرة دائرية من النحاس أو معادن أخرى تستخدم كمنضدة طعام، منضدة يؤكل عليها الطعام).

الاكدية پاشورو (من السومرية بانشور) (منضدة) محققة في الاكدية من الفترة الاشورية والبابلية القديمة.

- كانون (طباخ) kanun (stove)

الاكدية كينونو، كانونو (فرن، طباخ، مطهاة) محققة في الاكدية من الفترة الاشورية والبابلية القديمة.

- كرسي (مقعد، عرش)

kursi (chair, seat, throne)

الاكدية (كرسو) (مقعد، عرش) محققة في الاكدية من الفترة الاكدية القديمة والكلمة السومرية المقابلة هي (كو - زا) أصلا ترتبط بالكلمة الاكدية (كوسو) ومن المحتمل أنها كلمة سومرية مستعارة في اللغة الاكدية. ويمكن التساؤل ما إذا كان من المناسب اعتبارها كلمة جزرية الاصل دخلت السومرية.

- مَشط (مشط) must (comb)

الاكدية مُشطو (مشط) محققة في الاكدية عن الفترة الاشورية والبابلية القديمة.

- نازيّه [13] (وعاء) naziya, avessel

الاكدية نام / نزيتو، نازيتو (وعاء كبير للسوائل أو الهريس) محققة في الاكدية من الفترة الاكدية القديمة.

الأدوات .. الخ

هناك تعابير مختلفة في اللغة العربية تشير إلى - مثلا الأدوات أو الأواني، ومن بينها كلمات سومرية الأصل أيضا.

- مَرّ (مجرفة من الحديد، مسحاة)

marr (iron shovel, spade

الاكدية مرّو (من السومرية (مر) (مسحاة، مجرفة) محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة.

- منجــل mingal (scyrthe, sickle)

الاكدية نگالو، نكالّو (منجل) محققة من الاكدية من الفترة الأشورية والبابلية القديمتين - الكلمة الاكدية نكّالو، نكالو. ربما تكون من أصل أجنبي غير معروف. ومن حيث أصل المفردات قد تكون مرتبطة بالكلمة العربية منجل.

- نيــر nir (yoke)

الاكدية نيرو (نير) محققة في الاكدية من الفترة الاكدية القديمة. ربما تكون الكلمة قد جاءت من الكلمة الأرامية (نيرا) إلى العربية. مع أن الاستعارة المباشرة من الاكدية ممكنة أيضا.

- رفش [14] (مجرفة، مسحاة)

rafs (shovel spade)

الاكدية (ريشو) محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة - وكما هو الحال في كلمة (نير) جاءت الكلمة رفش أيضا إلى العربية عن طريق الآرامية (رباشا).

- سَكّ (مسمار، دبوس، وتد)

sakk (nail, pin, peg)

الاكدية سكاتّو (مسمار، دبوس) محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة .

ـ سكّان (دفّة) sukkàn (rudder)

الاكدية سكانّو (من السومرية زگان وتكتب (زي ـ گان) (الدفه)) محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة .

ـ أُنبـوب unbùb (tube, pipe, conduit)

الاكدية، إمبوبو، انبوبو، ايبوبو (ناي) محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة .

المـــواد :

توجد بعض الكلمات المستعارة من أصل جاء من بلاد ما بين النهرين إلى العربية يشير إلى مواد معينة .

ـ فـــرزل [15] firzil

الاكدية پارزلّو (حديد) (الكلمة المستعارة في الاكدية من أصل غير معروف) محققة في الاكدية من الفترة الاشورية والبابلية القديمتين .

ـ جَص، جِص gass, giss (gypsum)

الاكديـــة كصـــو (جبـــس) طـلاء ابيـض (white wash)، محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة .

ـ كَتّان، كِتان kattàn, kittàn (flax, linen)

الاكدية كتو (من السومرية گادا) محققة في الاكدية من الفترة الاكدية القديمة .

ـ نفط (نفتا، بترول) naft (naphta, petroleum)

الاكدية نپطو (نفتا) محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة ـ نپطو وهي كلمة أجنبية في الاكدية ومن أصل غير معروف .

الحيوانات والازهار :

هناك في العربية كلمات مختلفة جاءت أصلا من بلاد ما بين النهرين القديمة وتشير إلى مملكتي الحيوان والنبات .

ـ جرجير [16] (بقلة مائية)
girgir (water cress)

الاكدية اگنگيرو، إگمگيرو، گبگيرو، گنگيرو، گنگرو، گرِكيرو .

(الجرجير) محققة في الاكدية من الفترة البابلية الوسطى .

ـ كركي (غرنوق) kurki (crune)

الاكدية كركو (من السومرية كُركَي وتكتب (كُر ـ كَي) (وزة) محققة في الاكدية من الفترة الآشورية والبابلية القديمتين .

ـ نون [17] (سمكة كبيرة، حوت)
nùn (large fish, whale)

الاكدية نونو (سمكة) محققة في الاكدية من الفترة الآشورية والبابلية القديمتين .

ـ قاقُلَه [18] (هيل) qàqulla (cardamon)

الاكدية قاقولو . محققة في الاكدية من الفترة البابلية الوسطى .

ـ سرو (صنوبر دائم الخضرة)
sarw (evergreen cypress) (cupressus semperviens)

الاكدية شُرمَينو، شرمينو، شُرمانو، شُرئينو (سرو (صنوبر)). محققة في الاكدية من الفترة الاكدية القديمة.

- سمسم simsim (seasame)

الاكدية شماش شامو، شامشامو (سمسم) محققة في الاكدية من الفترة الاكدية القديمة. الكلمة الاكدية (شماش شامو) هي مزيج من شامنو - زيت - (oil) (samnu) وأصل المفردة، يساوي الكلمة العربية (سمن) دهن الطبخ، وشامونبات، عقار (وأصل المفردة له علاقة بالكلمة العربية سَمّ) أي (سُمْ) وبتعبير آخر شمأن شمي (زيت النبات) تترجم حرفيا على كونها زيت النبات.

- تل (نخلة أو نخلات صغيرة)
tal (young palm tree (s))

الاكدية تلو (نخلة صغيرة) محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة، وقد تكون جاءت كلمة (تلو) إلى العربية من الآرامية (تاله).

منوعات :

توجد في العربية كلمات من الأصل القديم لبلاد ما بين النهرين والتي لا يمكن إدراجها تحت فئة معينة:

إزب [19] (قصير بدين، قصير وسمين، قصير قوي ممتلىء الجسم، رجل قصير)

izb (dampy, pudgy, stocky, small man)

الاكدية إزبو (وليد مشوه لإنسان أو حيوان) محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة.

- كَباب (لحم مقلي أو مشوي)
kabàb (fried broiled meat)

الاكدية كبابو (يحرق، يُفَحِم، يشوي) محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة.

- كُبه (نوع من الكرات من اللحم)
kubba, kind of meat balls

انظر (كباب).

- صلاة (يصلي) sallà (to pray)

الاكدية صلّو (يصلي) محققة في الاكدية من الفترة الآشورية والبابلية الحديثة وقد جاءت كلمة صلو إلى العربية من الآرامية (صلّي).

- سبت (سبات) sabt (sabbath, saturday)

الاكدية شباتّو، شباتو (اليوم الخامس عشر من الشهر، البدر) محققة في الاكدية من الفترة الاكدية القديمة.

اسماء الاشهر :

إن أكثر الأشهر في اللغة العربية لها أصولها في بلاد ما بين النهرين:

- كانون (كانون الأول، كانون الثاني)
kànùn (december/jenuary)

الاكدية كينونو (كانونو) محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة.

- شُباط subàt (february)

الاكدية شَباطو. محققة في الاكدية من الفترة الاكدية القديمة.

- آذار àdàr (mars)

الاكدية أدارو. محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة.

ـ نيســـان	nisàn (april)

الاكدية نيسانو (من السومرية نيساگ) محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة،

ـ أيار (ماي)	ayyàr (may)

الاكدية أجّارو. محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة.

ـ تَمــوز	tammùz (july)

الاكديــة دؤوزو (مــن الســومريــة دومــو ـ زي) محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة.

ـ آب	àb (august)

الاكدية (أبو) محققة من الفترة الاكدية القديمة.

ـ أيلـــول	ailùl (september)

الاكدية ايلولو (اولولو) محققة في الاكدية من الفترة الاكدية القديمة.

ـ تشرين (تشرين الأول، تشرين الثاني)
tisrin (october/november)

الاكدية تشرِيتو. محققة في الاكدية من الفترة البابلية القديمة.

الهوامش:

1) الاستاذ طه باقر ـ أطلق على هذه الأقوام اسم الأقوام الجزرية أو الأقوام العربية القديمة.

2) ERKKI SALONEN, LOAN WORDS OF SUMERIAN AND AKKADIAN ORIGIN IN ARABIC, HILSINKI 1979

3) المغراوي وفكره التربوي / تقديم وتحقيق الدكتور عبد الهادي التازي (1403هـ ـ 1986م) انظر ص. 86 هامش (4).

4) الحقبة بين (2000) إلى (1531) ق.م وهي حقبة مقابلة لحقبة العصر البابلي القديم، باسم العصر الآشوري القديم. وقد قامت في مدينة آشور (انظر العراق في التاريخ / بغداد 1983م ـ الفصل الخامس ص.124).

5) الحقبة الواقعة بين نهاية سلالة أور الثالثة في حدود (2006) ق.م وبين نهاية سلالة بابل الأولى في حدود (1595) ق.م (انظر العراق في التاريخ/ بغداد 1983 ـ الفصل الثالث ص.83).

6) القفيز (qafiz) ـ مكيال ـ (انظر الرازي / مختار الصحاح / الكويت 1403هـ 1983م ـ ص.546).

7) أطلق الباحثون على لهجة بابل خلال فترة حكم السلالة الكشية (القرن السادس عشر وحتى القرن الثاني عشر ق.م) اسم اللهجة البابلية الوسيطة Middle Babylonian (انظر د. عامر سليمان ـ حضارة العراق الجزء الأول / الفصل الثامن / التراث اللغوي بغداد 1985 / ص.297).

8) (911-612) ق.م فيه بداية عصر جديد دام حتى نهاية كيان الاشوريين السياسي عام 612 ق.م (انظر العراق في التاريخ / بغداد 1983 / الفصل الخامس / ص.134).

9) تتمثل اللهجة البابلية الجديدة بالنصوص الأكدية التي ترقى بتاريخها إلى الفترة بين (1000) ق.م حتى سقوط الدولة الاشورية في حدود (600) ق.م (انظر د. عامر سليمان / حضارة العراق / الجزء الاول / الفصل الثامن / التراث اللغوي / بغداد 1985 / ص. 297).

10) انظر المعجم الاشوري ص. 340 ب

11) انظر معجم Lane Arabic - English Lexicon, p.24

12) انظر المعجم العربي ـ الفرنسي الانكليزي R. Blacher - M. chouemi - C. Denizeau, Dictionnaire arabe - francais - anglais I - p.4a (toiture/roof).

13) النازية / القصعة القريبة القعر ـ (انظر المنجد في اللغة والاعلام ص.803).

14) الرفش: ما يجرف به التراب ونحوه (انظر نفس المصدر ص.270).

15) الفرزل: القيد المقراض يقطع به الحداد الحديد (انظر المنجد في اللغة والأعلام ص.575).

16) جرجير: بقلة من فصيلة الصليبيات لها أوراق صغيرة بيضاء وأوراق مركبة شديدة الخضرة تنبت بريا في المناطق المعتدلة من أوروبا وآسيا بالقرب من الينابيع والمستنقعات تستعمل للسلطة فتعطيها طعما لذيذا (انظر المنجد في اللغة والاعلام ص.84).

17) النون: الحوت، والجمع انوان ونينان. وذو (النون) لقب يونس بن متى عليه الصلاة والسلام (انظر مختار الصحاح / الرازي / الكويت 1403هـ ـ 1983م / ص.686).

18) القاقُلّه : او الهال نبات هندي من فصيلة القاقليات له رائحة عطرية وله طعم حريف (حاد) حبوبه مقوية وطيبة الرائحة تستعمل في الهند كتابل وتضاف إلى القهوة في بعض بلدان الشرق (انظر المنجد في اللغة والاعلام ص.647).

19) الازب : القصير اللئيم (انظر المنجد في اللغة والاعلام / ص.9).

المصادر:

1) الاستاذ طه باقر / مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة / الجزء الاول / الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين ـ الطبعة الأولى / بغداد / 1973 .

2) المغراوي وفكره التربوي (898هـ ـ 1493م) تقديم وتحقيق الدكتور عبد الهادي التازي ـ نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج / ط.1 / 1407هـ ـ 1986م.

3) العراق في التاريخ / بغداد / 1983 .

4) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي / مختار الصحاح / الكويت / 1403هـ ـ 1983م.

5) د. عامر سليمان / حضارة العراق / الجزء الأول / الفصل الثامن / التراث اللغوي بغداد / بغداد 1985م.

6) المنجد في اللغة والاعلام / بيروت 1986م.

7) ERKKI SALONEN LOAN WORDS OF SUMERIAN AND AKKADIAN ORIGIN ARABIC, HILSINKI 1979.

إمكانية التعبير بدقة بالمصطلح المعرب مؤسسة «بروسيدار» للحديد والصلب نموذجا

الاستاذ / محمـــد طبـــي(*)

مـــدخـــل :

كانت الثقافة العربية راسخة في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، ذلك أن اللغة العربية قد انتشرت بعد الفتح الإسلامي العربي، في القرن الثامن الميلادي، وحافظ عليها الشعب الجزائري عبر القرون[1] الموالية، إلى أن بليت ـ كبلدان عربية أخرى ـ باستعمار فرنسي دام مائة واثنتين وثلاثين (132) سنة من الاحتلال.

وتميز الاحتلال الفرنسي للجزائر بظاهرة مغايرة، تمثلت في سن قانون «اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية لا يجوز تعليمها»[2]. ورغم هذا المنع فإن المواطنين لم يتوانوا في تدبر أمر تعلم لغتهم خفية، شعارهم في ذلك: «العربية لغتنا، والإسلام ديننا، والجزائر وطننا»[3]، وبطرق تقليدية، طيلة الحقبة الاستعمارية. ولم يقتصر الاستعمار على هذا المنع، بل عمد منذ أوائل السنوات الأولى للاستعمار إلى خطة تنم عن تشويه مدمر للغة العربية، إذ استعمل كلماتها في غير محلها؛ وحروفها؛ للنطق بألفاظ فرنسية، ودرّب الكثير من المعمرين والأوروبيين، والضباط والعساكر، وأعوان الإدارة عن هذا النهج المحرّف. وهم الذين تكفلوا بالترويج اللغوي الخاطئ في ممارساتهم الادارية والعسكرية مع المواطنين. وكان طموح المستعمر تكوين لغة جزائرية خاصة، بعيدة عن العربية الفصحى، لفصل الجزائر العربية عن الوطن العربي.

ولا يمكن الانكار مطلقا، على أن مدارس وزوايا وحلقات... كانت تقام في الخفاء لتعليم العربية. ولكن لانعزالها عن التواصل والتقارب عربيا، فقد كانت سيئة الطالع محدودة العطاء الفكري، وقد انتقد الشيخ مبارك الميلي كتبها قائلا: «... هي كتب سيئة الأثر في النفوس، تطبع المرء بعقيدة الاتكال على ما وراء الطبيعة، وعدم السعي في هذه الدنيا حسب قوانينها»[4].

(*) مساعد رئيس مدير عام مؤسسة «بروسيدار»

هاته هي اللغة العربية المستلمة عشية استقلال الجزائر.

الانطلاق في التعريب :

بحصول الجزائر على استقلالها، انطلقت في بناء نفسها على عدة جبهات، واحتلت اللغة العربية مرتبة عليا في اهتمام السلطة بالقضية. ورغم مرور وتعدد الأجهزة الحاكمة، فإن المرتبة ظلت دائمة الاهتمام.

وكان الجزائريون في هاته الحقبة - وهم في غمرة الحديث عن كيفيات استعادة العربية - يتخاطبون بالفرنسية. واقترنت العربية - رغم ضعفها - وضعف القليل من متحدثيها، ونقص متقنيها... - بمكسب ثوري وطني راود عامة الناس، باستثناء فئة فرنكفونية (LA FRANÇOPHONIE). « ذاك أنها ورثت ثقافة متغربة، ولغة هجينة، وكان عليها أن تواجه ذلك كله في وقت واحد، ودون إرجاء أو إبطاء » [5].

والتعريب رغم اختلاف مفاهيمه الجغرافية، عبر امتداد رقعة الوطن العربي، فإنه في الجزائر أخذ في البداية مفهوم إحلال اللغة العربية مكانة اللغة الفرنسية في كل الحقول والميادين، من حكومات ودواوين ومؤسسات ووضعت هاته الهيئات مخططات ومنهجيات لإدماج التعريب [6] في الحياة العملية اليومية للعاملين بدون استثناء.

وكان الدافع القوي: الحماس المفرط والعاطفة الجياشة وعزة الانتصار... وهي العناصر التي امتاز بها سياق التعريب « ومن هنا نقول إن التعريب في هذا القطر كان يبدأ من الصفر، ولكن ما يميز عملية التعريب في الجزائر عنها في الأقطار العربية الأخرى، القريبة منها والبعيدة، هو أنها عملية مقصودة وراءها عزم وتصميم وإرادة. ترسم مسيرتها خطط ومتابعة جادة » [7].

الظروف الثقافية :

نتيجة سياسة التسهيل المعتمدة من طرف الاستعمار تجاه الأطفال الجزائريين، فقد كانت نسبة الأمية في الجزائر، غداة الاستقلال 92٪. والنسبة المتبقية ذات الحظوة في التمدرس بالمدارس الفرنسية، هي فئة مفرنسة التعليم، غريبة الثقافة. وفئة لا تعد متعلمة، ذات تكوين ذاتي (AUTO DIDACTE) وأخرى تبنت تعليمها بلدان عربية أثناء ثورة التحرير الكبرى، وبدايات سنوات الاستقلال، ميولاتها شرقية، وثقافتها عربية / إسلامية.

هاته الشرائح الثلاث الغير متكافئة الفرص والعدد والنفوذ، هي البنية التحتية المكونة للغة الطبقة الثقافية، وهي بنية لا تساعد على انطلاق لغوي سليم الاستعمال، وغزير الألفاظ، ومتعدد العبارات عربيا.

ورغم أن بقاء الفرنسيين طال، وبإطالتهم بقت ثقافة منتشرة متجلية، لدى عامة الناس تلاحظ في تصرفاتهم.

إلا أن المتجلى أن شرخا ثقافيا حصل في هذا المسار، ولم تحصل عملية تثاقف (ACCULTURATION) بين الثقافة الفرنسية / الغربية؛ الزائلة، والثقافة الجزائرية / العربية؛ الوافدة، عبر اللغتين. وكان التصادم الذي أزاح الفرنسية

عنوة. ذاك أن «الملاحظ لعملية التعريب الشامل في الجزائر، ما نفّذ وما يزال تنفيذه، تمتلكه الدهشة من التبدل الثقافي واللغوي الذي تم في العقود الثلاثة التي تلت الاستقلال على كل صعيد وكل مستوى»(8).

وخارج الاطار الرسمي بشكليه، السياسي والثقافي، المعبر والمقتنع باستعادة العربية لمكانتها الاصلية، يثار حوار هامشي غير بناء، يتزعمه طرفان: أحدهما يدعي أنه «معرّب» ويعمل من أجل أن تصبح العربية سيدة البلاد. والآخر يزعم بأنه «مفرنس» ويعمل على استعمال هاته اللغة لتفوقها - عالميا - وما شابه من أفكار.

حوار بيزنطي دائم، موقعه الشارع والمقهى، وجلسات «قتل الوقت». محاذاة لهذا؛ يقع على مستوى الاطار الثقافي، حوار بناء يشترك فيه ذوو اللسانين: العربي والفرنسي، من مثقفي هذا البلد يؤمنان فيه بإعادة اللغة الأم إلى عقر دارها، وإلى الإقبال على تعلم اللغات الأخرى(9).

اللغة العربية والمعرفة:

لقد أصبحت اللغة العربية عالمية، بفضل القرآن الكريم، واستوعبت الكثير من الحضارات المختلفة. ولم يذكر التاريخ أنها وقفت عاجزة أمام التعبير، عن مشهد من مشاهد المعرفة.

لقد أتقن العرب وأجادوا في كثير من الجوانب المتعلقة بتطوير الحياة الإنسانية.

فالأدوات المخترعة والمكتشفة للتحكم في مكونات الطبيعة، وتكريسها لخدمة الإنسان؛ طوال هاته المدة؛ رغم غياب الرصيد العلمي بالمفهوم الحديث، والمتداول اصطلاحا بيننا اليوم، يشهد بها. لقد برع الإنسان في كثير من التكنولوجيات، وطوّرها، وكيّفها لتتماشى واحتياجاته، ولازال ينكب ليكشف المزيد عن جوانب أسرار تقنيات هاته التكنولوجيات.

لا يخفى على أحد منا أن العلاقة بين اللغة والأمة، تقود إلى استنتاجات تبرز المستوى الحضاري للأمة.

وتثبت الأدلة في مجملها، على أن لا مناص من إعداد أناس يهتمون بترقية اللغة، وصياغة المصطلحات التي يحتاج إليها الناس. هؤلاء الناس الذين منهم: العلمي، والتقني، والمصطلحاتي، والأديب، والمترجم... فالمستنبط من المخترع والمكتشف، لا يمكن له النجاح دون تسمية تقرن به لتعمل على ترويجه وإشاعته، ثم استعماله بين الناس.

وبقدر ما تكون هاته التسمية سليمة، بقدر ما يكون استخدامها أسلم، وفهمها أدق. ومما لاشك فيه أن الترجمة والتعريب والمصطلحات، متلازمة فيما بينها، تقدم كخدمة أساسية لتحقيق عملية الإثراء اللغوي في القطاعات المختلفة النشاط.

نقص المعاجم المزامنة

يتعرض الباحثون العرب في خلق المصطلح لكل ما يجد من مفاهيم، مستعينين بوسائل أهمها: الوضع؛ القياس؛ الاشتقاق؛ المجاز؛ التوليد؛ النحت؛

التعريب والترجمة... وكلها وسائل هامة لإضفاء شرعية الغناء اللغوي، وتعمل على ترك اللغة كمجموعة مصطلحات متفتحة على العلم، وقادرة على الاستيعاب ومواكبة للتطور الحضاري...

إن اللغات الست المستعملة عالميا، والمتداولة بين رجالات السياسة والمعرفة والحكم، في رحاب المنظمات العالمية، تعتبر كل لغة من هاته اللغات أصلا لا ترجمة، أي لا تعترف عند التقاضي بالرجوع إلى لغة معينة من اللغات هاته، لحل أي غموض قد يطرأ.

لذاك، فالدقة في اشتقاق المصطلح، والاتفاق على توحيده، والعمل على شيوعه، أمر حتمي. ورغم تعدد قواميس الترجمة، وعلى مختلف أنواعها، فإنها لا تتعرض لبعض المصطلحات المستعصية بالمعالجة والدراسة لوضع المقابل. وهنا تكون حيرة المستعمل، وبهتانه أمام المصطلح المتعدد والمتنوع.

وإذا كانت القواميس والمعاجم تزخر بمختلف الكلمات، فإن هاته الكلمات الشمولية اللغة، لا علاقة لها بالأشياء المسماة - غالبا - ذاك أن هاته الذخيرة اللغوية وضعت في زمن غير هذا الزمان، وتحت مطلب احتياجي غير مطلب هذا اليوم.

عقبات وضع المصطلح العربي بالجزائر

اشتهرت اللغة العربية بالجزائر غداة الاستقلال على أنها لغة دين سماوي وأدب شعبي، وتطورت بفضل الاحتكاك بالبلدان العربية لتصبح لغة سياسة واقتصاد ورياضة، وفكر معبّر... هذا التوسع اللغوي الحاصل، نتيجة إبداعات مصطلحاتية (TERMINOLOGIQUE) خاصة بكل حقل معرفي، استجابة لميولات ولمتطلبات شرائح اجتماعية.

وفرة مصطلحات هاته الميادين، انحدر الكثير منها من وحي أصل اللغة الفرنسية عن طريق الترجمة، ونستثني هنا عوامل أخرى نتيجة علاقات ثقافية كانت قائمة بكل عناصرها بين اللغتين (الفرنسية - العربية) بمنطقة المغرب العربي ككل، وبالجزائر خاصة، والتي تضمحل تدريجيا.

ونتيجة لهاته العلاقات فرض المصطلح الفرنسي نفسه كحقيقة قائمة ذات مرجعية لابد منها لمعاشرة المستعمل في كثير من التصرفات اللغوية.

ذاك أن المصطلح العربي يتعرض في عالم الاستعمال الجزائري، إلى عدة اهتزازات نتيجة ضغط المصطلح الفرنسي، الموروث عن العهد الاستعماري.

فالمصطلحات الفرنسية المتعلقة بمختلف الميادين الحياتية، حتى أدق أدوات الانتاج، ومعالجة الافكار الانسانية، نجدها يسيرة رائجة، وعلى نطاق أوسع بين فئات المواطنين وحتى أولئك الذين لم يسعفهم الحظ في الوصول بمستواهم التعليمي إلى مراتب مقبولة يكونون محظوظين في التمكن من استعمال هاته اللغة.

والسبب في هذا أن المصطلح الفرنسي لا يخضع، إلى عملية خلق، فالمصطلحات وجدت في سوق استعمالنا نتيجة ضغط استعماري استيطاني وفكري.

فالمخترعات والمكتشفات بمسمياتها رائجة الاستعمال الكتابي والشفاهي، وهذا الرواج وليد الصدفة... صدفة الاستعمار.

أما المصطلحات العربية، فإن قضيتها تبدأ من حيث توقف استنتاجنا للمصطلح الفرنسي. فغزو اللغة الفرنسية بكل ما لها من سحر ومساندة، ضيق من حظوظ الإبداع والاستعمال للمصطلح العربي، ثم جري الناس وراء الاستعمال السهل، طبيعة بشرية. أما الرواد المعول عليهم في هذا المضمار، يقتصرون على ما جاد به الأولون علينا ولا يتحيرون من أجل وضع المصطلحات المعاصرة والمزامنة (CONTEMPORAINE) عن طريق البحث بالقنوات والمنهجيات المستحدثة (جذاذة رقم 2).

لذاك نلمس نقصا مصطلحاتيا للتعبير عن الكثير من حاجاتنا.

مدخل إلى اللغة التقنية

تثبت الدراسات المتعاقبة حديثا، على أن لكل حقل مصطلحاته التعبيرية في أية لغة، وبقدر الغناء المصطلحاتي في التجاوب مع المسميات، بقدر رواج اللغة كتابة ومشافهة.

فالثروة المصطلحاتية المنتجة تتماشى تجاوبا مع المسميات المبدعة لخلق علاقة وطيدة بين اللغة ككائن تعبير، متطور، والمسمى ككائن حقيقي ثابت الوجود، لا يكتب له النجاح والدوام إلا بها.

والتخصص اللغوي يأتي نتيجة الرغبة للتعبير بدقة عن مفهوم من مفاهيم التقنية. ذاك أن المنطق أو فن التفكير (LA LOGIQUE OU L'ART DE PENSER) في علم المصطلحات (LA TERMINOLOGIE) يفرض علينا إيجاد مصطلحات عن طريق قنوات اللغة.

والمؤكد أن لغتنا ساعدها الحظ على صياغة وفرة من المصطلحات للتعبير عن الدقيق من جزيئات الأمور الدينية، فتكونت لنا «لغة دين». وكذا في الحقل الأدبي، فقد تشكلت بفضل غزارة الشعر وعطاءات الفكر والممارسة «لغة أدب».

بقي أننا نعيش بعد هذا حضارة تعتمد على الأدوات التكنولوجية، إنتاجا وعملا وتسمية، بفضل العقل... هذا العقل الذي يعد لحضارة جديدة قوامها الوعي والإدراك.

نتائج تجربة مؤسسة ـ بروسيدار ـ في وضع المصطلح

انطلاقا من الفراغات المسجلة، والعقبات المعترضة والتطلعات المنشودة للمساهمة في توفير المصطلحات التقنية، سعت ـ بروسيدار ـ وهي في عز التعرض لكثير من العناء في العثور على المصطلحات العربية المناسبة للتعبير عن الأداءات والأدوات والمنشآت، والتصاميم الواردة بلغتها الأجنبية، الغزيرة المصطلحات المستحدثة، والمزامنة لآخر طراز، إلى الانكباب على معالجتها ميدانيا بالاطلاع والتنقيب والبحث عن كنه هاته المستحدثات، ثم وضع المقابلات المناسبة لها عربيا. (لوحة رقم 3)

وتعتمد مؤسسة ـ بروسيدار ـ في هذا التحرك على واقعها اللغوي المعيش كنموذج صناعي يحتاج باستمرار على إنتاج مصطلحاتي مواز، متنوع الانتاج التقني للتعبير لغة عن حركة العمل الانتاجي في هذا الحقل المميز. فاللغة التخصصية تاتي بالدقة والفهم الميسر إضافة الى المساهمة في الإثراء اللغوي.

وتطمح مؤسسة - بروسيدار - إلى إنشاء «قطب للغة التقنية» انطلاقا من قاعدتها العمالية المنتجة والمستعملة لهاته المصطلحات التقنية والمروجة لها بقنواتها الاتصالية كالشرائح (المرفقة بالصورة والتسمية)، والمؤلفات... وكلها تعمل على نقل المصطلحات إلى المهتمين وعلى تنقلها بين المستعملين تعريفا بها.

وتتلخص هاته التجربة في أربعة كتيبات (4) تم وضعها حتى الآن، تعتبر كدلائل عمل، تراعي المستوى اللغوي لعاملي القطاع الصناعي، ولخصوصياتهم وتميزهم وهي:

1 - ورقات عن اللغة العربية بالجزائر:

يتعرض إلى تصادمات الأفكار، والتطلبات العقلية، والتكوينات الضرورية للاستجابة للاحتياجات الصناعية، بالتعرض إلى قضية الأمية، والتكوين التقني، والتعريب، وإشكاليات الترجمة. طبع عام 1989. 54 ص. من تقديم شحادة الخوري / خبير سابق بالألكسو.

2 - وضع المصطلحات:

دليل عمل لوضع المصطلحات التقنية، حسب التوصيات والمناهج، مع نماذج من عينات كيفية وضع المصطلحات انطلاقا من المواد. طبع عام 1992. 152ص. من تقديم الخليل النحوي / ألكسو.

3 - معجم المهن:

(فرنسي - عربي) 1100 مهنة تقنية، بالتعاون مع المنظمة الدولية للعمل (B.I.T) وتقديم الألكسو. مراجعة مكتب تنسيق التعريب بالرباط، وبمساهمة الاتحاد العربي للحديد والصلب. محاولة لتوحيد المصطلحات المهنية وطنيا وعربيا.

4 - سياق الصنع بورشات مؤسسة - بروسيدار -

يوظف مصطلحات تقنية منتجة بهاته المؤسسة انطلاقا من منتجاتها وخدماتها ضمن مواضيع تعالج قضايا الصناعة، مع لقطات عن ورشات - بروسيدار - مُحلًّى بالصور. تقديم الأستاذ محمد الميلي، مدير عام الالكسو. مراجعة مكتب تنسيق التعريب بالرباط. وبالتعاون مع الاتحاد العربي للحديد والصلب. - تحت الطبع -

ويعود الفضل في إنتاج هاته الكتيبات إلى التعاون الملاحظ مع الهيئات المتخصصة، والتشجيعات الواردة من أطراف لغوية.

Tente en acier = حـنـيّـة

☐ تقني	جفرة : ☐☐☐☐
☐ صناعي	حرف : ☐
☐ إداري . .	تاريخ : ☐☐☐☐
☐	

تعريف المنتوج :

إنتاج جديد ينجز انطلاقا من منتوج الصفيح القابل للتركيب والتفكيك لتشكيل هيكل يشبه «الخيمة» تصلح للإقامة المتنوعة.

المنتج المبدع :

تختص مؤسسة «بروسيدار» بإنجاز هذا النوع من المباني مع تسويقه. التسمية باللغة الفرنسية تجلت بالصدفة وشاعت. ويبقى من اختصاصات المؤسسة المنتجة البحث عن المصطلح اللائق باللغة العربية.

البحث :

2 ـ المنجد : الخيمة كل بيت ليس من حجارة أو ما يقوم مقامها.

عناصر الاستنتاج :

تتضح مميزات الخيمة العادية من البحث، ويسجل الفراغ الاصطلاحي اللغوي، المتعلق بهذا النوع من المباني (الخيمة الفولاذية) حسب الترجمة الحرفية، والتي تنزل إلى الاستعمال اللغوي الركيك لذلك :

1 ـ من واجب المؤسسة وضع تسمية لائقة بهذا المنتوج البنائي الجديد.

2 ـ إيجاد تسمية فصيحة اللغة وأكثر دقة.

3 ـ اختيار تسمية لائقة تستجيب والمتطلبات الراهنة.

علامة التسويق.

سهولة الترويج والاستعمال.

3 ـ الكمال اللغوي.

النتيجة :

تقترح المؤسسة، وتستعمل مصطلحا جديدا في عالم الاستعمال من باب الاستعارة من المنجد ليكون : الحنيّة جمع حنايا وهي القوس أو ما كان منحنيا كالقوس.

المصطلح المقترح	التعريف	المنتوج
مُنبِت منابت	وعاء معدني للفلاحة المائية (بدون تربة، بدون تغذية)، للحصول على أعشاب خضراء بواسطة نبات حبوب الشعير أو فصائل أخرى مماثلة.	Germoir
الحنيّة / الحنايا	خيمة من الصفيح المعدني، تخصص لعدة استعمالات حيوية كـ : الإقامة، التخييم، الشغل، حسب مقاسات مختلفة، سهلة التركيب والتفكيك.	Tente en acier
مبنى حاضنات الدواجن	مبنى من النمط المغلق يمتاز بتهوية نشطة طولية محصل عليها بأجهزة هواء كبيرة. يخصص لتربية أنواع الدجاج عن طريق الأقفصة المختلفة الطوابق.	Bâtiment avicole
ألواح العزل الحراري	صفيحتان من الصلب المجلفن: إحداهما مسطحة وثانيتهما مضلعة بينهما رغوة «البلوريتان» الصلبة المتحصل عليها بالنفخ. يمتاز هذا المنتوج بطريقته الحديثة في عزل الحرارة. يستعمل في عدة مجالات بنائية كـ :تغطية المصانع والورشات. من فوائده: الصلابة ومقاومة النيران.	Panneau Isotherme
المبنى المقبب	بناء على شكل قبة، يتم انطلاقا من الألواح المقببة يقام على مبادئ الاعتماد الذاتي، بدون هياكل الإنشاء ابتداء من تقويسات محكمة فيما بينها ببراغي.	Bâtiment voûte
المضلّعة	آلة ذات بكرات تشكل صفائح بأضلاع ذات قياس 40 مم عمقا انطلاقا من الصفائح المسطحة المجلفنة.	Frofileuse
الصفيحة المضلعة	يحصل عليها بفضل المضلعة. قابلة للدهن بالألوان المختلفة، ذات وزن وطول، وسمك، وعرض... حسب طلب الزبون... ذات استعمالات مختلفة كتغطية المنازل... ومن فوائدها الخفة.	Tôle nervurée (TN) 40
الألواح المقببة	اللوحة المقببة. مع اللك المسبق لصفيحة الصلب المجلفن. تشكل بورشة من ورشات «بروسيدار» تسمح بإنجاز مباني نصف دائرية.	Panneaux voûtes

الهوامش :

(1) شحادة الخوري، القضية اللغوية في الجزائر وانتصار اللغة العربية. مطبعة الكاتب العربي. ص 14، دمشق، 1991.

(2) تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 130.

(3) الخليل النحوي، في مقدمته لكتابنا «وضع المصطلحات»، ص 8، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1992.

(4) محمد ابراهيم الميلي، مجلة الوطن العربي، عدد 387.

(5) شحادة الخوري، ص 27، نفس المرجع السابق.

(6) انظر: محمد طبي، تجربة وزارة الصناعة الثقيلة الجزائرية في تعريب الوثائق، مجلة اللسان العربي، عدد 35، ص 158، الرباط 1991.

(7) شحادة الخوري، ص 29، نفس المرجع السابق.

(8) شحادة الخوري، ص 66، نفس المرجع السابق.

(9) كتابنا، ورقات عن اللغة العربية بالجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ص 35، الجزائر، 1989.

عن بعض الأسس المنهجية في إعداد المعاجم المتخصصة

الدكتورة / ليلى المسعودي(*)

إن اللغة على حد تعبير أحد اللسانيين المشهورين (Jakobson) أداة قادرة على التعبير عن أي شيء واللغة العربية شأنها شأن اللغات الأخرى لها وسائلها الخاصة لإيصال المعرفة ولا يمكن القول عن لغة ما إنها عاجزة عن التعبير إذ العجز كامن في المتكلمين لأنهم لم يبذلوا المجهودات اللازمة للنهوض بلغتهم. ومما لاشك فيه أن اللغة العربية قد أبانت عن قدراتها في عهود مضت وإنّها الآن تحاول أن تواكب العصر ومتطلبات التطور رغم وضعها الحالي الذي يحتم عليها الاعتماد على نقل المعرفة واقتباسها من الأمم المتقدمة خصوصا في العلوم والتكنولوجيا.

ولسنا في حاجة الى الحديث بإسهاب عن قيمة المعاجم المتخصصة ودورها الهام في نقل المعرفة من خلال ترجمة المصطلح العلمي.

لا بأس أن نتساءل عن الأسس المنهجية التي يستند إليها في إعداد المعاجم المتخصصة وقبل الشروع في الموضوع، نود أن نبدي ملاحظة مصطلحية في شأن استعمال كلمتي « معجم » و« قاموس ». فات لنا أن أشرنا إلى ضرورة التمييز بينهما(1) لأنهما كثيرا ما يستخدمان بحمولة دلالية واحدة.

ونشير إلى أنّنا نميز بين الأصناف المعجمية على هذا النحو:

ـ المعجم (Lexicon/lexique) ويقتصر على إدراج مجموعة محصورة من المصطلحات تنتمي إلى حقل معرفي معين ولا تصحبها التعاريف لا اللغوية ولا الموسوعية ويتراوح عددها عامة بين ثلاثة آلاف وعشرة آلاف.

ـ القاموس (Dictionary/dictionnaire) وسمته الأولى أنه يقدم المداخل المعجمية مصحوبة بمعلومات تشمل التعاريف والأوصاف اللغوية التي تشير الى كيفية النطق والاشتقاق والمرادفات والأضداد.. إلخ. ويمكن للقاموس أن يكتسي طابعا عامّا أو متخصصًا متضمنا لمعلومات موسوعية أو غير متضمّن لها.

(*) كلية الاداب والعلوم الانسانية بجامعة ابن طفيل - القنيطرة

ـ الملفظة (vocabulary/vacabulaire) وتمتاز بإعطاء إحصاء دقيق لتواتر وتردد الألفاظ في متن أو مدونة ما (corpus).

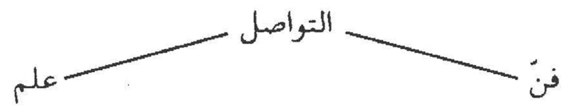
ـ الملسنة (glossary/glossaire) وينحصر دورها في ترجمة الألفاظ الغريبة أو النادرة. وسنحاول في هذه المقالة تقديم بعض المبادىء المنهجية الأساسية مع التمييز بين العامّة منها والخاصّة.

أ ـ المبادىء المنهجية العامّة

نقصد بالمبادىء العامّة تلك التي يتعين على المعجمي التقيّد بها أثناء إعداده للمعجم وإذا تخلّى عنها أصبح المعجم ناقصا واعترته ثغرات لا تغتفر.

تتلخص تلك المبادىء في ما يأتي:

الخطــاطــة رقم 1



أ. أ ـ مبدأ الإتّساق الدّاخلي
(cohésion interne/internal cohesion)

وهو الإنضمام المتكامل لمختلف أجزاء المعجم. وينطبق هذا المبدأ على مستويي الشكل والمضمون. وسنتطرق إليهما، كلا على حدة.

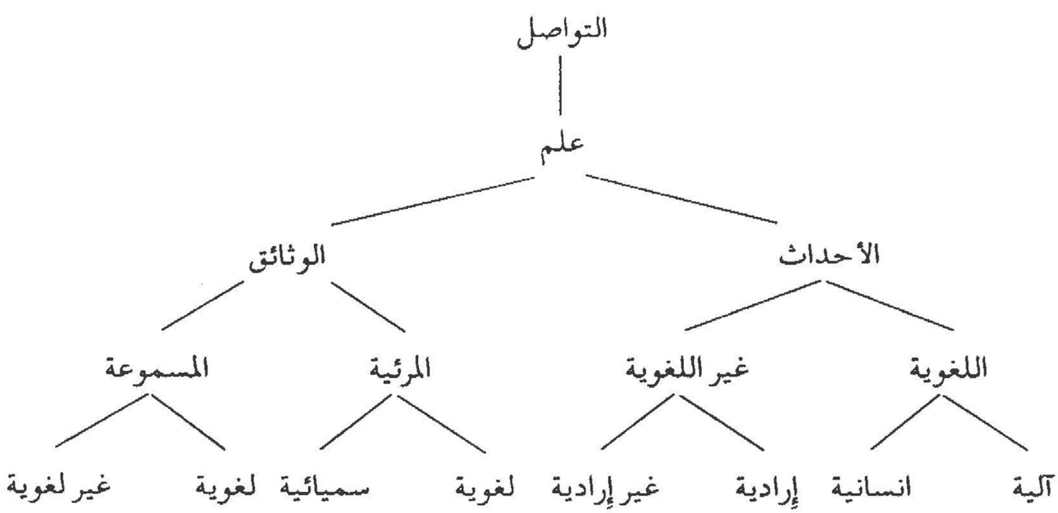
أ. أ. أ ـ مستوى المضمون

أ ـ ميادين المعجم (أو شجرة الميدان)

في البداية، يجب حصر مجالات المعجم الرئيسية والفرعية. وتكتسي هذه المرحلة أهميّة كبرى وتقاس جودة المعجم بمدى تغطيته الشاملة والدقيقة للميدان المعرفي أو العلمي المدروس.

يمكن التمثيل لمجالات المعجم الكبرى أثناء مرحلة التصميم الأولي باعتماد طريقة التشجير المتداولة عند اللسانيين ويطلق عليه اسم « شجرة الميدان » (arbre de domaine) ونسوق مثالا صغناه لمعجم في ميدان التواصل (communication) وهو مازال قيد الدرس. (انظر الخطاطة رقم 1 و2 حيث نميّز بين التواصل كعلم وكفنّ).

الخطــاطة رقم 2



إن قراءة متأنية للخطاطة رقم 2 تؤدي إلى إبداء الملاحظات الآتية:

أ ـ ضبط الميدان الرئيس

إنّ ميدان التواصل يرتبط بمجالات فرعية متعددة ويجب حصر ما سيغطيه المعجم من علوم لها علائق وثيقة بالمجال الرئيس الذي هو التواصل كعلم وليس كفن.

ب ـ العلوم المرتبطة بالميدان الرئيس

1 ـ علوم لغات الآلة (cybernétique)

2 ـ اللسانيات (linguistique)

3 ـ السيميائيات (sémiologie)

4 ـ علوم السلوك الجسدي (Kinésique) (prox-émique) (mimique)

5 ـ وسائل الاعلام المرئية والمكتوبة (sciences de l'in-formation)

6ـ علوم الإشهار (publicité)

تمثّل هذه العلوم الميادين الفروع التي سيتطرق إليها معجم متخصص في التواصل. ويتعين على المعجمي أن يلتقط منها المصطلحات ويشاركه في عملية جرد المصطلحات العالم المتخصص.

ج ـ تحديد الحقول المعرفية داخل الميادين الفروع

على المعجمي ان يشتغل مع متخصصين في العلوم المختلفة المذكورة وأن يحدد معهم الحقول التي تهم التواصل.

مثلا كأن يختار حقل الصويتات بصفته فرعا من اللسانيات نظرا إلى ارتباطه بالتلفظ والدّورة التواصلية.

د ـ تحديد الشبكة المفهومية

يجب انتقاء المصطلحات بمراعاة انضمامها وتقاطعها داخل الشبكة المفهومية التي تنتمي إليها.

مثلا، إذا تقرّر إدخال الصوتيات النطقية في معجم التواصل ستدرج كل المخارج بصفتها مكوّنات لجهاز التصويت وإذا غاب أحدها من المعجم، فقد هذا الأخير قيمته كمرجع وصار أداة فارغة لا يعتدّ بها.

ويمكن ذكر أمثلة أخرى لتدقيق مفهوم الإتّساق الدّاخلي وهو ما يعرف بدائرية المعنى لدى المتخصّصين؛ مثلا، يجب إدراج الأزواج المصطلحية والعمل على إدراج العنصرين معا وليس الواحد دون الآخر. ففي معجم اللسانيات، لا يمكن إدخال (générique) وإغفال (spécifique) أو إيراد (étique) وترك (émique). كما لا يصحّ مثلا أن يتضمّن معجم في القانون الخاص بالملكية، مصطلح (fructus) وأن يهمل (abusus) و(usus).

أ.أ.ب ـ مستوى الشكل

تخضع المعطيات المعجمية الى ترتيب وتبويب دقيقين دون إغفال عنصر من العناصر وتنظم المداخل وفقا لإحدى الطريقتين:

1 ـ الترتيب الألفبائي

يجب احترام كيفية تتالي حروف الهجاء في الألفباء ـ وليس في الأبجدية ـ كما يجب مراعاة ترتيب معين للحركات عندما تكون المادة مقدّمة بالتشكيل التام.

2 ـ الترتيب الجذري

للترتيب الجذري أهمية كبرى لأنه يبين بشكل

صريح مدى تجانس المعطيات اللغوية داخل الجذر الواحد وتحت المادة الواحدة وذلك بالنظر الى طرائق الإشتقاق اللفظي والتركيبات المستعملة.

ويصحب المعجم المرتب حسب الجذور بكشاف يقدم جميع المداخل وفقا للترتيب الألفبائي.

ج ـ يمكن للمادة الخام أن تكون مرتبة حسب تبويب موسوعي أي بحسب الميادين الفرعية وداخل كل باب ترد المواد مرتبة ألفبائيا.

أ.ب ـ مبدأ التماسك المفهومي (cohérence conceptuelle)

يستند مبدأ التماسك المفهومي الى مقياسين أساسيين هما:

أ.ب.أ ـ العلاقة الأحادية الأفقية

هي العلاقة الكامنة بين الدليل اللغوي والمفهوم. والملاحظ أن اللغة غير المتخصصة تسمح بتعدد الدلالات المفهومية للدليل الواحد كما تجوز تعدد الدلائل للمفهوم الواحد. أما اللغة المتخصصة فإنها تحتم وجود علاقة أحادية ذات مدلول مصطلحي واحد.

أ.ب.ب ـ العلاقة التراتبية والعمودية

معلوم أن الدليل اللغوي يصبح مقيّداً في الإستعمال المصطلحي حيث إنّه يرتبط بالدلالة المفهومية، المتضمنة لمجموعة من السمات.

والسمات نوعان: تعميمية وتخصيصية. ويشترك المصطلح في السمة التعميمة مع المصطلحات التي تنتمي الى الحقل الواحد ويتميّز عنها بسمات تخصيصية[2]

يمكن التمثيل لهذا المبدأ بالمرسومة التالية:

الحقل المعرفي	المفاهيم	الدلائل اللغوية
مصطلح [أ]	مفهوم [س]	دليل لغوي [أ]
مصطلح [ب]	مفهوم [س']	دليل لغوي [ب]
مصطلح [ج]	مفهوم [س'']	دليل لغوي [ج]
... إلخ	... إلخ	... إلخ

ب ـ المبادىء الخاصة

تؤخذ بعين الاعتبار مجموعة من الأبعاد عند إعداد المعجم منها:

1 ـ تحديد الجمهور الذي يوجّه له المعجم: هل المعجم موجّه الى المبتدئين في التخصص؟ إلى الطلاب في المرحلة الثانوية؟ أو في المرحلة الجامعية؟

2 ـ تعيين الأهداف المقصودة: هل الهدف هو تلقين التخصص باللغة العربية؟ هل هو تعريب مضامين ومعلومات ملقنة باللغة الأجنبية؟

وإذا كان الهدف هو استخدام اللغة العربية وسيلة للتلقين، فيتعين على المعجمي أن يقدم المداخل المصطلحية مصحوبة بالتعاريف العلمية وأن لا يكتفي بالصيغة المتبعة في المعاجم التي تستوجب التمكن المتساوي من اللغات الواردة فيها. والكل يعلم أن هذه الخاصية قلما تتوفر في مستعملي المعاجم. ولنا أمثلة من قواميس متخصصة، ثلاثية أو ثنائية اللغة، تقدم للقارىء شروحا ومعلومات موسوعية ونشير إلى العمل الهام الذي قام به الأمير مصطفى الشهابي في الزراعة[3] كما نحيل على القاموس الزراعي(4) الذي يقدم التعاريف في اللغتين معا، العربية والفرنسية.

* خلاصة:

ما أحوج المتعلم الى أدوات معرفية دقيقة

واقتراحنا في نهاية هذا العرض هو أن يتبنى مكتب تنسيق التعريب خطة جديدة وأن يصدر في مرحلة لاحقة قواميس متخصصة تكون متضمنة للتعاريف لأن التجربة أبانت أن المصطلحات ليست ذوات مستقلة استقلالا كاملا عن اللغات التي تستعمل فيها خصوصا في مجال العلوم الإنسانية.

الهوامش :

1 - ليلى المسعودي، ملاحظات حول معجم اللسانيات، اللسان العربي، 1991 العدد 35

2 - لقد أشرنا الى العلاقة بين الدليل اللغوي والمصطلح في :

- Des technolectes. Application à l'arbre standard. Doctorat d'état, Paris-Sorbonne, 1990.

- Linguistique et traduction. Le cas des technolectes. dans: Traduction et interprétation des textes, Publications de la Facultés des Lettres et des Sciences Humains, Rabat, 1995.

3 - انظر :

- Dictionnaire Français-Arabe des termes agricoles, Le Caire, Ligue des Etats A rabes, 1957; 2e édition

- Dictionnaire d'agriculture Français-Arabe, Paris, CILF/ACCT, 1985.

III - أنشطة مصطلحية

* التقرير الختامي لندوة دراسة مشروعات معاجم مؤتمر التعريب التاسع

(تونس - بيت الحكمة 4-8 ديسمبر / كانون الأول 1995)

* توصيات مؤتمر مجمع اللغة العربية (بالقاهرة) في دورته الثانية والستين

(18 مارس - 1 أبريل 1996)

التقرير الختامي لندوة دراسة مشروعات معاجم مؤتمر التعريب التاسع

(تونس - بيت الحكمة 4 - 8 ديسمبر / كانون الاول 1995)

باستضافة كريمة من المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة» عقد مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (في الفترة 4 - 8 ديسمبر/ كانون الاول) 1995 ندوة دراسة مشروعات معاجم مؤتمر التعريب التاسع في رحاب المجمع الزاهر.

وقد عقدت الجلسة الافتتاحية بحضور السيد ر بس المجمع التونسي (بيت الحكمة) الدكتور عبد الوهاب بوحديبة والسيد المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معالي الاستاذ محمد الميلي، والسادة المشاركين المدعوين والمهتمين بقضايا التعريب والمصطلح.

وافتتح الجلسة الاستاذ الدكتور عبد الوهاب بوحديبة رئيس المجمع التونسي بكلمة موجزة أشار فيها الى خصوصية المصطلح العلمي وأثره في اثراء اللغة العربية واستنبات العلم في الوطن العربي، ثم ألقى السيد مدير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الاستاذ محمد الميلي كلمة ركز فيها على عناية المنظمة باللغة العربية وعلى الأهمية الخاصة المعطاة لها في برامجها الحالية والقادمة.

وتناول الكلمة بعد ذلك الاستاذ أسلمو ولد سيدي احمد مدير المكتب بالنيابة استعرض فيها جهود مكتب تنسيق التعريب وأسلوب عمله في تنسيق المصطلحات واعداد المعجمات عامة، وتلك المعروضة على الندوة للدراسة، قبل عرضها على مؤتمر التعريب التاسع.

وعقب ذلك، اختارت الندوة الاستاذ الدكتور إحسان النص، نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق رئيسا لها، والاستاذ جواد حسني سماعنه (مكتب تنسيق التعريب) مقررا عاما، ثم تبع ذلك تشكيل أربع لجان عمل من السادة المشاركين هي:

- لجنة دراسة مشروع معجم الارصاد الجوية.
- لجنة دراسة مشروع معجم الهندسة الميكانيكية.
- لجنة دراسة مشروع معجم علوم البحار.
- لجنة دراسة مشروع معجم المعلوماتية.

(أسماء المشاركين في تقارير اللجان المرفق).

منهجية عمل اللجان:

وعلى مدار سبع جلسات عمل رسمية في رحاب المجمع التونسي زاولت اللجان أعمالها في دراسة المشروعات المعجمية وفقا للمنهجية التالية:

أولا: الاتفاق على مراجعة وتدقيق مصطلحات المعجمات مصطلحا مصطلحا بلغاته الثلاث: الانجليزية والفرنسية والعربية.

ثانيا: اعتماد تقارير الملاحظات الواردة بشأن المعجمات من الاقطار العربية أساسا موازيا للمراجعة التفصيلية وهي:

- ملاحظات الهيئة العليا للتعريب بالخرطوم.
- ملاحظات مجمع اللغة العربية الاردني.
- ملاحظات مجمع اللغة العربية الفلسطيني (بيت المقدس).
- ملاحظات الجامعة الاردنية.
- ملاحظات جامعة الامارات العربية المتحدة.
- ملاحظات المركز القومي للاعلامية بتونس.
- ملاحظات المعهد القومي للرصد الجوي بتونس.

ملاحظات اللجان:

اتفقت تقارير اللجان الاربعة على الاشادة بالجهد الطيب المشكور الذي بذله مكتب تنسيق التعريب وخبراؤه في اعداد المشروعات المعجمية الاربعة، مع ملاحظة ما يلي:

أولا: افتقار المعاجم في بعض الاحيان الى التطابق الدلالي في لغات المصطلح الثلاث الانجليزية والفرنسية والعربية، ولذلك عملت اللجان قدر وسعها على تحقيق الوحدة الدلالية بين لغات المصطلح، مع ما يتطلب ذلك من تغيير وتبديل فيه.

ثانيا: تعدد المقابلات العربية للمصطلح الاجنبي الواحد، وهو أمر مكروه في التطبيق الفعلي، ولذلك سعت اللجان الى اختيار المقابل الأنسب من بين المقابلات العربية المترادفة، حيثما أمكن ذلك.

ثالثا: وجود ألفاظ عامة اقتضت خصوصية المعاجم حذفها.

رابعا: افتقار المشروعات الاربعة الى مصطلحات رأت اللجان ضرورة اضافتها الى المعجمات ووضعت في أماكنها المعجمية.

خامسا: مراعاة لتوحيد استعمال المصطلح العربي في مختلف سياقاته، لجأت اللجان الى استبدال مصطلح عربي بآخر او تغييره توخيا للتوحيد.

توصيات الندوة:

اولا: توصي الندوة مكتب تنسيق التعريب والسادة معدي المشروعات المعجمية بضرورة الالتزام بملاحظات اللجان واقتراحاتها في النسخ المعتمدة، وبالاهتداء بتقارير اللجان المدونة والتقرير الختامي وذلك قبل رقن المشروعات المعجمية الاربعة وعرضها على مؤتمر التعريب التاسع.

ثانيا: توصي الندوة بارسال المشروعات المعجمية الى مجامع اللغة العربية، بعد رقنها، لاعطائها المزيد من الضبط والتدقيق تمهيدا لعرضها على مؤتمر التعريب التاسع.

ثالثا: دعوة مكتب تنسيق التعريب الى العناية بشرح المصطلحات العربية وتقديم تعريف موجز دقيق للغامض منها.

رابعا: توصي الندوة معدي المشروعات المعجمية بمراعاة التطابق الدلالي بين المصطلحين الانجليزي والفرنسي وذلك حرصا على دقة المقابل العربي.

خامسا: دعوة مكتب تنسيق التعريب الى التنسيق الأشمل مع المجامع اللغوية والجامعات العربية للخروج بنتائج أفضل في مسألة توحيد المصطلحات.

سادسا: يشيد المشاركون في الندوة بالجهد الطيب الملموس في اعداد المشروعات المعجمية، ويوصون بدعم مكتب تنسيق التعريب فنيا وتقنيا لتسهيل مهمته.

سابعا: يقدر أعضاء الندوة تجاوب الأقطار العربية المحمود في دراستها مشروعات المكتب المعجمية لذلك تشيد الندوة بالتقارير التي أرسلتها جهات الاختصاص الآنف ذكرها في الوطن العربي واهتدي بها في دراسة المشروعات المعجمية الاربعة، كما تشيد بالجهات العربية الاخرى التي وافت مكتب تنسيق التعريب بملاحظاتها.

ثامنا: يتقدم المشاركون في الندوة بخالص شكرهم وامتنانهم الى المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون «بيت الحكمة» بكامل أطره لاحتضانه أعمال الندوة وللحفاوة اللائقة التي استقبل بها الأعضاء المشاركون.

تاسعا: تشكر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ممثلة بمكتب تنسيق التعريب) النخبة العلمية التي شاركت في أعمال الندوة، كما تشكر الراعين لها (بيت الحكمة) لما بذلوه من جهد جهيد وعمل متواصل مشكور مكن من بلوغ الاهداف.

رئيس الندوة
الاستاذ الدكتور احسان النص
(مجمع اللغة العربية بدمشق)

مقرر الندوة
الاستاذ جواد حسني سماعنه
(مكتب تنسيق التعريب)

توصيات مؤتمر مجمع اللغة العربية
للدورة الثانية والستين

عقد مجمع اللغة العربية (بالقاهرة) مؤتمره للدورة الثانية والستين خلال الفترة 28 من شوال سنة 1416هـ الموافق 18 من مارس (آذار) سنة 1996 الى 13 من ذي القعدة سنة 1416 هـ الموافق الاول من أبريل (نيسان) سنة 1996، وتكلل بالتوصيات التالية :

1 ـ يوصي مؤتمر المجمع وزراء التعليم في الأقطار العربية بتعريب التعليم الجامعي واتخاذ الخطة الكفيلة لتحقيق ذلك .

2 ـ يوصي المؤتمر بأن تعنى الدولة بانشاء هيئة عامة للترجمة لنقل العلوم والتقنيات الحديثة الى اللغة العربية .

3 ـ يوصي المؤتمر بضرورة الاهتمام الفائق باللغة العربية من حيث مادتها ومناهجها وأساليب تقديمها وأوقاتها المخصصة لها مع الاهتمام باعداد المعلم القائم عليها ورعايته .

4 ـ يوصي المؤتمر الحكومات العربية بضرورة الاسراع باستصدار تشريع يحظر كتابة اللافتات الاجنبية بحروف عربية .

5 ـ يوصي المؤتمر بتدريس اللغة العربية في جميع الكليات الجامعية والمعاهد العليا وأن تكون مادة اساسية .

6 ـ يوصي المؤتمر وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية بالتزام اللغة العربية الصحيحة .

7 ـ يوصي المؤتمر وزارات الإعلام في الأقطار العربية باعداد العاملين بها اعدادا لغويا صحيحا .

8 ـ يوصي المؤتمر باستعمال الاعلام الجغرافية العربية الاصيلة، وضبطها والنطق بها نطقا صحيحا في الدوائر التعليمية والاعلامية، مع العناية بتحقيق ذلك على الخرائط المعدة له .

9 ـ يوصي المؤتمر رجال الدولة وجميع المسؤولين في البلدان العربية أن يلتزموا اللغة العربية الصحيحة في جميع خطبهم وبياناتهم .

10 ـ تبلغ هذه التوصيات الى جميع وزراء التعليم والاعلام والثقافة في مصر والاقطار العربية للأخذ بها وتنفيذها .

IV ـ مشروعات معجمية

*** معجم مصطلحات علوم البيئة (القسم السادس)**

الدكتور / فاضل حسن أحمد

3059 - International society for environmental epidemiology (ISEE)	=	الجمعية الدولية لعلم الأوبئة المتوطنة
3060 - International society for testing materials (ISTM)	=	الجمعية الدولية لاختبار المواد
3061 - International union of radio science (URSI)	=	الاتحاد الدولي للعلوم الإشعاعية
3062 - Interprofessional council on environmental design (ICED)	=	المجلس المهني حول التصميم البيئي
3063 - Intrinsic conduction	=	؟
3064 - Intrusion	=	اقحام، اقتحام
3065 - Inventory	=	رَصيد، مخزون
3066 - Inventory equation	=	معادلة الرصيد
3067 - Invert	=	قراره
3068 - Inverted siphon	=	سحارة مقلوبة
3069 - Iodine	=	اليود
3070 - Iodine disinfection	=	التعقيم باليود
3071 - Iodine number	=	رقم اليود
3072 - Ion	=	الأيون
3073 - Ion activity product	=	ناتج النشاط الأيوني
3074 - Ion exchange	=	التبادل الأيوني
3075 - Ion exchanger	=	مبدِّل أيوني
3076 - Ion exchange softening	=	التيسير بالتبادل الأيوني
3077 - Ionic strength	=	الشِّدة الأيونية
3078 - Ionization constant	=	ثابت التأين
3079 - Ionized solute	=	مذاب متأين
3080 - Ionizing radiation	=	اشعاع متأيِّن
3081 - Ionosphere	=	الأثير (الطبقة الجوية العليا)
3082 - Ion product	=	ناتج التأين
3083 - Iron	=	حديد
3084 - Iron content	=	محتوى الحديد
3085 - Iron fixing bacteria	=	بكتيريا تثبيت الحديد
3086 - Irradiation	=	إشعاع، تعرض للإشعاع
3087 - Irreversible process	=	عملية غير عكسية
3088 - Irrigable	=	مُستروي
3089 - Irrigation	=	الرِّي
3090 - Irrigation system	=	نظام الري، شبكة الري

3091 - Irrigation water standards = معايير مياه الري

3092 - Irritability = تهيج عصبي

3093 - Isobar = كفاف الضغط

3094 - Iso concentration = كفاف التركيز

3095 - Isohyet = كفاف المطر

3096 - Isohyetal map = خريطة أكفة المطر

3097 - Isolated person = شخص منعزل

3098 - Isopleth = خط التساوي

3099 - Isopod = متساوي الأقدام

3100 - Isosteric = كفاف الكثافة

3101 - Isotachs = كفاف سرعة الرياح

3102 - Isotherm = خط تساوي درجة الحرارة

3103 - Isotonic = كفاف الضغط الاسموزي

3104 - Isotopes = النظائر

3105 - Isotopic weight = الوزن النظائري

3106 - Isotropic = موحّد الخصائص

3107 - Isovel = كفاف السرعة

- J -

3108 - Jacking = رفع

3109 - Jackson candle turbidimeter = مقايس الكدرة بشمعة جاكسون

3110 - Jackson turbidity unit (J.T.U.) = وحدة كدرة جاكسون

3111 - Jangling = ضوضاء

3112 - Jar test = فحص الجرة

3113 - Jet = بَثق

3114 - Jet propeller = رفّاس نفّاث

3115 - Jet pump = مضخة بَثقيّة

3116 - Jetting = بَثْق

3117 - Jetting process = حفر البَثْق

3118 - Jetty = مَرْطَم

3119 - Joint = وُصْلة، مَفْصل

3120 - Jointing = توصيل

معجم مصطلحات علوم البيئة

الدكتور / فاضل حسن أحمد(*)

(القسم السادس)

3007 - Inspection	=	فحص، تفتيش
3008 - Insight	=	استبصار
3009 - Instability constants	=	ثوابت عدم الاستقرارية
3010 - Institution	=	معهد، مؤسسة
3011 - Instrument	=	أداة
3012 - Instrumentation	=	تقنية الأجهزة
3013 - Insulated stream	=	مجرى جاثم
3014 - Insulating material	=	مادة عازلة
3015 - Insurance	=	تأمين
3016 - Intake	=	مَدْخَل
3017 - Intake air	=	هواء مُستنشق
3018 - Intake basin	=	حوض المدخل
3019 - Intake structure	=	مُنشأة المدخل
3020 - Integral equation	=	معادلة تكاملية
3021 - Integral mode	=	أسلوب تكاملي
3022 - Integration	=	تكامُل، مكاملة
3023 - Integrity	=	سلامة، صحة
3024 - Intensity	=	شدّة
3025 - Intensity - duration curves	=	منحنيات الشدة والاستدامة
3026 - Intercepting sewer	=	مجرى اعتراضي

(*) جامعة عمر المختار ـ الجماهيرية الليبية

3027 - Interception	=	اعتراض
3028 - Interceptor sewers	=	مجاري معترضة
3029 - Intercrystalline corrosion	=	تآكل بلوري
3030 - Interfacial contact	=	تلامس بيني
3031 - Interfacial transfer	=	انتقال بيني
3032 - Interflow	=	جريان بيني
3033 - International Academy of Astronautics (IAA)	=	أكاديمية الفلك الدولية
3034 - International Agency for Research on Cancer (IARC)	=	الوكالة الدولية لبحوث السرطان
3035 - International Air Safety Association (IASA)	=	الجمعية الدولية لسلامة الهواء
3036 - International association for ecology (INTECOL)	=	الجمعية الدولية للبيئة
3037 - International association for pollution control (IAPC)	=	الجمعية الدولية للسيطرة على التلوث
3038 - International association of botanic gardiens (IABG)	=	الاتحاد الدولي للحدائق النباتية
3039 - International association of amusement parks and attractions (IAAPA)	=	الاتحاد الدولي لحدائق وأماكن اللهو
3040 - International association of scientific hydrology (IASH)	=	الجمعية الدولية للهيدرولوجيا العلمية
3041 - International association of water pollution research (IAWRP)	=	الجمعية الدولية لبحوث تلوث المياه
3042 - International astronautical union (IAU)	=	الاتحاد الفلكي الدولي
3043 - International atomic energy agency (IAEA)	=	وكالة الطاقة الذرية الدولية
3044 - International bank for reconstruction and development (IBRD)	=	البنك الدولي لإعادة البناء والتنمية
3045 - International biological program (IBP)	=	البرنامج البايولوجي الدولي
3046 - International commission for radiation protection (ICRP)	=	اللجنة الدولية للحماية من الاشعاع
3047 - International commission on natural parks (ICNP)	=	اللجنة الدولية للمنتزهات الدولية
3048 - International commission on illumination (ICI)	=	لجنة الاضاءة الدولية
3049 - International council for the exploration of the sea (ICES)	=	المجلس الدولي لاستكشاف البحر
3050 - International council for bird preservation (ICBP)	=	المجلس الدولي للمحافظة على الطيور
3051 - International decade of ocean exploration (IDOE)	=	العقْد الدولي لاستشكاف المحيطات
3052 - International development association (IDA)	=	جمعية التنمية الدولية
3053 - International federation of landscape architects (IFLA)	=	الاتحاد الدولي لمهندسي المناظر الطبيعية
3054 - International hydrological decade (IHD)	=	العقد الهيدرولوجي الدولي
3055 - International hydrologic programme (IHP)	=	البرنامج الهيدرولوجي الدولي
3056 - International institute for hydraulic environemental engineering (IHE)	=	المعهد الدولي لهندسة الهيدروليك والبيئة
3057 - International organization for standardization (ISO)	=	المنظمة الدولية لتوحيد المقاييس
3058 - International reference center for waste management (IRCWM)	=	المرْجِع الدولي لإدارة الفضلات

3121 - Joule = جُول

3122 - Junction = مَقْرن، مَغْرِق

3123 - Jungle = دَغَل

3124 - Junk = خُرْدَة، نُفاية

3125 - Junk automobile = حَطام السيارة

3126 - Junk pile = مستودع النفايات، القمامة

3127 - Junk box = صندوق النفايات

- K -

3128 - Kalology = علم الجمال

3129 - Kater yield = زوب الماء

3130 - Kelp = عشب البحر

3131 - Kerosine = كيروسين

3132 - Kerosine separator = فاصل الكيروسين

3133 - Keton = كيتون

3134 - Kettle = غلاية

3135 - Key = رابط، ساند

3136 - Kick = رَفْسَة

3137 - Kidney = كليَة

3138 - Killer = قاتل

3139 - Killer pollutants = ملوثات قاتلة

3140 - Killing efficiency = فعالية القتل

3141 - Kiln = تنور

3142 - Kiln drier = مجفف تنوري

3143 - Kin = أقارب

3144 - Kindergartener = مُروض الأطفال

3145 - Kinematics = الكينماتيك، علم الحركة المجردة

3146 - Kinesiotherapy = المعالجة بالحركة، الاستحراك

3147 - Kinematic viscosity = اللزوجة الكينماتية

3148 - Kinetic coefficient = معامل كيناتيكي

3149 - Kinetic energy = الطاقة الحركية

3150 - Kinetics disinfection = تعقيم كيناتيكي

3151 - Kinetics reaction = تفاعل كيناتيكي

3152 - Kinetics treatment = المعالجة بالحركة

3153 - Kingfisher = طير آكل السمك

3154 - Kitchen = مطبخ

3155 - Kitchen grinder = مجرشة فضلات المطبخ

3156 - Kitchen midden = فضلات المطبخ

3157 - Kjeldahl nitrogen = نتروجين الكلدال

3158 - Knot = عُقدة بحرية

3159 - Krilium = كريليوم

3160 - Krypton = غاز الكربتون

3161 - Kutter formula = صيغة كوتر

- L -

3162 - Labile = متغير

3163 - Laboratory = مختبر

3164 - Laboratory animals = حيوانات مختبرية

3165 - Laboratory apparatus = جهاز مختبري

3166 - Labourer = عامِل

3167 - Labour laws = قوانين العمل

3168 - Lab test = فحص مختبري

3169 - Lacking in woods = قليل الاشجار

3170 - Lactiv acid = حامض اللبنيك

3171 - Lacustrine = متعلق بالبحيرات

3172 - Lacustrine water = الماء الراكِد

3173 - Ladder = مِرقاة

3174 - Lag = فترة

3175 - Lagoon = مستنقع

3176 - Lagooning = استنقاع

3177 - Lag time = زمن التأخر

3178 - Lake = بُحيرة

3179 - Lake bloom = أزهار البحيرات

3180 - Lake entrophication = تغذية البحيرات

3181 - Lakelet	=	بحيرة صغيرة
3182 - Lake overturn	=	انقلاب البحيرة
3183 - Lamella clarifier	=	المروق الرقائقي
3184 - Laminar	=	طباقي
3185 - Land	=	أرض
3186 - Land disposal	=	الطرح الأرضي
3187 - Land drainage	=	الصرف الأرضي، البزل الأرضي
3188 - Land farming	=	زراعة الأرض
3189 - Landfill	=	دفن أرضي
3190 - Land filtration	=	ترشيح أرضي
3191 - Landscape	=	الصُقْع، منظر طبيعي
3192 - Landslide	=	انهيال، انهيار أرضي
3193 - Land speculation	=	مُضاربة عقارية
3194 - Landscaped areas	=	الأراضي ذات المناظر الطبيعية
3195 - Landscape development	=	تطوير الأراضي الطبيعية
3196 - Landscape garden	=	حديقة طبيعية
3197 - Landscape maintenance	=	صيانة الأراضي الطبيعية
3198 - Landscape management	=	إدارة الأراضي الطبيعية
3199 - Lanscape planning	=	تخطيط المناظر الطبيعية
3200 - Landscape preservation	=	حماية المناظر الطبيعية
3201 - Landscape stability	=	ثابت الصقع، ثبات المنظر الطبيعي
3202 - Landscape survey	=	مسح الصقع، مسح الأراضي الطبيعية
3203 - Land reclamation	=	استصلاح الأراضي
3204 - Land treatment	=	معالجة أرضية
3205 - Land use	=	استعمال الأرض
3206 - Land use planning	=	تخطيط الأراضي
3207 - Land value	=	قيمة الأراضي
3208 - Lane	=	زقاق
3209 - Lapse rate	=	معدل التفاوت
3210 - Larva	=	يرقة
3211 - Latent	=	كامن
3212 - Latent heat	=	حرارة كامنة

3213 - Lateral	=	قناة فرعية
3214 - Lateral sewer	=	مجرى جانبي
3215 - Laterite	=	اللاتريت (صخر أحمر مسامي)
3216 - Latrine	=	مِرْحاض
3217 - Laundry	=	مَغْسَل، مَصْبَغَة
3218 - Lava	=	اللافا (حمم بركانية)
3219 - Lavatory	=	مُغْتَسَل
3220 - Lavatory basin	=	مغسلة
3221 - Law	=	قانون
3222 - Lawn	=	مَرْج، أرض مكسوة بالعشب
3223 - Laxative properties	=	الخواص المليّنة
3224 - Layer	=	طبقة
3225 - Layout	=	تخطيط
3226 - Leaching	=	نضّ، غسل
3227 - Leaching basin	=	حوض النضّ
3228 - Lead	=	رصاص
3229 - Lead - acid battery	=	مِرْكم الرصاص، بطارية الرصاص
3230 - Lead coated metal	=	معدن مبطن بالرصاص
3231 - Lead compounds	=	مركبات الرصاص
3232 - Lead -free fuels	=	الوقود الخالي من الرصاص
3233 - Lead - free gasoline	=	كازولين خالٍ من الرصاص
3234 - Leadite	=	ليدايت
3235 - Lead particles	=	جزيئات الرصاص
3236 - Lead poisonning	=	التسمُّم الرصاصي
3237 - Leak	=	تسرُّب
3238 - Leakage	=	تسرُّب
3239 - Leak location	=	موقع التسرب
3240 - Leak survey	=	مسح التسرب
3241 - Leaky	=	سَرُوب
3242 - Leaved	=	مورق، ذو أوراق
3243 - Leeward	=	مُدابِر
3244 - Legal	=	قانوني

3245 - Legend	=	دليل المصطلحات
3246 - Legislation	=	تشريع
3247 - Leisure centres	=	مراكز الراحة
3248 - Length	=	طول
3249 - Lethal dose (L.D.)	=	الجُرعة القاتلة
3250 - Lethal limit	=	الحد القاتل
3251 - Lethal temperature	=	درجة الحرارة القاتلة
3252 - Lethargus	=	مرض النوم
3253 - Level	=	منسوب، مُستَوٍ
3254 - Leveling	=	تسوية
3255 - Level of health	=	المستوى الصحي
3256 - Level of living	=	مستوى المعيشة
3257 - Lice	=	قمل
3258 - Life cycle	=	دورة حياة
3259 - Lift	=	ارتفاع، رَفْع
3260 - Lift pump	=	مضخة رافعة
3261 - Lifh station	=	محطة ضخ
3262 - Light	=	ضوء، خفيف
3263 - Light absorption	=	امتصاص الضوء
3264 - Ligth air	=	ريح خفيفة
3265 - Light beam	=	شعاع ضوء
3266 - Light breeze	=	نسيم خفيف
3267 - Ligth control	=	مراقبة ضوئية
3268 - Lightning	=	بَرْق، صاعقة
3269 - Lightning arrester	=	مانعة الصواعق
3270 - Lightning conductor	=	موصل الصواعق
3271 - Lightning productor	=	مانع الصواعق
3272 - Lightning rod	=	قضيب الصواعق
3273 - Light oils	=	الزيوت الخفيفة
3274 - Light signal	=	إشارة ضوئية
3275 - Light unit	=	وحدة الضوء
3276 - Light water reactor (LWR)	=	مفاعل الماء الخفيف

3277 - Lignin	=	الخشبين
3278 - Lignivorous	=	اكل الخشب
3279 - Limature	=	بَرْد، صقلَ
3280 - Lime	=	جير، كلس
3281 - Lime bin	=	صندوق الجير
3282 - Lime hopper	=	قادوس الجير
3283 - Limentic	=	خاص بالمياه العذبة
3284 - Lime slaker	=	مطفأة الجير
3285 - Lime sludge handling	=	مداولة الخبث الجيري
3286 - Lime-soda process	=	عملية الجير والصودا
3287 - Lime softening	=	تيسير بالجير
3288 - Lime stabilization	=	تثبيت بالجير
3289 - Limestone	=	حجر جيري
3290 - Lime water	=	ماء جيري
3291 - Limiting factor	=	عامل تحديدي
3292 - Limnology	=	علم بيئة المياه العذبة
3293 - Limy	=	جيري
3294 - Linear energy transfer (LET)	=	نقل خطي للطاقة
3295 - Linguistics	=	علم اللغات
3296 - Lining	=	تبطين
3297 - Liquefaction	=	تسييل
3298 - Liquefied petroleum gas (LPG)	=	غاز البترول المُسيَّل
3299 - Liquid	=	سائل
3300 - Liquid composting	=	خليط سائل
3301 - Liquid limit	=	حد السيولة
3302 - Liquid solids separation	=	فصل المواد الصلبة عن السائل
3303 - Liquid wastes	=	الفضلات السائلة
3304 - Liquor	=	سائل
3305 - Liter	=	لِتْر
3306 - Lithium	=	ليثيوم
3307 - Lithology	=	علم الصخور
3308 - Litter	=	نُفَاضة

3309 - Littoral	=	ساحليّ
3310 - Littoral cordon	=	شريط ساحلي
3311 - Littoral plain	=	سهل ساحلي
3312 - Littoral zone	=	منطقة الساحل
3313 - Livestock	=	دواجن
3314 - Livestok wastes	=	فضلات الدواجن
3315 - Living room	=	غرفة سكن
3316 - Load	=	حِمْل
3317 - Load capacity	=	قابلية التحمل
3318 - Load-count analysis	=	تحليل حساب الحمل
3319 - Loading	=	تحمل
3320 - Loading factor	=	عامل التحمل
3321 - Loading parameters	=	معايير التحمل
3322 - Loading point	=	نقطة التحمل
3323 - Loadograph	=	مخطط الحمل
3324 - Loam	=	مزيجة
3325 - Lobby	=	ردهة
3326 - Lobular	=	الفصيبيصي
3327 - Local planning	=	تخطيط محلي
3328 - Lock	=	هَويس
3329 - Lock chamber	=	حُجرة الهويس
3330 - Lodgning	=	إقامة، سكن
3331 Loess	=	السُفيّ
3332 - Log	=	سجل، لوغاريتم
3333 - Log growyh	=	نمو لوغاريتمي
3334 - Logistic growth	=	نمو نسبي
3335 - Logs	=	جذوع الأشجار
3336 - Longitudinal baffle	=	كابح طولي، حاجز طولي
3337 - Long-term planning	=	تخطيط طول المدى
3338 - Loose material	=	مادة رخوة
3339 - Loss	=	ضائع
3340 - Lost river	=	النهر الميُت

3341 - Lotion = غسول
3342 - Loudness = الشدة الصوتية
3343 - Loudness level = منسوب الشدة الصوتية
3344 - Lowland = غور، أرض منخفضة
3345 - Low-sulfur fuel = وقود قليل المحتوى الكبريتي
3346 - Low water = الغَيْض، منسوب واطىء، نضوب الماء
3347 - Low water period = فترة الغَيْض
3348 - Lues = طاعون، مرض معد
3349 - Lung = رئة
3350 - Lustal = منظف، مطهر
3351 - Lustration = تطهير
3352 - Luxury uptake = امتصاص مسرف
3353 - Lysol = ليزول، مادة مطهرة

- M -

3354 - Macadam = حصباء
3355 - Macrophytes = نباتات عيانية
3356 - Macrostraining = درء كبير، تصفية كبيرة
3357 - Magnesia = مغنيسيا
3358 - Magnetic desalination = التحلية المغناطيسية
3359 - Magnetic filter = المرشح المغناطيسي
3360 - Magnetic flow meter = مقياس السريان المغناطيسي
3361 - Magnetic recovery = استعادة مغناطيسية
3362 - Magnetic separation = الفصل المغناطيسي
3363 - Main = قناة رئيسية
3364 - Maintenance. = صيانة
3365 - Majority = أغلبية
3366 - Make-up water = ماء مُعَوَّض
3367 - Malariology = علم الملاريا
3368 - Malathion = مالاثيون
3369 - Malodorous = كريه الرائحة
3370 - Malignant diseases = أمراض خبيثة

3371 - Malnutrition	=	سوء التغذية
3372 - Malta fever	=	حمى مالطا
3373 - Mammalogy	=	علم الثديات
3374 - Managed nature reserve	=	محمية طبيعية مرعية
3375 - Management	=	إدارة
3376 - Mandatary	=	الزامي
3377 - Mandrel	=	شياق
3378 - Manganese	=	منغنيز
3379 - Mangold fly	=	ذبابة البنجر
3380 - Manhole	=	فتحة الفحص
3381 - Manifold	=	مُشَعَّب
3382 - Man-made landscape	=	الصقع الاصطناعي
3383 - Man-made radiation	=	الأشعة الاصطناعية
3384 - Manners	=	عادات حميدة
3385 - Manning formula	=	معادلةماننغ
3386 - Manometer	=	مانومتر، مضغاط أنبوبي
3387 - Mantle	=	أنبوب التشغيل
3388 - Mantle rock	=	صخر الغِلاف
3389 - Manufacture	=	تصنيع
3390 - Manure	=	سماد عضوي
3391 - Manuring	=	أسماد
3392 - Marable test	=	فحص الرخام
3393 - Marine	=	بحري
3394 - Marine animals	=	حيوانات بحرية
3395 - Marine environment	=	البيئة البحرية
3396 - Marine park	=	الروض البحري
3397 - Marine water	=	الماء البحري
3398 - Maritime	=	بحري (مختص بالملاحة)
3399 - Marsh	=	هَوْر
3400 - Mass	=	كتلة
3401 - Mass action equation	=	معادلة فعل الكتلة
3402 - Mass curve	=	المنحني التراكمي

3403 - Mass diagram	=	خط بياني تراكمي
3404 - Mass loading	=	تحميل كُتلي
3405 - Mass mortality	=	السُّواف (الموت الجماعي)
3406 - Mass transfer	=	انتقال الكتلة
3407 - Master depletion curve	=	منحني الاستنفاد الرئيسي
3408 - Master plan	=	مخطط رئيسي
3409 - Mastitis	=	التهاب الثدي
3410 - Mastoiditis	=	التهاب الخُشَّاء
3411 - Mat	=	حصيرة
3412 - Match line	=	خط المواءمة
3413 - Material	=	مادّة
3414 - Materials balance	=	موازنة المواد
3415 - Materials processing	=	اعداد المواد
3416 - Materials recovery	=	استعادة المواد
3417 - Materials recovery systems	=	أنشظمة استعادة المواد
3418 - Materials specifications	=	مواصفات المواد
3419 - Maternity	=	أمومة
3420 - Maternity hospital	=	مستشفى الولادة
3421 - Mattress	=	تكسية
3422 - Maturation	=	نُضج
3423 - Maturation pond	=	بركة نضج
3424 - Mature	=	ناضج
3425 - Mature valley	=	الوادي الناضج
3426 - Maturity	=	النضج
3427 - Maximum	=	قصوى، عظمى
3428 - Maximum achievable control technology (MACT)	=	تقنية سيطرة الإنجاز الأعظم
3429 - Maximum acceptable toxicant concentration (MATC)	=	تركيز السم المقبول الأعظم
3430 - Maximum admissible concentration	=	التركيز المقبول الأعظم
3431 - Maximum allowable concentration (MAC)	=	درجة التركيز القصوى المقبولة
3432 - Maximum consumption of water	=	الاستهلاك الأقصى للماء
3433 - Maximum contaminant level (MCL)	=	المنسوب الأعظم للمادة الملوثة
3434 - Maximum degree of air pollution tolerated	=	درجة التركيز القصوى المتحملة لتلوث الهواء

3435 - Maximum dose tested	=	فحص الجرعة القصوى
3436 - Maximum exposure levels (MELs)	=	مناسيب التعرض العظمى
3437 - Maximum emission concentration (MEC)	=	تركيز الانبعاث الأعظم
3438 - Maximum permissible concentration (MPC)	=	التركيز المسموح الأعظم
3439 - Maximum permissible exposure (MPE)	=	التعرض المسموح الأعظم
3440 - Maximum probable flood (MPF)	=	الفيضان المحتمل الأعظم
3441 - Maximum rainfall depth	=	عمق المطر الأعظم
3442 - Maximum thermometer	=	محرار الحد الاقصى
3443 - Maximum tolerated dose (MTD)	=	الجرعة المحتملة العظمى
3444 - Mean	=	المتوسط، المُعَدَّل
3445 - Mean annuel runoff	=	معدل السيح السنوي
3446 - Mean cell residence time	=	معدل زمن بقاء الخلية
3447 - Meander	=	المَنْدَرَة، العُرقوب
3448 - Meander belt	=	نطاق المندرة
3449 - Meander line	=	خط المندرة
3450 - Meander ratio	=	نسبة المندرة
3451 - Mean deviation	=	معدل الانحراف
3452 - Mean error	=	معدل الخطأ
3453 - Mean sea level	=	متوسط منسوب البحر
3454 - Mean of control	=	مستحضر لمحاربة الطفيليات
3455 - Mean velocity	=	متوسط السرعة، معدل السرعة
3456 - Measurement	=	قياس
3457 - Maesuring flume	=	قناة القياس
3458 - Meat packing wastes	=	فضلات تعليب اللحوم
3459 - Machanical aerator	=	مهوية ميكانيكية
3460 - Mechanical dust collectors	=	مجمعات الغبار الميكانيكية
3461 - Mechanical efficiency	=	الكفاءة الميكانيكية
3462 - Machanical flotation	=	تقويم ميكانيكي
3463 - Mechanically loaded vehicles	=	مركبات محمولة ميكانيكيا
3464 - Mechanical rake	=	مرّازة ميكانيكية
3465 - Mechanical screen	=	دريئة ميكانيكية
3466 - Mechanical separation	=	الفصل الميكانيكي

3467 - Mechanical treatment	=	معالجة ميكانيكية
3468 - Mechanical volume reduction	=	انقاص الحجوم ميكانيكيا
3469 - Mechanical weed control	=	مكافحة الأعشاب الضارة ميكانيكيا
3470 - Mechanics	=	الميكانيك
3471 - Mechanism auditory	=	السمع الآلي
3472 - Median	=	الوسيط
3473 - Median lethla concentration	=	التركيز القتال الوسيط
3474 - Median lethal exposure tume	=	زمن التعرض القتال الوسيط
3475 - Median survival time	=	زمن البقاء الوسيط
3476 - Median tolerance limit (TLm)	=	حد التفاوت المسموح الوسيط
3477 - Medium	=	بيئة، وسط
3478 - Medium-rate digestion	=	الهضم بمعدل وسط
3479 - Medium sand	=	رَمْل وسط
3480 - Megalithic	=	حجري ضخم
3481 - Megalops	=	كبيرة العيون
3482 - Meiotic	=	الانقسام المُنصِّف
3483 - Melancholia	=	اكتئاب دائم
3484 - Membrane	=	غشاء
3485 - Membrane filtration	=	الترشيح الغشائي
3486 - Mental health	=	الصحة العقلية
3487 - Mental test	=	الاختبار العقلي
3488 - Mephitis	=	عفونة
3489 - Mercaptans	=	المركبتانات (أنواع من الكحول الكبريتي)
3489 - Mercury compounds	=	مركبات زئبقية
3490 - Mercury poisoning	=	تَسمُّم زئبقي
3491 - Mercury switch	=	مفتاح ذو مفصل زئبقي
3493 - Meristic	=	تجزُّؤي
3494 - Mesh	=	شبكة القياس
3495 - Mesh screen	=	دريئة مشبَّكة
3496 - Mesology	=	ميزولوجيا، علم العلاقات البيئية
3497 - Mesophile	=	ميزوفيل (حي يعيش في ظروف معتدلة)
3498 - Mesophilic	=	هاضم أليف الاعتدال

3499 - Mesquite	=	يَنْبوت
3500 - Messuage	=	الدار
3501 - Metabolic pathway	=	اتجاه أيضي
3502 - Metabolic process	=	عملية آيضية
3503 - Metabolic rate	=	معدل الأيض
3504 - Metabolism	=	أيض، تحول غذائي
3505 - Metal	=	معدن، فلز
3506 - Metal coating	=	طَلْي فلزي
3507 - Metallography	=	ميتالوغرافيا
3508 - Metallurgy	=	تعدين
3509 - Metamorphism	=	تحوُّل
3510 - Meteor	=	نَيْزَك
3511 - Meteorograph	=	منوَأة
3512 - Meteorological	=	جويّ
3513 - Meteorological conditions	=	ظروف جوية
3514 - Meteorological phenomena	=	ظاهرة جوية
3515 - Meteorology	=	علم الجو، الجوِّيات
3516 - Meter	=	متر
3517 - Methacrolein	=	ميثاكرولين
3518 - Methane	=	ميثان
3519 - Methane fermentation	=	تخمّر ميثاني
3520 - Methanogenic bacteria	=	بكتريا مولدة الميثان
3521 - Metheoroid	=	نُيَيزك (نيزك صغير)
3522 - Methoxychlor	=	ميتوكسي كلور
3523 - Methyl bromide	=	بروميد المثيل
3524 - Metric system	=	النظام المتري
3525 - Metropolism	=	مدينة رئيسية، البلد الام
3526 - Metropolitan	=	عاصمي، حاضري
3527 - Miacidae	=	فصيلة المياسيات
3528 - Microbes	=	جراثيم
3529 - Microbial pollution	=	تلوث جرثومي
3530 - Microbiological examination	=	فحص الاحياء المجهرية

3531 - Microbiological limit	=	الحد الجرثومي
3532 - Microbiology	=	علم الاحياء الجهريَّة
3533 - Microclimate	=	مناخ محلي
3534 - Microelement	=	عنصر دقيق
3535 - Microfauna	=	ميكروفنا، أحياء مجهرية
3536 - Microflora	=	ميكروفلورا، نباتات مجهرية
3537 - Micron	=	ميكرون
3538 - Micro-nutrient	=	غذاء قليل الفعالية
3539 - Microorganism	=	كائنات حية مجهرية
3540 - Microphyte	=	نبتة دقيقة
3541 - Micropollutants	=	ملوثات دقيقة
3542 - Microporous media	=	أوساط مسامية دقيقة
3543 - Microscope	=	مجهر
3544 - Microscreens	=	مناخل دقيقة
3545 - Microstrainer	=	دربئة دقيقة
3546 - Microwave	=	موجة دقيقة
3547 - Midden	=	مَزْبَلَة
3548 - Midwives	=	القابلات
3549 - Migration	=	هجرة، ارتحال
3550 - Mild flow	=	جريان هادىء
3551 - Mile	=	ميل
3552 - Milestone	=	مَعْلَم
3553 - Milk plant processing wastes	=	فضلات مصنع إعداد الحليب
3554 - Milk processing	=	إعداد الحليب، معالجة الحليب
3555 - Milibar	=	مليبار
3556 - Milliequivalent per liter	=	مليمكافىء لكل لتر
3557 - Milligram per liter	=	مليغرام لكل لتر
3558 - Millirem	=	ملريم
3559 - Milorganite	=	سماد خَبَث الجاري
3560 - Mineral	=	مَعْدني
3561 - Mineralisation	=	مَعْدَنَة، تَمَعْدُن
3562 - Mineral reserve	=	اختياط معدني

3563 - Mineral water	=	ماء معدني
3564 - Minimum	=	دنيا، أدنى
3565 - Minimum consumption of water	=	الحد الأدنى لاستهلاك الماء
3566 - Minor	=	ثانوي
3567 - Minority	=	أقلية
3568 - Minute	=	دقيق
3569 - Minute organisms	=	أحياء دقيقة
3570 - Mir	=	مزرعة
3571 - Mirage	=	سراب
3572 - Misophobia	=	الخرف من التلوث
3573 - Mist	=	هيدب، ضباب واطىء
3574 - Mist eliminator	=	مزيل الضباب
3575 - Mite	=	عثّة، ضئيل
3576 - Mixed beds	=	طبقات مخلوطة
3577 - Mixed-flow pump	=	مضخة متحولة الاتجاه
3578 - Mixed forest	=	غابة مختلطة
3579 - Mixed liquor	=	سائل مخلوط
3580 - Mixed liquor suspended solids (MLSS)	=	المواد الصلبة العالقة المخلوطة بسائل
3581 - Mixed liquor volatile suspended solids (MLVSS)	=	المواد الصلبة العالقة المتطايرة المخلوطة بسائل
3582 - Mixed media filtration	=	ترشيح الأوساط المخلوطة
3583 - Mixing	=	خلط، مزج
3584 - Mixing degree	=	درجة الخلط
3585 - Mixing path	=	اتجاه الخلط
3586 - Mobile	=	متحرِّك
3587 - Mode	=	المُعَاوِد
3588 - Model	=	نَموذَج
3589 - Moderate breeze	=	رياح معتدلة
3590 - Modernism	=	تَمَدُّن
3591 - Modular unit	=	الوحدة المعيارية
3592 - Modulus	=	مُعَامِل
3593 - Moisture	=	رطوبة
3594 - Moisture content	=	محتوى الرطوبة

3595 - Moisture penetration	=	نفوذ الرطوبة، اختراق الرطوبة
3596 - Molality	=	تركيز جزيئي
3597 - Molar mass	=	كتلة جزئية
3598 - Molar solution	=	محلول جزيئي
3599 - Mold	=	قالب، عفن
3600 - Mole	=	مول، جزيء غرامي
3601 - Molecular weight	=	الوزن الجزيئي
3602 - Molecule	=	جُزَيء
3603 - Molybdenun	=	موليبدن (فلز أو عنص كيميائي)
3604 - Momentum	=	زَخم
3605 - Monarchy	=	ملكية
3606 - Monatomic oxygen	=	اوكسجين أحادي الذرة
3607 - Monitor	=	مضبَط، مُرْشد
3608 - Monochromasia	=	عمَى الألوان التام
3609 - Monochromatic radiation	=	اشعاع احادي الموجه
3610 - Monoculture	=	توليد نوع واحد
3611 - Monoecious	=	وحيد المسكن
3612 - Monsoon	=	الموْسمية
3613 - Moody diagram	=	مخطط مودي
3614 - Moraine	=	رُكام
3615 - Morals	=	اخلاق، قيم
3616 - Morbidity	=	مَرَاضة، أسباب المرض
3617 - Morphology	=	علم الشكل الحيوي
3618 - Morphotropism	=	تشاكل بنْيَوي
3619 - Mortality	=	الوَفَيات
3620 - Mortality rate	=	معدل الوفيات
3621 - Mosquitoe	=	بعوضة
3622 - Most probable number (MPN)	=	الرقم المحتمل الأعظم
3623 - Motion	=	حركة
3624 - Motor	=	محرك
3625 - Motor-driven pump	=	مضخة تدار بمحرك
3626 - Mottled enamel	=	طلاء زجاجي مُرَقَّش

3627 - Mouldering	=	تفسُّخ
3628 - Moussons winds	=	رياح موسمية
3629 - Mouth	=	مَصَبّ
3630 - Moving screen	=	دريئة متحركة
3631 - Muck	=	حَمَأ
3632 - Mud	=	وَحْل
3633 - Mudflow	=	سيل طيني
3634 - Mulch	=	المهاد
3635 - Multicellular	=	متعدد الخلايا
3636 - Multifamily dwelling	=	مسكن لأكثر من عائلة
3637 - Multigerm	=	عديد الجراثيم
3638 - Multi-hearth furnace	=	فرن المَجْمَرة المتعدد
3639 - Multi-layer filters	=	مرشحات متعددة الطبقات
3640 - Multiplate sampler	=	جامع عينات متعدد الألواح
3641 - Multiple-pump operation	=	تشغيل متعدد المضخات
3642 - Multiple-tray aerator	=	مهواي الصواني المتعددة
3643 - Multiple-tube fermtation test	=	فحص تخمر الأنابيب المتعددة
3644 - Multiplication factor	=	عامل التكاثر
3645 - Multi-purpose project	=	مشروع متعدد الأغراض
3646 - Multi-purpose pump	=	مضخة ذات مراحل
3647 - Multi-purpose reservoir	=	خزان متعدد الأغراض
3648 - Multi-stage digestion	=	هضم متعدد المراحل
3649 - Multi-stage pump	=	مضخة ذات مراحل
3650 - Multi-stage treatment	=	معالجة متعددة المراحل
3651 - Mumps	=	النكاف
3652 - Municipal heat networks	=	شبكة التدفئة البلدية
3653 - Municipal solid wastes	=	الفضلات الصلبة البلدية
3654 - Municipal water demand	=	طلب الماء البلدي
3655 - Municipal wastes	=	الفضلات البلدية
3656 - Muscles	=	عضلات
3657 - Mushroom processing wastes	=	فضلات اعداد الفطر
3658 - Mushrooms snow	=	ثلج عالق

3659 - Mustard gras	=	غاز الخَرْدل
3660 - Musty	=	عفن
3661 - Mutagen	=	مولِّد طَفْري
3662 - Mutant	=	طافر
3663 - Mutation	=	طَفْرة
3664 - Mycosis	=	مرض فطري
3665 - Myopia	=	قصر النظر
3666 - Myxoid	=	مخاطي
3667 - Myxomatosis	=	ورام مخاطي

- N -

3668 - Nanacurie	=	نانو كوري
3669 - Nappe	=	بثق مُسَطَّح
3670 - Narrow magority	=	أكثرية ضئيلة
3671 - Narrows	=	مَضايق
3672 - Natality	=	ولادات
3673 - Nation	=	وطن، أمة
3674 - National aeronautics and space administration (NASA)	=	إدارة الطيران والفضاء الأمريكية
3675 - National ambient air quality standards (NAAQS)	=	المعاير الأمريكية لنوعية الهواء المحيط
3676 - Ntional air pollution control administration (NAPCA)	=	إدارة مراقبة تلوث الهواء الأمريكي
3677 - National association of corrosion engineers (NACE)	=	اتحاد مهندسي التآكل الوطني
3678 - National council on noise abatement (NCNA)	=	المجلس الوطني للحد من الضوضاء
3679 - National council on radiation protection and measurements (NCRP)	=	المجلس القومي لحماية وقياسات الاشعاع
3680 - National environmental development association (NEDA)	=	اتحاد التنمية البيئية الوطنية
3681 - National environmental systems contractors association (NESCA)	=	اتحاد متعهدي النظم البيئية الوطني
3682 - National environmental policy act (NEPA)	=	الأجراء السياسي البيئي الوطني
3683 - National environmental satellite service (NESS)	=	مصلحة الأقمار الصناعية الوطنية للخدمة البيئية
3684 - National fertilizer solutions association (NFSA)	=	جمعية محاليل الأسمدة الوطنية
3685 - National foundation for environmental control (NFEC)	=	المؤسسة الوطنية للسيطرة البيئية
3686 - National highway traffic safety administration (NHTSA)	=	إدارة سلامة مرور الطرق الخارجية القومية
3687 - National investigations committee on aerial phenomena (NICAP)	=	لجنة التحقيقات الوطنية للظواهر الجوية
3688 - National park	=	الحديقة العمومية

3689 - National rural and environmental studies association (NRESA)	=	جمعية الدراسات البيئية الريفية البريطانية
3690 - National rural water association (NRWA)	=	الجمعية القومية لتجهيز الماء الى الأرياف
3691 - National society of clean air (NSCA)	=	جمعية الهواء النقي البريطانية
3692 - National weather service (NWS)	=	مصلحة الخدمات الجوية الوطنية
3693 - Natural aerobic lagoon	=	بحيرة هوائية طبيعية
3694 - Natural environmental	=	البيئة الطبيعية
3695 - Natural environmental receptor of pollution	=	مستقبل بيئي طبيعي للتلوث
3696 - Natural environmental research council (NERC)	=	مجلس بحوث البيئة الطبيعية البيرطاني
3697 - Natural factors	=	العوامل الطبيعية
3698 - Natural flotation	=	عوم طبيعي
3699 - Natural gras	=	الغاز الطبيعي
3700 - Natural gras free of sulfur	=	الغاز الطبيعي الخالي من الكبريت
3701 - Natural monument	=	المَعْلَم الطبيعي
3702 - Natural park	=	الحديقة الطبيعية
3703 - Natural pollution	=	تلوث طبيعي
3704 - Natural resources	=	المصادر الطبيعية
3705 - Natural resources managment	=	إدارة المصادر الطبيعية
3706 - Natural values	=	الخَيْرات الطبيعية
3707 - Natural water	=	ماء طبيعي
3708 - Nature conservation	=	الحفاظ على الطبيعة
3709 - Nature trail	=	مجاز الطبيعة
3710 - Nausea	=	غَثَيان
3711 - Nautical mile	=	ميل بحري
3712 - Navigable depth	=	العمق الصالح للملاحة
3713 - Navigation	=	ملاحة
3714 - Nearctic	=	شمال العالم الجديد (الشمال الأمريكي)
3715 - Near gale	=	رياح شديدة
3716 - Neck	=	بَرْزَخ
3717 - Negative base flow	=	جريان أساسي سالب
3718 - Negligence constituting a public danger	=	إهمال يتكون عنه خطر عام
3719 - Negro	=	زنجي
3720 - Neighbourhood	=	جوار، منطقة مجاورة

3721 - Nektonic species	=	أصناف السوابح
3722 - Nematode	=	خيطي
3723 - Nephelometer	=	مقياس الكدرة
3724 - Nephelometric turbidity units (NTU)	=	وحدات الكدرة النغلومترية
3725 - Nephoscope	=	نيفوسكوب، مقايس سرعة رياح الغيوم
3726 - Neptunium	=	نبتونيوم
3727 - Nernst graph	=	رسم ترنست البياني
3728 - Nernst scale	=	مقياس نرنست
3729 - Nessler tubes	=	أنابيب نسلر
3730 - Net positive suction head (NPSH)	=	صافي شحنة الامتصاص الموجب
3731 - Net rain	=	المطر الصافي
3732 - Neurology	=	علم الأعصاب
3733 - Neutralism	=	حيادية
3734 - Neutralization	=	تعادل
3735 - Neutralization efficiency	=	كفاءة التعادل، فعالية التعادل
3736 - Neutralization amines	=	أمينات متعادلة
3737 - Neutralizing capacity	=	سعة التعادل، سعة التحييد
3738 - Neutralizing chamber	=	حجرة التعادل
3739 - Neutral stratification	=	تطبق متعادل
3740 - Neutron activation	=	تنشيط نيوتروني
3741 - Neutropause	=	نيوتروبوز (الحد بين الغلاف الجوي المتأين واللامتأين)
3742 - Neves	=	حقول ثلجية
3743 - Newspaper recovery	=	استعادة الصحف
3744 - Niche	=	البيئة الملائمة
3745 - Nickeling	=	طلي بالنيكل
3746 - Nickel plating	=	طلي بالنيكل
3747 - Nipple	=	وصلة (بين أنبوبين)
3748 - Nitrate nitrogen	=	نتروجين النترات
3749 - Nitric acid	=	حامض النتريك
3750 - Nitric nitrogen	=	نتروجين النتريك
3751 - Nitrification	=	نترجة
3752 - Nitrobacter	=	بكتريا نترية

3753 - Nitrogen	=	نتروجين
3754 - Nitrogen cycle	=	دورة النتروجين
3755 - Nitrogen dioxide	=	ثاني أوكسيد النتروجين
3756 - Nitrogen monoxide	=	أول أوكسيد النتروجين
3757 - Nitrogen oxides	=	أكاسيد النتروجين
3758 - Nitrogenous oxygen demand (NOD)	=	طلب الاوكسجين النتزوجيني
3759 - Nitrosomonas	=	نتروسوموناس (فصيلة من البكتريا ـ النترية)
3760 - Nitrous nitrogen	=	نتروجين آزورتي
3761 - Nitrous oxide	=	أوكسيد النتروجين
3762 - No-effect level	=	منسوب غير مؤثر
3763 - Noise	=	ضوضاء، ضجيج
3764 - Noise abatement	=	تخميد الضوضاء، تخفيف الضوضاء
3765 - Noise criterion (NC)	=	معيار الضوضاء
3766 - Noise exposure forecast (NEF)	=	تقدير التعرض للضوضاء
3767 - Noise equivalent to man (NEM)	=	المكافيء الحيوي للضواء
3768 - Noise level	=	مستوى الضوضاء
3769 - Noise number index (NNI)	=	مؤشر رقم الضوضاء
3770 - Noise pollution	=	التلوث الضوضائي
3771 - Noisy industrial plant	=	مصنع كثير الضوضاء
3772 - Nomad	=	بدوي
3773 - Nomadism	=	البداوة، الترحُل
3774 - Nomograph	=	نوموغراف
3775 - Nonattainment	=	غير بالغ، عديم الادراك
3776 - Nonnburnable material	=	مادة غير قابلة للاحتراق
3777 - Noncarbonate hardness	=	عسرة لاكاربونية
3778 - Noncombustible rubbish	=	نفاية غير قابلة للاحتراق
3779 - Nonndimensional	=	لا بُعْدي
3780 - Nonferrous metals	=	معادن لا حديدية
3781 - Nonpersistant gas	=	غاز سريع الزوال
3782 - Non-renewable natural resources	=	المصادر الطبيعية اللامتجددة
3783 - Nonsilting	=	لا مُرْسِب
3784 - Nonsilting velocity	=	سرعة الاستقرار

3785 - Non-toxic	=	غير سام
3786 - Non-volatile matter (MVM)	=	مادة غير متطايرة
3787 - Normal	=	اعتيادي، مُعَامِد
3788 - Normal distribution	=	توزيع نظامي
3789 - Normality	=	العيارية
3790 - Normal probability	=	احتمال نظامي
3791 - Normal solution	=	محلول عياري
3792 - Normal velocity	=	السرعة الاعتيادية
3793 - Normal year	=	سنة عادية
3794 - Noxious compounds	=	مركبات سامة
3795 - Noxious gases	=	غازات سامة
3796 - Nozzle	=	فُوّهة
3797 - Nuclear energy	=	طاقة نووية
3798 - Nuclear explsions	=	انفجارات نووية
3799 - Nuclear fuel	=	وقود نووي
3800 - Nuclear industries effluents	=	فضلات المصانع النووية
3801 - Nuclear power station	=	محطة الطاقة النووية
3802 - Nuclear regulatory commission (NRC)	=	لجنة الضبط النووي
3803 - Nuclear wastes	=	فضلات نووية
3804 - Nuisance	=	ضرر، أذى
3805 - Nuisance factors	=	عوال الضرر
3806 - Null point	=	نقطة الصفر
3807 - Nursing	=	تمريض
3808 - Nurture	=	تربية (الأطفال)
3809 - Nusery	=	مشتل
3810 - Nutrient	=	مُغَذٍّ
3811 - Nutrient salt	=	مِلح مُغَذٍّ
3812 - Nutrition	=	تغذية
3813 - Nutritive fauna	=	الحيوان المغذّي
3814 - Nyctalopia	=	عمى النهار